سبيل الرشاد

في

هدي خير العباد

تصنيف

العلامة الشيخ محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي

رحمه الله تعالى

(١٣١١ - ١٤٠٧ هـ)

(١٨٩٣ - ١٩٨٧ م)

قرأه وعلق عليه وقدم له وخرج أحاديثه

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

الجزء الخامس

الدار الأثرية


بسم الله الرحمن الرحيم

سبيل الرشاد

في

هدي خير العباد

٥

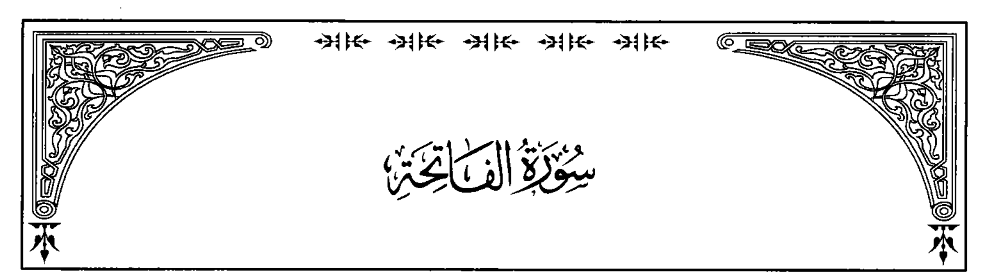
الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الدار الأثرية
عمان - الأردن - تلفاكس : ٠٠٩٦٢ / ٦٥٦٥٨٠٤٥
خلوي : ٠٠٩٦٢/٧٩٥٩٤٣٤٥٦ - ص.ب : ٩٢٥٥٩٥ - الرمز البريدي : ١١١٩٠
الرمز الإلكتروني : alatharya1423@yahoo.com

الحمد لله الذي وصف نفسه بصفات الكمال، وأمر خلقه أن يصفوه بها، ونزَّه نفسه عن صفات النقص، وأمر عباده أن ينزِّهوه عنها، وسمَّى نفسه بأكمل الأسماء، وأمر عباده أن يدعوه بها، وأوعد من ألحد فيها بدخول دار العذاب، أشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو، الرحمٰن الرحيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الهادي إلى الصراط المستقيم، اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

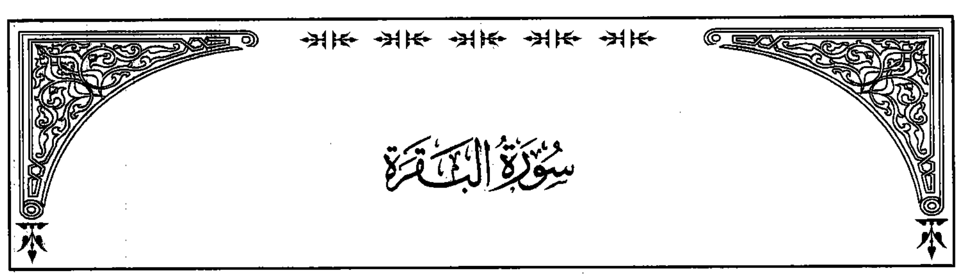
أما بعد، فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الحسيني ـ غفر الله ذنبه، وستر في الدارين عيبه ـ: لم أزل منذ عهد الشباب أتمنَّى أن يوفّقني الله تعالى إلى جمع آيات التوحيد بأنواعه، وتفسيرها بأحاديث النبي الكريم، وبأقوال الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وقد وفَّقني الله تعالى لإتمام (القسم الأول) ثم (القسم الثاني)، وهأنذا أقف بباب الغني الكريم، خاشعاً ذليلاً أسأله أن يمن عليَّ بالتوفيق والعون على تأليف (القسم الثالث)، وهو: آيات الأسماء والصفات.





الباب الأول

في هذه السورة المباركة من أسمائه تعالى: اسم الجلالة الله، والرحمن، والرحيم، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وفيها من الصفات الرحمة والربوبية والملك والهداية والإنعام والغضب، وستأتي هذه الصفات كلها مفصَّلة فيما أنقله من كلام الأئمة إن شاء الله.



الباب الأول

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٩]

قال القاسمي: «بيان نعمة أخرى مرتبة على الأولى، فإنما[١] خلقهم أحياء[٢]، وهذا[٣] خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم، ويتم به معاشهم، ومعنى ﴿لَكُم﴾ لأجلكم ولانتفاعكم، وفيه دليل على أن الأصل في الأشياء المخلوقة الإباحة حتى يقوم دليل يدل على النقل عن هذا الأصل، ولا فرق بين الحيوانات وغيرها، مما يُنتفع به من غير ضرر، وفي التأكيد بقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ أقوى دلالة على هذا، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال أبو العالية الرياحي: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: ارتفع، نقله عنه البخاري في «صحيحه»[٤] ورواه (ج) في «تفسيره» عن الربيع بن أنس[٥] وقال البغوي: «قال ابن عباس وأكثر المفسرين[٦]: ارتفع إلى السماء»[٧]، وقال الخليل بن أحمد في ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: ارتفع،

---

(١) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «فإنها».

(٢) بعدها في مطبوع «تفسير القاسمي»: «قادرين مرة بعد أخرى».

(٣) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «وهذه».

(٤) ذكره البخاري في «صحيحه» تعليقاً بصيغة الجزم كتاب التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء» وكذا البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣١١) لكن بصيغة التمريض، ووصله ابن جرير في «تفسيره» كما في «تغليق التعليق» (٥/ ٣٤٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٧٥) وقال: «وروي عن الحسن والربيع بن أنس مثله».

(٥) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١/ ٤٥٦).

(٦) في مطبوع «تفسير البغوي»: «مفسري السلف».

(٧) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠١).

رواه أبو عمر بن عبد البر في «شرح الموطأ»[١] نقله الذهبي في كتاب «العلو»[٢]، وقد استدل بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ على أن خلق الأرض متقدم على السماء[٣]»[٤].

وقال العالم المحقق محمد صديق حسن في «فتح البيان» ما نصه:

«﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: قصد وأقبل على خلقها، وقيل: عمد، وقال ابن عباس: ارتفع، وقال الأزهري: صعد أمره[٥]، وكذا ذكره صاحب «المحكم»[٦] وذلك أن الله خلق الأرض أولاً ثم عمد إلى خلق السماء، وأصل ﴿ثُمَّ﴾ يقتضي تراخياً زمانياً ولا زمان هنا، فقيل: هي إشارة إلى التراخي بين رتبتي خلق الأرض والسماء، قاله القرطبي، والاستواء في اللغة: الاعتدال والانتصاب والاستقامة، وضده الاعوجاج، قاله في «الكشاف» «والرازي»[٧]. ويطلق على الارتفاع والعلو على الشيء قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] وقال: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣] وهذا المعنى هو المناسب لهذه الآية، وقد قيل: إن هذه الآية، من المشكلات وقد ذهب كثير من الأئمة إلى الإيمان بها وترك التعرض لتفسيرها وخالفهم آخرون»[٨].

قال (ك): في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ «أي: قصد إلى السماء، والاستواء ههنا مضمن[٩] معنى القصد والإقبال؛ لأنه عُدي بإلى»[١٠].

وقال ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: «أي: عمد إلى خلقها»[١١]، وقال معين الدين في تفسيره «جامع البيان» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: «قصد وارتفع».

وقال ابن عطية في «تفسيره»: «وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ «ثم» هنا هي لترتيب الأخبار لا لترتيب الأمر في نفسه، واستوى: قال قوم: معناه علا دون

---

(١) في «التمهيد» (٦/ ١٢٦) بنحوه.
(٢) انظر: «العلو للعلي العظيم» (٢/ ١٠٤٢).
(٣) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «خلق السماء».
(٤) انظر: «تفسير القاسمي» (٢/ ٩٠ ـ ٩١).
(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٢٥ ـ باب لفيف السين).
(٦) (٤/ ٢٧).
(٧) انظر: «الكشاف» (١/ ٦٠)، و«تفسير الرازي» (٢/ ١٤٢ ـ ١٤٣).
(٨) انظر: «فتح البيان» (١/ ٨٩ ـ ٩٠).
(٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تضمن».
(١٠) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٣٢).
(١١) انظر: «زاد المسير» (١/ ٥٨).

تكييف ولا تحديد، هذا اختيار الطبري، والتقدير علا أمرُه وقدرته وسلطانه».

وقال ابن كيسان: معناه قصد إلى السماء، [قال القاضي أبو محمد][1] أي: بخلقه وارتفاعه[2].

وقيل: معناه كَمُل صنعه فيها كما تقول: استوى الأمر، قال القاضي أبو محمد[3]: «وهذا قلق»، وحكى الطبري[4] عن قوم: أن المعنى: أقبل، وضعَّفه.

وحُكِيَ عن قوم: المستوي[5] هو الدخان، وهذا أيضاً يأباه صف الكلام، وقيل: المعنى استولى، كما قال الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العراقِ ... من غير سيفٍ ودَم مُهراقِ[6]

وهذا إنما يجيء في قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] والقاعدة في هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث ويبقى استواء القدرة والسلطان»[7].

فصل

قال محمد تقي الدين: قوله: «بيان نعمة أخرى مرتبة على الأولى»، الأولى: هي المفهومة من قوله تعالى في الآية الحادية والعشرين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] في هذه الآية امتن الله على عباده بإيجادهم من العدم، وفي الآية التي نحن بصدد الكلام عليها امتن الله على عباده بأن خلق لهم ما في الأرض جميعاً، وهذا يدل على أن

(١) غير موجود في مطبوع «المحرر الوجيز».

(٢) في مطبوع «المحرر الوجيز»: «واختراعه».

(٣) بعدها في مطبوع «المحرر الوجيز»: «رحمه الله».

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» (٤٥٦ ـ ٤٥٧).

(٥) في مطبوع «المحرر الوجيز»: «أن المستويَ».

(٦) هذا البيت للأخطل نسبه له الزَّبيدي في «تاج العروس» (٣٨/ ٣٣١ ـ سوو)، وذكره دون نسبة: ابن المنظور في «لسان العرب» (١٤/ ٤١٤ ـ سوا)، والجوهري في «الصحاح» (٦/ ٢٣٨٥ ـ سوا).
ونفى صحة هذا البيت، وأنه ليس من شعر العرب: شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٤٦) (١٦/ ٣٩٧)، فانظر كلامه فإنه مفيد.

(٧) انظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

الأصل في الأشياء الإباحة حتى يقوم دليل على تحريم شيء منها ويبينه الحديث:

عن سلمان ﷺ: سئل رسول الله ﷺ عن السمن والجبن والفراء؟ فقال: **«الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه رحمة بكم من غير نسيان، فهو مما عفا عنه»**. رواه الترمذي وابن ماجه من رواية سيف بن هارون عن سليمان التيمي عن أبي عثمان[1].

والمسألة المهمة هنا التي عقدت هذا الباب لأجلها، هي: معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، وقد اختلف فيها المفسرون كما تقدم، فأكثر المفسرين من السلف أو كلهم فسَّروها بارتفع، وفسَّرها الحافظ (ﷺ) بقصد وما في معناها، وقد اختلف أهل اللغة أيضاً في ذلك، والراجح عندنا هو تفسير السلف، فإن قال الجهمي: الارتفاع يقتضي التنقل من تحت إلى فوق، وتلك صفة الأجسام! ففي هذا التفسير تشبيه لله بخلقه، فالجواب: إن هذا التفكير السخيف، هو سبب ضلال نفاة الصفات؛ لقياسهم صفات الله على صفة

(١) أخرجه الترمذي في اللباس، باب ما جاء في لبس الفراء (٤/ ٢٢٠) رقم (١٧٢٦)، وابن ماجه في الأطعمة، باب أكل الجبن والسمن (٢/ ١١١٧) رقم (٣٣٦٧) من طريق سيف بن هارون البرجميّ عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي به.
وقال الترمذي في «جامعه»:
«وهذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وروى سفيان وغيره عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قوله، وكأن الحديث موقوف أصح، وسألت البخاري عن هذا الحديث، فقال: ما أراه ـ أي: أظنه ـ محفوظاً، روى سفيان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان موقوفاً، قال البخاري: وسيف بن هارون مقارب الحديث، وسيف بن محمد عن عاصم ذاهب الحديث».
ومن هذا الطريق أخرجه: الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١١٥)، والطبراني في «الكبير» (٦١٢٤)، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٠) رقم (١٥٠٣)، ـ وقال: «هذا خطأ، رواه الثقات عن التيمي عن أبي عثمان عن النبي ﷺ، ليس فيه سلمان وهو الصحيح» ـ وبيبي الهرثمية في «جزئها» رقم (٨٥)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٢١٢)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٤٦)، وابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٣/ ١٢٦٧)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ١٧٤)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٢)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٢/ ٣٣٥)، وقال الحاكم: «هذا حديث مفسر في الباب، وسيف بن هارون لم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي في «التلخيص» فقال: «قلت: **ضعفه جماعة**»؟ يعني سيفاً هذا، ونقل العقيلي عن يحيى بن معين، أنَّه قال فيه: «ليس سيف بشيء»، ثم قال عقب روايته لهذا الحديث: «ولا يحفظ إلا عنه بهذا الإسناد».

المخلوقين، وبسبب ذلك نفوا كلام الله تعالى، وجواز رؤية العباد له بأبصارهم، ونحن نقول: إن الله تعالى يُرى بالأبصار يوم القيامة، ويتكلم بحرف وصوت، وارتفع إلى السماء، فارتفاعه ليس كارتفاع المخلوق، وكذلك استواؤه على عرشه وكلامه وعلمه وحياته وقدرته وإرادته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وسيأتي مزيد بيان في الأبواب التالية إن شاء الله.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٣٣]

قال (ك): «وقال (ج)[1]: وأولى الأقوال في ذلك قول ابن عباس، وهو أن معنى قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ - وأعلم مع علمي غيب السموات والأرض ما تظهرونه بألسنتكم، وما كنتم تخفون[2] في أنفسكم، فلا يخفى عليَّ شيء سواء عندي سرائركم وعلانيتكم، والذي أظهروه بألسنتهم: قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، والذي كانوا يكتمون[3]: ما كان منطوياً عليه إبليس من الخلاف على الله في أوامره والتكبر عن طاعته، قال: وصح ذلك، وكما[4] تقول العرب: قُتِل الجيش وهُزموا، وإنما قتل الواحد أو البعض، وهزم الواحد أو البعض فيخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مخرج الخبر عن جميعهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات: ٤] ذُكِر أن الذي نادى إنما كان واحداً من بني تميم[5] وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾»[6].

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» (١/ ٥٣٣ - ٥٣٤).
(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تخفونه».
(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يكتمونه».
(٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وصح ذلك كما».
(٥) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قال».
(٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٥٢).

فصل

قال محمد تقي الدين: المراد هنا أن علم الله محيط بكل شيء ولا يشارك الله أحد في علمه، لا ملك مقرَّب ولا نبي مرسل، فهو عالم الغيب والشهادة، وغيره لا يعلم إلا ما علمه الله، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

الباب الثالث

قوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠]

قال (ك): «يقول تعالى: مهدداً للكافرين بمحمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾؛ يعني يوم القيامة لفصل القضاء بين الأوّلين والآخرين فيجزي كل عامل بعمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر: ٢١ ـ ٢٣] وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٨]»(١).

قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية في «العقيدة الواسطية» ما نصه:

«وقوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾(٢) ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾(٢) ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾(٢) ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥]»(٣).

وقال شارح هذه العقيدة الأستاذ المحقق عبد العزيز بن محمد آل سلمان(٤)

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٧٤).

(٢) بعدها في مطبوع «العقيدة الواسطية»: «وقوله».

(٣) انظر: «العقيدة الواسطية» (ص١٨ ـ ١٩، ط. الأصالة).

(٤) هو العلامة المفسر الأصولي الفقيه الفرضي الزاهد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن =

مدرس العقائد في المعاهد العالية بالمملكة العربية السعودية ما نصه: «في هذه الآيات إثبات صفة مجيء الله وإتيانه[1] على ما يليق بجلاله وعظمته، وهذا من أفعاله الاختيارية.

الآية الأولى:

﴿هَلْ﴾: حرف استفهام، ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون، قال امرؤ القيس:

فـإنَّـكُـمـا إن تَـنْـظُـرانـيَ سـاعـةً   مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعْني لدى أُمِّ جُنْدَبِ[2]

فإذا كان النظر مقروناً بذكر الوجه أو معدّى بإلى لم يكن إلا بمعنى الرؤية، الـ﴿ظُلَلٍ﴾: جمع ظلة[3] وهو ما يظلك[4]، ﴿ٱلْغَمَامِ﴾: السحاب الرقيق الأبيض، سُمِّي بذلك لأنه يغم، أي: يستر، ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: فرغ منه، يقول تعالى: هل ينتظر الكفار الساعون في الأرض فساداً، التاركون للدخول في السلم، المتبعون لخطوات الشيطان، النابذون لأمر الله، إلا يوم الجزاء بالأعمال الذي قد ملئ من الأهوال والشدائد والفظائع التي تقلق[5] القلوب الظالمة، وذلك أن الله تعالى يطوي السمٰوات وتنتثر الكواكب، وتكور الشمس وتنزل الملائكة فتحيط بالخلائق وينزل الجبار في ظلل[6] من الغمام؛ للفصل بالقضاء بين العباد بالعدل.

= عبد المحسن السلمان، من (الأساعدة) من (الرُّوقة) من قبيلة (عُتَيبة) المشهورة، ولد في عنيزة ليلة الخامس والعشرين من رمضان عام سبعة أو تسعة وثلاثين منه، تخرج على يدي الشيخ السعدي، عمل إماماً في الرياض واستمر في الإمامة إلى سنة ١٤٠٥هـ. وفي ١٤/ ١٢/ ١٣٧٠هـ عين معلماً في المعهد العلمي بالرياض، ودرس فيه خمس سنوات، وانتهت خدمته في ١٠/ ١/ ١٤٠٤هـ. له العديد من الكتب، ومن أشهرها «الكواشف الجلية عن معاني الواسطية» و«الأسئلة والأجوبة الفقهية المقرونة بالأدلة الشرعية»، و«موارد الظمآن لدروس الزمان». مات رَحِمَهُ اللَّهُ من قريب، لولده عبد الحميد ترجمة مفردة عنه، منشورة بعنوان «فتح المنان بترجمة العلامة الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان»، والمذكور أخذته منها.

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «وإتيان».

(٢) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص١٢٨)، «الأغاني» (٨/ ١٨٩).

(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «ظلله»، وانظر: «القاموس المحيط» (ص١٣٢٩ ـ ظلل».

(٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «يُضلِّلُك».

(٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «تقلقل».

(٦) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «ظل».

ففي الآية:

١ ـ دليل لمذهب السلف المثبتين للصفات والأفعال الاختيارية.

٢ ـ [إثبات الصفات][(١)] على ما يليق بجلاله وعظمته.

٣ ـ فيها تخويف ووعيد وتهديد لمن كفر بالله وعصاه.

٤ ـ إثبات صفة الكلام لله.

٥ ـ إثبات البعث والحساب والجزاء على الأعمال.

٦ ـ إثبات الألوهية لله.

٧ ـ دليل على علو الله على خلقه.

٨ ـ الرد على من أنكر صفة الإتيان أو أوَّلَها بتأويل باطل.

٩ ـ إتيان الملائكة.

١٠ ـ في الآية عبرة للمؤمن، ترغِّبه في المبادرة إلى التوبة؛ لئلا يفاجئه وعد الله وهو غافل، فإذا لم يفاجئه قيام الساعة وهلاك هذا العالم كله فاجأه قيام قيامته بموته بغتة، فإذا لم يجئه بغتة، جاءه المرض بغتة، فلا يقدر على العمل وتدارك الزلل.

الآية الثانية:

يقول تعالى: هل ينظر الذين استمروا في ظلمهم وعنادهم إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، وعند ذلك ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، أو يأتي ربك لفصل القضاء بين العباد لمجازات المحسنين والمسيئين.

وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب السلف أهل السنة والجماعة، المثبتين للصفات والأفعال الاختيارية، كالاستواء[(٢)] والنزول والمجيء، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر تعالى بها[(٣)] عن نفسه أو أخبر بها عنه رسوله ﷺ، فيثبتونها على الوجه اللائق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تحريف ولا تمثيل ولا

---

(١) غير موجود في مطبوع «الكواشف الجلية».

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «كاستواء».

(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «بها تعالى».

تعطيل، خلافاً للمعطلة من جهمية أو معتزلة أو أشاعرة ونحوهم من نفاة الصفات، أو يتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان[١]، والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب، فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي ولا عقلي.

أما النقلي؛ فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة ظاهرها بل صريحها دال على مذهب أهل السنة والجماعة، وأنها لا تحتاج لدلالتها على مذهب المبتدعين[٢] الباطل أن تخرج عن ظاهرها ويزاد[٣] فيها وينقص، وهذا[٤] لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة إيمان[٥].

وأما العقلي[٦]؛ فليس في العقل ما يدل على نفي الصفات، بل دلّ العقل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل، وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال؛ فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه! قيل لهم: الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات، فكما أن لله ذاتاً لا تشبهها الذوات، فله صفات لا تشبهها الصفات، فصفاته تبع لذاته، وصفات خلقه تبع لذواتهم، فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه، ويقال أيضاً لمن أثبت بعض الصفات ونفى بعضاً، أو أثبت الأسماء دون الصفات: إمّا أن تثبت الجميع كما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ، وإما أن تنفي الجميع وتكون منكراً لرب العالمين، وأما إثباتك بعض ذلك ونفيك لبعضه فهذا تناقض، ففرّق بين ما أثبتَّه وما نفيتَه، ولن تجد إلى الفرق سبيلاً.

فإن قلت: ما أثبتُّه لا يقتضي تشبيهاً، قال لك أهل السنة والإثبات لما نفيته: لا يقتضي تشبيهاً.

فإن قلت: لا أعقل من الذي نفيته إلا التشبيه، قال لك النفاة: ونحن لا

---

(١) بعدها في مطبوع «الكواشف الجلية»: «بل حقيقة تأويلات المبتدعة القدح في بيان الله ورسوله».

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «المبتدعة».

(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «وزاد».

(٤) بعدها في مطبوع «الكواشف الجلية»: «أعني مذهب المبتدعة».

(٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «من إيمان».

(٦) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «وأما العقل».

نعقل من الذي أثبته إلا التشبيه، فما أجبت به النفاة أجابك به أهل السنة.

والحاصل: أن من نفى شيئاً وأثبت شيئاً مما دل الكتاب والسنة على إثباته فهو متناقض، لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي، بل قد خالف المعقول والمنقول.

وقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أي: الدالة على قرب [قيام الساعة][1] وهو طلوع الشمس من مغربها، وطلوعها من مغربها هو أحد أشراط الساعة الكبار، وأمارات الساعة ثلاثة أقسام: **قسم ظهر وانقضى**، كبعثة النبي ﷺ، ووقعة الجمل، وصفين، ونحوهما، وملك بني أمية والعباسية، ونار الحجاز التي أضاءت منها أعناق الإبل ببصرى، وخروج الكذابين المدَّعين النبوة، وكثرة المال والزلزال، **وقسم متوسط** ككون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع وإماتة الصلاة وإضاعة الأمانة والتباهي بالمساجد وأكل الربا ونحو ذلك، وكرفع العلم وكثرة الجهل، وكثرة الزنا، وشرب الخمر، وقلة الرجال وكثرة النساء، وتوسيد الأمور إلى غير أهلها، ولحوق حي من الأمة بالمشركين وعبادة فئام من الأمة الأوثان وغير ذلك، **والقسم الثالث** العلامات العظام التي تعقبها الساعة وهي عشر، نظمها السفاريني بقوله:

«وما أتى بالنص[2] مِنْ أشراطِ ... فَكُلُّهُ حَقٌّ بلا شِطَاطِ
منها الإمام الخاتَم الفَصيحُ ... محمدُ المَهْدِيُّ والمسيحُ
وأنَّه القاتل[3] لِلدَّجَّالِ ... بباب «لُدٍّ» خَلِّ عَنْ جِدالِ
وأمرُ يأجوجَ ومأجوجَ اثبِتِ ... فإنَّهُ حَقٌّ كهَدْمِ الكعبةِ
وأنَّ منها آيةَ الدُّخَانِ ... وأنهُ يُذهَبُ بالقُرآنِ
طُلُوع شَمسِ الأُفقِ مِن دَبُورِ ... كذاتِ أجْيادٍ على المشهورِ
وآخرُ الآياتِ حشرُ النَّارِ ... كما أتى في مُحكَم الأخبارِ
فكلُّها صَحَّتْ بها الآثارُ[4] ... وسَطَّرَتْ آثارَها الأخبارُ[5]

(١) غير موجود في مطبوع «الكواشف الجلية».
(٢) في مطبوع «العقيدة السفارينية»: «في النَّصِ».
(٣) في مطبوع «العقيدة السفارينية»: «يقتلُ».
(٤) في مطبوع «العقيدة السفارينية»: «الأخبارُ».
(٥) في مطبوع «العقيدة السفارينية»: «الأخيارُ»، وما سبق من «العقيدة السفارينية» (ص٧٥ ـ ٧٦).

ففي الآية [أمور][١]:

١ ـ دليل لمذهب السلف المثبتين للصفات والأفعال الاختيارية،

٢ ـ إتيان الملائكة.

٣ ـ إتيان الرب جل وعلا على ما يليق بجلاله وعظمته.

٤ ـ التخويف والوعيد والتهديد لمن كفر بالله وعصاه.

٥ ـ إثبات صفة الكلام لله.

٦ ـ إثبات الربوبية.

٧ ـ دليل على علو الله على خلقه.

٨ ـ الرد على من أنكر إتيان الرب أو أوله بتأويل باطل.

٩ ـ الحث على التوبة خوف مفاجأة القيامة العامة أو الخاصة.

١٠ ـ الحث على مراقبة الله.

١١ ـ إثبات البعث والحشر والحساب والجزاء على الأعمال.

١٢ ـ إن الله قسَّم ونوَّع، ففرق بين إتيان الرب وإتيان الملائكة.

الآية الثالثة:

الدك: حط المرتفع بالبسط والتسوية، ومنه اندكاك سنام البعير إذا انغرس في ظهره، وناقة دكاء[٢] إذا كانت كذلك.

قال الشاعر:

ليت الجبالَ تداعتْ عند مصرعها ... دكاً فلم يبق من أحجارها حَجَرُ

وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: لفصل القضاء ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ أي: جنس الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أي: صفاً بعد صفٍ.

يؤخذ من الآية [أمور][٣]:

١ ـ إثبات المجيء على ما يليق بجلاله وعظمته.

٢ ـ دليل على إتيان الملائكة.

---

(١) غير موجود في مطبوع «الكواشف الجلية».

(٢) غير موجود في مطبوع «الكواشف الجلية».

٣ ـ دليل على علو الله على خلقه.

٤ ـ حث على التقلل من الدنيا والعمل للآخرة.

٥ ـ إثبات الربوبية.

٦ ـ الرد على من أنكر صفة المجيء أو أولها بتأويل باطل.

٧ ـ دليل على البعث والحساب والجزاء على الأعمال.

٨ ـ الحث على المراقبة.

٩ ـ الحث على محاسبة النفس والاستعداد لذلك اليوم.

١٠ ـ إن ما على الأرض من جبال وقصور وأبنية يزول وتكون قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً.

١١ ـ دليل على هول ذلك[١] اليوم، الذي ترجف له القلوب، وتخشع له الأبصار.

١٢ ـ أن الله هو [الذي][٢] يتولى الحكم والفصل في ذلك اليوم.

١٣ ـ إن الملائكة يأتون صفوفاً.

١٤ ـ دليل على قدرة الله.

الآية الرابعة:

يخبر تعالى عن عظمة يوم القيامة، وما فيه من الشدائد والأهوال والكروب ومزعجات القلوب، فقال: واذكر يوم تشقق السماء بالغمام وتنفتح عنه، وذلك الغمام ينزل فيه فوق[٣] سمواته، وتنزل الملائكة، ويحيطون بالخلائق في مقام الحشر[٤].

ففي الآية أمور:

١ ـ إثبات مجيء الله ونزوله، ونفس الدليل من الآية على نزول الله بذاته سبحانه على ما يليق بجلاله وعظمته، كما هو المتبادر من النصوص، وأفعاله

---

(١) كذا في مطبوع «الكواشف الجلية»، وفي الأصل: «أنه هو ذلك».

(٢) غير موجود في مطبوع «الكواشف الجلية».

(٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «من فوق».

(٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «المحشر».

سبحانه قائمة به فيجب إثباتها على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، قال القحطاني:

والله يومئذٍ يجيءُ لِعَرْضِنا ... مع أنّه في كلِّ وقتٍ دانِ
والأشعري يقول يأتي أمره ... ويعيب وصفَ الله بالإتيانِ[(١)]

ويؤخذ من الآية أمور:

١ ـ إثبات البعث والحشر والحساب والجزاء على الأعمال.

٢ ـ الحث على الاستعداد لذلك اليوم.

٣ ـ دليل على نزول الملائكة.

٤ ـ الرد على من أنكر المجيء.

٥ ـ إثبات صفة الكلام لله.

٦ ـ دليل على علو الله على خلقه.

٧ ـ دليل على نزول الملائكة.

٨ ـ إن السماء تتغير عن حالتها لعظم ذلك اليوم.

أنواع الإتيان والمجيء، وبيان الرد على من أوَّل النزول والمجيء بمجيء الأمر ونحو ذلك

«الإتيان والمجيء المضاف إلى الله نوعان: مطلق ومقيد، فإذا كان مجيء رحمته وعذابه ونحو ذلك قُيِّد بذلك، كما جاء في الحديث «**حتى جاء الله بالرحمة والخير**»[(٢)] وكقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الأعراف: ٥٢] والنوع الثاني: الإتيان والمجيء المطلق، فهذا لا يكون إلّا مجيئه سبحانه كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[(٣)]» أما الرد على من أوَّل النزول والمجيء بمجيء الأمر وأنه من مجاز الحذف، «فهذا باطل من وجوه:

---

(١) انظر: «كفاية الإنسان من القصائد الغر الحسان» (ص٣٤) وستأتي القصيدة بتمامها في آخر (الجزء السادس).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، ويغني عنه ما أخرجه البخاري (٣٦٢٢) من حديث أبي موسى الأشعري، وفيه ضمن حديث: «**وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق...**»، وانظر: «سنن أبي داود» (٢٨١٣) وفيه: «**وجاء الله بالسعة**».

(٣) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) بتصرف.

أحدها: إنه إضمار ما لا يدل عليه اللفظ لا بمطابقة ولا تضمن ولا التزام[١]، وادعاء حذف ما لا دليل عليه يرفع الوثوق من الخطاب، ويجرئ[٢] كل مبطل على ادعاء إضمار ما يصح باطله.

الثاني: إن صحة التركيب واستقامة اللفظ لا تتوقف على هذا المحذوف، بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى بدون إضمار، فإضماره مجرد خلاف الأصل فلا يجوز.

الثالث: إنه إذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين قول المتكلم بلا علم، وإخبار عنه بإرادة ما لم يقم[٣] دليل على إرادته، وذلك كذب عليه.

الرابع: في السياق ما يبطل هذا التقدير، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ فعطف مجيء الملك على مجيئه سبحانه يدل على تغاير المجيئين وأن مجيئه حقيقة، كما أن مجيء الملك حقيقة، بل مجيء الرب أولى أن يكون حقيقة من مجيء الملك، وكذلك قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾[٤] فقسَّم ونوّعَ، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحداً فتأمله»[٥] اهـ. من كلام ابن القيم.

قال: «وأما من قال: يأتي أمره، وتنزل رحمته وأمره، فإن أراد أنه سبحانه إذا نزل وأتى حلّتْ رحمته وأمره فهذا حق، وإن أراد أن النزول والمجيء والإتيان للرحمة والأمر ليس إلا [ذلك][٦] فهو باطل من وجوه عديدة، قد تقدمت ونزيدها وجوهاً أخر منها:

● أن يقال: أتريدون رحمته وأمره؟ صفته القائمة بذاته أم مخلوقاً منفصلاً سميتموه رحمة وأمراً؟ فإن أردتم الأول؛ فنزوله يستلزم نزول الذات ومجيئها قطعاً، وإن أردتم الثاني، كان الذي ينزل ويأتي لفصل القضاء مخلوقاً محدثاً لرب

(١) في مطبوع «مختصر الصواعق المرسلة»: «ولا لزوم».
(٢) في مطبوع «مختصر الصواعق المرسلة»: «ويطرق».
(٣) في مطبوع «مختصر الصواعق المرسلة»: «يقم به».
(٤) بعدها في مطبوع «مختصر الصواعق»: «ففرّق بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آيات ربك».
(٥) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/١٠٦ ـ ١٠٧).
(٦) غير موجود في مطبوع «مختصر الصواعق».

العالمين، وهذا معلوم البطلان قطعاً، وهو تكذيب صريح[1]؛ فإنه يصح معه أن يقال: لا ينزل إلى السماء الدنيا، و[لا][2] يأتي لفصل القضاء، وإنما ينزل ويأتي غيره.

• ومنها: كيف يصح أن يقول ذلك المخلوق: «**لا أسأل عن عبادي غيري**» ويقول: «**من يستغفرني فاغفر له**»[3]؟ ونزول رحمته وأمره مستلزم لنزوله سبحانه ومجيئه، وإثبات ذلك للمخلوق مستلزم للباطل الذي لا يجوز نسبته إليه سبحانه، مع رد خبره صريحاً.

• ومنها: إن نزول رحمته وأمره لا يختص بالثلث الأخير، ولا بوقتٍ دون وقت، ينزل أمره فلا تنقطع رحمته ولا أمره عن العالم العلوي والسفلي طرفة عين»[4]. اهـ. من «مختصر الصواعق»»[5].

قال الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي المتوفى سنة (٦٠٠هـ) في «عقيدته» في «المجموعة العلمية السعودية» (صفحة ٣٥) ما نصه:

«وتواترت الأخبار وصحت الآثار بأن الله ﷻ ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيجب الإيمان والتسليم له وترك الاعتراض عليه وإمراره من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تنزيه ينفي حقيقة النزول، فروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا ﷻ كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر**»[6]. وفي لفظ: «**ينزل الله ﷻ**»، ولا يصح حمله على نزول القدرة ولا الرحمة ولا نزول ملك، لما روى مسلم بإسناده عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل الله ﷻ إلى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتى يضيء الفجر**»[7].

---

(١) في مطبوع «مختصر الصواعق»: «تكذيب صريح للخبر».
(٢) من مطبوع «مختصر الصواعق»، وسقط من الأصل.
(٣) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة.
(٤) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠).
(٥) كذا في «الكواشف الجلية» (٨٦ ـ ٩١) مع تصرف يسير.
(٦) سبق تخريجه.
(٧) سبق تخريجه.

وروى رفاعة بن عَرابة[١] الجهني عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مضى نصف الليل ـ أو ثُلُثا[٢] الليل ـ ينزل الله ﷻ إلى سماء الدنيا فيقول: لا أسْأَلُ عن عبادي أحداً غيري، من ذا الذي يستغفرني فأغفر[٣] له؟ من ذا الذي يدعوني فأستجيب[٤] له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه[٥]؟ حتى ينفجرَ الصبح**»[٦] رواه الإمام أحمد. وهذان الحديثان يقطعان تأويل كل متأول، ويدحضان حجة كل مبطل، وروى حديث النزول علي بن أبي طالب[٧]، وعبد الله بن مسعود[٨]، وجبير بن مطعم[٩] وجابر بن عبد الله[١٠]، وأبو سعيد الخدري[١١]، وعمرو بن عَبَسة[١٢]،

---

(١) في الأصل: «عروبة»! والمثبت من «المسند» وكتب التراجم.
(٢) في الأصل: «ثلث»! والمثبت من «المسند» ومصادر التخريج.
(٣) في الأصل: «أغفر»!
(٤) في الأصل: «استجيب»! والمثبت من «المسند» ومصادر التخريج.
(٥) في الأصل: «أعطيه»! والمثبت من «المسند» ومصادر التخريج.
(٦) أخرجه أحمد (٤/١٦)، والنسائي في «الكبرى» (٤٧٥)، وابن ماجه (١٣٦٧)، والطيالسي (١٢٩١، ١٢٩٢)، والدارمي (١/٣٤٨)، والبزار (٣٥٤٣ ـ زوائده)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٢ ـ ١٣٣)، والطبراني في «الكبير» (٤٥٥٧ ـ ٤٥٦٠)، وأبو نعيم (٦/ ٢٨٦) **وإسناده صحيح**، وصححه الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٣/ ٢٨٤).
(٧) أخرجه أحمد (١/ ١٢٠)، والدارمي (٢/ ٩٣٢)، وأبو يعلى (٦٥٧٦)، والبزار (٤٧٧، ٤٧٨)، والطبراني في «الأوسط» (١٢٦٠)، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٣٣)، والدارقطني في «كتاب النزول» (ص٩٢)، **وإسناده حسن**، وجوَّد إسناده شيخنا الألباني في «الإرواء» (٢/ ١٩٨).
(٨) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٨، ٤٠٣)، وأبو يعلى (٥٣١٩)، والدارقطني في «كتاب النزول» (ص٩٩) **وإسناده صحيح على شرط مسلم**. وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٥٣): «رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح»، وصححه شيخنا الألباني في «الإرواء» (٢/ ١٩٩).
(٩) أخرجه أحمد (٤/ ٨١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٣٢١) ـ وهو في «عمل اليوم والليلة» (٤٨٧) ـ، والدارمي (١/ ٣٤٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٣)، والبزار (٣١٥٢، ٣١٥٣ ـ زوائده)، وأبو يعلى (٧٤٠٨، ٧٤٠٩)، والطبراني (١٥٦٦)، وفي «الدعاء» (١٣٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٥١) **وإسناده صحيح على شرط مسلم**.
(١٠) أخرجه الدارقطني في «كتاب النزول» (ص٩٦).
(١١) أخرجه مسلم (٥٢٣)، وأحمد (٢/ ٣٨٣ و٣/ ٣٤).
(١٢) في مطبوع «عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي»: «عنبسة»، وفي الأصل: «عتبة»! والمثبت من مصادر التخريج.

=

وأبو الدرداء[١]، وعثمان بن أبي العاص[٢]، ومعاذ بن جبل[٣]، وأم سلمة زوج النبي ﷺ[٤] وخلق سواهم[٥] ونحن مؤمنون بذلك مصدقون من غير أن نَصِفَ له كيفية، أو نشبهه بنزول المخلوقين.

وقد قال بعض العلماء: سئل أبو حنيفة عنه ـ يعني عن النزول ـ فقال: «ينزل بلا كيف»[٦] وقال محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة: «الأحاديث التي جاءت أن الله يهبط إلى سماء الدنيا ونحو هذا من الأحاديث، إن هذه الأحاديث قد روتها الثقات، فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها»[٧] وروينا

= أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٥)، وابن سعد (٤/ ٢١٥ ـ مختصراً) وعبد بن حميد (٢٩٧)، والدارقطني في «كتاب النزول» (ص١٤٢) من طريق سليم بن عامر عن عمرو بن عبسة، وهو **منقطع** سليم لم يسمع من عمرو، وانظر: «العلل» (٢/ ٣٥٤) لابن أبي حاتم.

(١) أخرجه ابن جرير (١٣/ ٥٧٠)، والطبراني في «الأوسط» (٨٦٣٥)، وزاد السيوطي نسبته في «الدر المنثور» (٨/ ٤٦٨) لابن أبي حاتم وابن مردويه.
وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٢٨)، والدارقطني في «كتاب النزول» (ص١٥١ ـ ١٥٢)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال (١٠/ ١٥٥): «وفيه زيادة بن محمد الأنصاري وهو منكر الحديث» وقال (١٠/ ٤١٢): «وفيه زيادة بن محمد وهو ضعيف»، وعزاه للطبراني في «الكبير» والبزار.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢، ٢٢٧)، والطبراني في «الأوسط» (٢٧٩٠)، وفي «الكبير» (٨٣٧٣، ٨٣٩١)، وفي «الدعاء» (١٣٧، ١٤٠)، والبزار (٣١٥٥ ـ زوائده)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٠٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٥)، والدارقطني في «كتاب النزول» (ص١٥٠)، وهو **صحيح بشواهده** السابقة واللاحقة، وصححه شيخنا الألباني.

(٣) أخرجه ابن حبان (٨/ ١٩٣ ـ التعليقات الحسان)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٢)، والدارقطني في «كتاب النزول» (ص١٥٨) وقال شيخنا الألباني: «**صحيح بشواهده**»، وانظر: «الصحيحة» (١١٤٤).

(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٥٠)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٣٧)، والدارقطني في «كتاب النزول» (ص١٧٤).

(٥) كما تراه في «كتاب النزول» للدارقطني (ص١٤٠ ـ ١٤١، ١٤٥ ـ ١٤٩، ١٥٣ ـ ١٥٤، ١٥٩ ـ ١٧٥)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٣٤ ـ ٤٥٣)، و«السنة» لابن أبي عاصم (١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٦) رقم (٥٠٩، ٥١١، ٥١٣)، و«الشريعة» للآجري (ص٣١٢ ـ ٣١٣).

(٦) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٨٠)، وذكره ابن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٢٤٥).

(٧) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٣٤) (٧٤١)، وابن =

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كنت أنا وأبي في المسجد[١] فسمع قاصاً يقص في حديث[٢] النزول فقال: «إذا كان ليلة النصف من شعبان ينزل الله ﷻ إلى سماء الدنيا بلا زوال ولا انتقال ولا تغير حال» فارتعد أبي رَحِمَهُ اللهُ واصفر لونه ولزم يدي فأمسكته[٣] حتى سكن ثم قال: قف بنا على هذا المتخرص، فلما حاذاه قال: «يا هذا رسول الله ﷺ أغيْر على ربك[٤] منك، قل كما قال رسول الله ﷺ، وانصرف»[٥] قال حنبل: قلت لأبي عبد الله ـ يعني أحمد ـ: ينزل الله إلى سماء الدنيا، قلت: نزوله بعلمه أو ماذا؟ فقال لي: «اسكت عن هذا، مالَكَ ولهذا؟! أمض[٦] الحديث على ما روي، بلا كيف ولا حد، على ما جاءت به الآثار وبما جاء به الكتاب»[٧]. وقال إسحاق بن راهويه: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ: **«ينزل ربنا عَزَّ وَجَلَّ شأنه كل ليلة إلى سماء الدنيا»**. كيف ينزل؟ قال: قلت: «أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب ﷻ: كيف؟ إنما ينزل بلا كيف»[٨]. ومن قال: يخلو العرش عند النزول أو لا يخلو، فقد أتى بقول مبتدع ورأي مخترع»[٩].

وقد ألف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كتاباً في «شرح حديث النزول» جواباً عن سؤال رفع إليه ومضمونه: إن رجلين اختلفا، فقال

= قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص١١٧) (٩٨) وعنه الذهبي في «العلو» (١١٣) وفي «مختصره» (١٥٩).

(١) في مطبوع «عقيدة الحافظ عبد الغني»: «عابرين في المسجد».

(٢) في مطبوع «عقيدة الحافظ عبد الغني»: «بحديث».

(٣) في مطبوع «عقيدة الحافظ عبد الغني»: «وأمسكته».

(٤) في مطبوع «عقيدة الحافظ عبد الغني»: «ربه».

(٥) ذكره الشيخ مرعي الكرمي في «أقاويل الثقات» (ص٦٢ ـ ٦٣).

(٦) في مطبوع «عقيدة الحافظ عبد الغني»: «مضى».

(٧) ذكره اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٥٣) (٧٧٧)، وذكره ابن القيم في «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٢٥١) عن الخلال به.

(٨) أخرجه أبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» (ص٥٠ ـ ٥١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٥٢) (٧٧٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٧٥)، وقوّام السنة أبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ١٢٤)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١١٢٦) (٤٤٩)، وهو في «مختصره» (ص١٩٣) (٢٣٦).

(٩) انظر: «عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي» (ص٤٨ ـ ٥٣).

أحدهما: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل... الحديث»[(١)]، فأنكر ذلك الرجل الآخر، وقال: إنما تنزل رحمته وسأله: كيف ينزل؟ فقال: ينزل كما شاء بلا كيف... إلى آخر ما جرى بينهما، وسأنقل هنا شيئاً من جواب شيخ الإسلام، فإنه طويل يشتمل على مائة وست عشرة صفحة، وفيه فوائد كثيرة زائدة عن جواب السؤال، حتى صار كتاب عقيدة كاملاً، قال شيخ الإسلام:

«الحمد لله رب العالمين، أما القائل الأول الذي ذكر نص النبي ﷺ فقد أصاب فيما قال، فإن هذا القول الذي قاله، قد استفاضت به السنة عن النبي ﷺ، واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقّيه بالقبول، ومن قال ما قاله الرسول ﷺ، فقوله حقٌّ وصدقٌ وإن كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني، كمن قرأ القرآن ولم يفهم ما فيه من المعاني، فإن أصدق الكلام كلامُ الله، وخير الهدي هَديُ محمد ﷺ، والنبي ﷺ قال هذا الكلام وأمثاله علانية، وبلّغه الأمة تبليغاً عاماً، لم يخص به أحداً دون أحد، ولا كتمه عن أحد، وكان[(٢)] الصحابة والتابعون تذكره وتؤثره[(٣)] وتبلّغه وترويه في المجالس الخاصة والعامة، واشتملت «عليه كتب الإسلام التي تُقرأ في المجالس الخاصة والعامة»[(٤)] كـ«صحيحي البخاري ومسلم» و«موطأ مالك» و«مسند الإمام أحمد» و«سنن أبي داود» و«الترمذي» و«النسائي» وأمثال ذلك من كتب المسلمين.

لكن مَنْ فهم من هذا الحديث وأمثاله ما يجب تنزيه الله عنه، كتمثيله بصفات المخلوقين، ووصفه بالنقص المنافي لكماله الذي يستحقه، فقد أخطأ في ذلك وإن أظهر ذلك مُنع منه، وإن زعم أن الحديث يدل على ذلك ويقتضيه فقد أخطأ أيضاً في ذلك، فإن وصفه ﷺ في هذا الحديث بالنزول، هو كوصفه بسائر الصفات، كوصفه بالاستواء إلى السماء وهي دخان، ووصفه بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، ووصفه بالإتيان والمجيء في مثل قوله[(٥)]: ﴿هَلْ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في مطبوع «شرح حديث النزول»: «وكانت».

(٣) كذا في مطبوع «شرح حديث النزول»، وفي الأصل: «وتأثره»!

(٤) من مطبوع «شرح حديث النزول»، وسقط من الأصل.

(٥) في مطبوع «شرح حديث النزول»: «قوله تعالى».

﴿يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] وكذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤] وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]. وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الروم: ٤٠] وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥] وأمثال ذلك من الأفعال التي وصف الله تعالى بها نفسه، التي تسميها النحاة أفعالاً متعدية، وهي غالب ما ذكر في القرآن، ويسمونها[١] لازمة لكونها لا تنصب المفعول به بل لا تتعدى إليه إلا بحرف الجر، كالاستواء إلى السماء وعلى[٢] العرش والنزول إلى السماء الدنيا ونحو ذلك، فإن الله وصف نفسه بهذه الأفعال ووصف نفسه بالأقوال اللازمة والمتعدية[٣] في مثل قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٠] وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ [الأعراف: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥]»[٤]. اهـ. المراد نقله منه في هذا المقام.

الباب الرابع

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]

قال (ك): «روى الإمام أحمد بسنده عن أبيّ بن كعب أن النبي ﷺ سأله: **«أي آية في كتاب الله أعظم؟»** قال: الله ورسوله أعلم، فرددها مراراً، ثم قال

---

(١) في مطبوع «شرح حديث النزول»: «أو يسمونها».
(٢) كذا في مطبوع «شرح حديث النزول»، وفي الأصل: «وعلى».
(٣) كذا في مطبوع «شرح حديث النزول»، وفي الأصل: «بالأقوال والأزمنة المتعدية».
(٤) انظر: «شرح حديث النزول» (ص٦٩ ـ ٧١).

أُبيّ: آية الكرسي، قال: «**ليهنك العلم أبا المنذر، والذي نفسي بيده إن لها لساناً وشفتين، تقدِّس الملك عند ساق العرش**»[١].

وروى أحمد والأربعة إلا النسائي عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، و﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران: ١ ـ ٢] «**إن فيهما اسم الله الأعظم**»[٢].

وروى النسائي في «اليوم والليلة» وابن حبان في «صحيحه» عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**»[٣] قال (ك): «إسناده على شرط البخاري» وروى البخاري، في كتاب فضائل القرآن من «صحيحه» في صفة إبليس بسنده عن أبي هريرة قال: وكَّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ! قال: دعني، فإني محتاج، وعليّ عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليتُ عنه، فأصبحتُ، فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**» قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**» فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ أنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود، فرحمته وخليت سبيله، فأصبحت فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته، فخليتُ سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**» فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات، إنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: وما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال:

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.

«ما هي»؟ قال: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان، حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي ﷺ: **«إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟»** قلت: لا، قال: **«ذاك شيطان»**[1].

«وهذه الآية مشتملة على جمل مستقلة:

فقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إخبار بأنه المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ أي: الحي في نفسه، الذي لا يموت أبداً، القيِّم لغيره، وكان عمر يقرأ: القيام[2]، فجميع الموجودات مفتقرة إليه، وهو غني عنها، ولا قوام لها بدون أمره، كقوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [الروم: ٢٥] وقوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ أي: لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه خافية، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم، فقوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ﴾ أي: لا تغلبه سنة، وهي: الوسن، والنعاس، ولهذا قال: ﴿وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ لأنه أقوى من السِّنة»[3].

قال القنوجي في «فتح البيان» ما نصه:

«﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ﴾ يقال: فلان وسع الشيء سعة، إذا احتمله وأمكنه القيام به، وأصل الكرسي في اللغة، مأخوذ من تركب الشيء بعضه على بعض، ومنه: الكُرَّاسة لتركيب[4] بعض أوراقها على بعض، وفي العرف: ما يُجلَس عليه، والكرسي هنا الظاهر أنه الجسم الذي وردت الآثار بصفته كما سيأتي بيانات[5] ذلك، وقد نفى وجوده جماعة من المعتزلة، وأخطؤوا في ذلك خطأً بيناً، وغلطوا غلطاً فاحشاً، وقال بعض السلف: إن الكرسي هنا عبارة عن العلم، قالوا: ومنه قيل للعلماء: كراسي، ومنه الكُرَّاسة التي يجمع فيها العلم، ورجح هذا القول ابن جرير الطبري.

---

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق توثيق قراءته.

(٣) من «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٣٠ ـ ٤٣٩) بتصرف.

(٤) في مطبوع «فتح البيان»: «لتركب». (٥) في مطبوع «فتح البيان»: «بيان».

وفي «القاموس»: «الكرسي بالضم والكسر[١]: السَّرِيرُ والعِلمُ، والجمع كراسي»[٢] وقيل: كرسيه: قدرته التي يمسك بها السمٰوات والأرض، كما يقال: اجعل لهذا الحائط كرسياً أي ما يعمده، وقيل: إن الكرسي هو العرش، وقيل هو تصوير لعظمته ولا حقيقة له، قال التفتازاني[٣]: إنه من باب إطلاق المركب الحسي المتوهم على المعنى العقلي المحقق، وقال البيضاوي: «لا كرسي في الحقيقة ولا قاعد، وهو تمثيل مجرد، وقيل: هو عبارة عن الملك والسلطان مأخوذ من كرسي العالم والملك»[٤] والحق القول الأول، ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي إلا مجرد خيالات[٥] وضلالات جاءت عن الفلاسفة، أقمأهم الله تعالى، والمراد بكونه وسع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أنها صارت فيه وأنه وسعها ولا يضيق[٦] عنها؛ لكونه بسيطاً واسعاً»[٧].

قال (ك): «وقوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يثقله ولا يكرثه حفظ السمٰوات والأرض وما فيهما وما بينهما[٨]، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء فلا يعزب عنه شيء، ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه محتاجة فقيرة، وهو الغني الحميد، الفعال لما يريد، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وهو القاهر[٩] لكل شيء، الحسيب على كل شيء، الرقيب العلي العظيم لا إله غيره ولا رب سواه، فقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ كقوله: ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾[١٠] ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩] وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح، والأجود فيها طريقة السلف الصالح: أمروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه»[١١].

---

(١) في مطبوع «القاموس المحيط»: «وبالكسر».
(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص٧٣٥).
(٣) كذا في مطبوع «فتح البيان»، وفي الأصل: «التفتزاني»!
(٤) انظر: «تفسير البيضاوي» (١/ ١٣٤).
(٥) بعدها في مطبوع «فتح البيان»: «تسببت عن جهالات».
(٦) في مطبوع «فتح البيان»: «ولم يضق».
(٧) انظر: «فتح البيان» (١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١).
(٨) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ومن فيهما ومن بينهما».
(٩) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «القائم».
(١٠) في الأصل: «وهو الكبير...»!!
(١١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٤٤).

فصل

قال محمد تقي الدين مستعيناً بالله وحده: سبب الفضل الذي رأيناه في آية الكرسي أنها اشتملت على توحيد الله في فاتحتها، وأسمائه الحسنى الحي القيوم العلي العظيم، وصفاته بأنه الرقيب الذي لا يغفل، ويروى أن الله تعالى أراد أن يعلم عبده موسى عليه الصلاة والسلام تعليماً عملياً بأنه لا يغفل عن عباده، فأمره أن يأخذ قارورتين مملوءتين ماء، وأن يمسك كل واحدة منهما بيد، ففعل ما أمره الله تعالى به وبقي ممسكاً لهما حتى أخذه النوم، فجعل يدفع النوم ويغلبه حتى استولى عليه النوم، فسقطت القارورتان وانكسرتا وهريق ماؤهما، فعلّمه الله تعالى أن الذي يمسك السمٰوات والأرض أن تزولا يستحيل عليه النوم والغفلة[1]،

(١) هذه القصة مشهورة جداً، يذكرها الوعاظ في مجالسهم، وسجَّلتها ـ يا للأسف ـ بعض كتب التفسير عند آية الكرسي، من مثل: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣٤٠ ـ ٣٤١، ط. دار الكتب العلمية)، وذكرها السمعاني في «تفسيره» (١/ ٢٥٧) فقال: «وفي الأخبار أن موسى عليه السلام قال: يا رب لك نوم...» وساقها، وهي من نسج بني إسرائيل، وتحمل معنى لا يجوز في حق الأنبياء فضلاً عن واحد من أولي العزم من الرسل الكرام ـ عليه وعلى نبينا محمد وسائر النبيين أفضل الصلاة والسلام ـ.

والأدهى من ذلك كله أنها تذكر على لسان رسول الله ﷺ!! وقد تفطن جماعة من المحققين وثُلّة من المحررين إلى بيان عوارها، وما تحمل في طياتها من معانٍ غير جائزة، وإلى التفصيل والبيان:

أخرجها أبو يعلى في «المسند» (١٢/ ٢١) رقم (٦٦٦٩)، والدارقطني في «الأفراد» (٥/ ٢٢٤) رقم (٥٢٢٩) ـ ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٣٩) رقم (٢٢)، ومن طريقهما ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٥٧ ـ ١٥٨) ـ وابن جرير في «التفسير» (٣/ ٨ أو ٥/ ٣٩٤ رقم ٥٧٨٠، ط. شاكر)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٣٢ ـ ١٣٣) رقم (٧٩)، وابن مردويه ـ كما في «الكافي الشاف» (١/ ٣٠٠) بذيل «الكشاف» أو (٢٢ بآخره)، و«تخريج الكشاف» للزيلعي (١/ ١٥٩) وأورد إسناده ـ؛ من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل، ثنا هشام بن يوسف، عن أمية بن شبل، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن أبي هريرة؛ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر قال: ... وذكرها.

قال الدارقطني في «الأفراد» (٥/ ٢٢٤ ـ أطرافه): «غريب من حديث عكرمة عنه، تفرد به الحكم بن أبان وعنه أمية بن شبل، وعنه هشام بن يوسف الصنعاني».

وقال ابن عساكر عقبه: «تابعه ـ أي إسحاق ـ يحيى بن معين عن هشام».

قلت: متابعة ابن معين، أخرجها الخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٢٦٨) ـ ومن طريقه ابن =

= الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٤٠) رقم (٢٣) ـ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٣٢ ـ ١٣٣) رقم (٧٩)، وقال الخطيب: «هكذا رواه أمية بن شبل عن الحكم بن أبان موصولاً مرفوعاً، وخالفه معمر بن راشد فرواه عن الحكم عن عكرمة قوله، لم يذكر فيه النبي ﷺ ولا أبا هريرة».

وقال ابن عساكر: «ورواه معمر عن الحكم، فجعله من قول عكرمة».

قلت: أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (١/ ١١٣ رقم ٣٢١، ط. المعرفة) ـ ومن طريقه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٤٨٨) رقم (٢٥٨٤)، وابن جرير في «التفسير» (٣/ ٧ ـ ٨ أو ٥/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤ رقم ٥٧٧٩، ط. شاكر)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٥٨ ـ ١٥٩) ـ قال ـ أي عبد الرزاق ـ: أخبرنا معمر؛ قال: أخبرني الحكم بن أبان، عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: «إن موسى سأل الملائكة: هل ينام ربنا ـ تبارك وتعالى ـ؟ قال: فأوحى الله إلى الملائكة، [وأمرهم] أن يؤرقوه ثلاثاً، فلا يتركوه ينام، ففعلوا [ذلك]، ثم أعطوه قارورتين، فأمسكهما، ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما».

قال: «فجعل ينعس وهما في يديه، في كل يدٍ واحدة، فجعل ينعس وينتبه، وينعس وينتبه، حتى نعس نعسة فضرب إحداهما بالأخرى، فكسرهما». قال معمر: إنما هو مثل ضربه الله له، يقول: فكذلك السماوات والأرض في يديه، يقول: فكيف ينعس».

والقصة منكرة وإسنادها مضطرب، فتارة يرويها الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة مرفوعاً، وتارة عن عكرمة من قوله لا يتعدَّاه.

والحكم بن أبان العدني أبو عيسى وثقه جماعة؛ كابن معين في «تاريخه» (٢/ ١٢٣) وغيره، ولكنه كان يخطئ أحياناً بسبب حفظه، ذكره ابن حبان في «الثقات» (٦/ ١٨٥) وقال: «ربما أخطأ»، وقال ابن المبارك: «الحكم بن أبان وحسام بن مِصَكّ وأيوب بن سويد ارْمِ بهؤلاء». كذا في «الميزان» (١/ ٥٧٠)، وفي «التقريب» (١٧٤): «صدوق عابد وله أوهامٌ».

ورفع هذا الحديث من أوهامه، أو أوهام من هو دونه؛ فقد ذكر هذا الحديث الذهبي في «الميزان» (١/ ٢٧٦) في ترجمة أُميّة بن شبل الصنعاني، وقال: «له حديث منكر، رواه عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة مرفوعاً؛ قال: وقع في نفس موسى: هل ينام الله؟ . . . الحديث.

رواه عنه هشام بن يوسف، وخالفه معمر عن الحكم عن عكرمة، قوله، وهو أقرب، **ولا يسوغ أن يكون هذا وقع في نفس موسى،** وإنما روي أن بني إسرائيل سألوا موسى عن ذلك».

وأقره ابن حجر في «اللسان» (١/ ٤٦٧)، وقال في كتابه «تحفة النبلاء من قصص الأنبياء» (ص٣٤١ ـ ٣٤٢) عن إسناد ابن جرير: «غريب، والأشبه أن يكون موقوفاً من الإسرائيليات». =

= * **من ضعَّف القصة من العلماء:**

ضعَّف هذه القصة جماعة من أهل العلم، منهم:

* **البيهقي**، قال بعد أن أوردها بلفظ آخر عن أبي موسى الأشعري قوله ـ وسيأتي تخريجها ـ ثم مرفوعة عن أبي هريرة، قال في «الأسماء والصفات» (١/ ١٣٤): «متن الإسناد الأول أشبه أن يكون هو المحفوظ».

* **ابن الجوزي**، قال في «العلل المتناهية» (١/ ٤١): «قلت: ولا يثبت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ، وغالط من رفعه، والظاهر أن عكرمة رأى هذا في كتب اليهود فرواه، فما زال عكرمة يذكر عنهم أشياء».

ثم ذكر النكرة التي فيها، قال: «لا يجوز أن يخفى هذا على نبي الله ﷻ، وقد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب «السنة» عن سعيد بن جبير قال: «إنَّ بني إسرائيل قالوا لموسى ﵇: هل ينام ربنا؟»، هذا هو الصحيح؛ فإنَّ القوم كانوا جُهَّالاً بالله ﷻ».

* **الزيلعي**، قال في «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف» (١/ ١٥٩): «والظاهر أنَّ هذا الخبر من الإسرائيليات المنكرة، وإلا فكيف يجوِّز موسى ﵇ النوم على الله ﷻ، وهو يقول: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾».

* **القرطبي المفسر**، قال في «تفسيره» (٣/ ٢٧٣): «ولا يصح هذا الحديث، ضعَّفه غير واحد، منهم: البيهقي».

* **ابن كثير**، قال في «تفسيره» (١/ ٤٥٦، ط. الشعب) بعد رواية عبد الرزاق في «التفسير» عن عكرمة قوله: «وهو من أخبار بني إسرائيل، وهو مما يعلم أن موسى ﵇ لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله ﷻ، وأنه منزَّه عنه، وأغرب من هذا كله: الحديث رواه ابن جرير...»، وساقه عن أبي هريرة مرفوعاً، وقال: «وهذا حديث غريب جداً، والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع، والله أعلم».

وقال في «البداية والنهاية» (١/ ٢٩٣) و«قصص الأنبياء» (ص٤٣٥، ط. دار بغداد): «هذا حديث غريب رفعه، والأشبه أن يكون موقوفاً، وأن يكون أصله إسرائيلياً».

* **الإمام الذهبي**، وسبق كلامه.

* **أبو حيان الأندلسي**، قال في تفسيره «البحر المحيط» (٢/ ٢٧٨) بعد أن أورد المرفوع: «قال بعض معاصرينا: هذا حديث وضعه الحشوية، ومستحيل إن سأل موسى ذلك عن نفسه، أو عن قومه؛ لأن المؤمن لا يشك في أن الله ينام أو لا ينام؛ فكيف الرسل؟! انتهى».

* **الفخر الرازي**، قال في تفسيره «مفاتيح الغيب» (٧/ ٨): «الدليل العقلي دل على أن النوم والسهو والغفلة محالات على الله ـ تعالى ـ، لأنَّ هذه الأشياء: إما أن تكون عبارات عن عدم العلم، أو عن أضداد العلم، وعلى التقديرين؛ فجواز طريانها يقتضي جواز زوال علم الله ـ تعالى ـ، فلو كان كذلك؛ لكانت ذاته ـ تعالى ـ بحيث يصح أن =

= يكون عالماً، ويصح أن لا يكون عالماً، فحينئذٍ يفتقر حصول صفة العلم له إلى الفاعل، والكلام فيه كما في الأول، والتسلسل محال ـ أي أن يكون بعد كل معلول معلول آخر ـ فلا بد وأن ينتهي إلى من يكون علمه صفة واجبة الثبوت ممتنعة الزوال، وإذا كان كذلك كان النوم والغفلة والسهو عليه محالاً»، ثم ذكر القصة، وعقب عليها بقوله: «واعلم أن مثل هذا لا يمكن نسبته إلى موسى ﷺ؛ فإنَّ من جوَّز النوم على الله أو كان شاكاً في جوازه كان كافراً، فكيف يجوز نسبة هذا إلى موسى؟! بل إنْ صحت الرواية؛ فالواجب نسبة هذا السؤال إلى جهال قومه».

* **ابن عادل الحنبلي**، ذكر هذه القصة في تفسيره «اللباب» (٤/٣١٩) وقال: «واعلم أن مثل هذا لا يمكن نسبته إلى موسى...»، مثل كلام الرازي السابق، وقال قبلها: «نفى الله ـ تعالى ـ عن نفسه النوم؛ لأنه آفة، وهو منزَّه عن الآفات، ولأنه تغيُّر، ولا يجوز عليه التغيُّر».

* **أبو عبد الله محمد بن خليل السكوني الإشبيلي**، قال في كتابه «لحن العوام فيما يتعلَّق بعلم الكلام» (ص١٩٤ ـ ١٩٥) مشيراً إلى شهرة هذه القصة قديماً عند القصاص والوعاظ: «ويقول قائلهم ـ وأكثر ما يجرى هذا على ألسنة القصاص ـ: إن موسى ﷺ قال في مناجاته: «يا رب! هل تنام؟»، فأمره الله أن يأخذ زجاجتين في يده، ثم أرسل عليه النوم فسقطتا من يديه، فتكسرت الزجاجتان، والمعنى أنه ـ تعالى ـ لو اتّصف بالنوم لفسدت السماوات والأرض، ولا شك أن النوم مستحيل في حقه ـ تعالى ـ لوجوب قِدَمِه ـ تعالى ـ ووجوب قِدَم علمه وبقائه، فاستحال وجود ضده، والنوم ضد للعلم، ولاستحالة الآفات ودلائل الحدوث عليه ﷻ أيضاً».

قال: «ولكن هذا الكلام وما شابهه ممتنع من جهة أخرى، وهي وجوب عصمة الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ عن الجهل بالله ـ سبحانه ـ وبما يجب له، ويستحيل عليه ويجوز من أحكامه في خلقه، فلا يجوز هذا السؤال في حق موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هم المعلمون للخلق ما يجب لله ـ تعالى ـ وما يستحيل عليه، وما يجوز من أحكامه في خلقه، بأصح الطرق وأجلاها، والإجماع منعقد على عصمتهم من الجهل بالله ﷻ قطعي، والنقل للإسرائيليات غير قطعي؛ فوجب التعويل على القطعي وترك ما يعارضه مما ليس بقطعي» انتهى.

* **شيخنا الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ:**

قال في «السلسلة الضعيفة» (٣/١٢٣) رقم (١٠٣٤) عن المرفوع ـ وعزاه لابن جرير وابن عساكر فقط ـ: «**منكر**»، ثم قال عن رواية عكرمة الموقوفة: «وهذا هو اللائق بمثل هذا الحديث أن يكون موقوفاً على عكرمة، وهو تلقاه من بعض أهل الكتاب، فهو من الإسرائيليات التي لا يجب علينا التصديق بها، بل هو مما يجب الجهر بتكذيبه وبيان بطلانه، كيف لا؟! وفيه أن موسى كليم الله يجهل تنزُّه الله ـ تبارك وتعالى ـ عن السهو =

= والنوم، فيتساءل في نفسه: «هل ينام الله؟!»، وهل هذا إلا كما لو قال قائل: «هل يأكل الله تبارك وتعالى؟! هل كذا . . .؟! هل كذا . . .؟! وغير ذلك مما لا يخفى بطلانه على أقل مسلم» انتهى.

وبالجملة؛ فالصنعة الحديثية تقضي على إسناد هذه القصة بالاضطراب، وعلى متنها بالنكرة؛ إذ «خلق الله للعبد النوم؛ ليعلم به كيفية الانتقال من حالٍ إلى حالٍ، وصفةَ الخروج من دار إلى دار؛ فإنه موت أصغر، وقد يقال بنظر آخر: إنه يقظة صغرى، فإن نظرنا إليه من حيث عدم الحركة والحس والتصرف بالأفعال معه، قلنا: هو موت لعدم ذلك كله به، وقد قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقد قال النبي ﷺ: **«أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك»**[(١)]، وهذا كله ممتنع في حق الله ﷻ، وجاء هذا صريحاً فيما أخرجه مسلم[(٢)] عن أبي موسى الأشعري؛ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع، منها: **«إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام»**.

والنوم معروف لكل أحد، وإن اختلف تعريفه من جهة بيان سببه، قال البيضاوي وغيره من العلماء كلاماً في تعريفه وسببه ولعله مرتكز على قول الأطباء الأقدمين، ولعلماء الطب الحديث تعليل آخر للنوم لا نطيل به المقام؛ لأنه ليس هذا موضعه، ولأن تعليلات الجميع كلها ترجع إلى أن سبب النوم أمر جسماني محض، والله سبحانه منزه عن صفات الأجسام وعوارضها، وكيف يحدث ذلك للقيوم سبحانه الذي قام بنفسه بما هو عليه من كمال الغنى والعظمة وقام بجميع المخلوقات، وانظر للاستزادة: «روح المعاني» (٣/ ٨)، «المنار» لرشيد رضا (٣/ ٣٠).

لا شك أن القيومية تنافي السنة والنوم، فوجودهما مستحيل في حقه؛ لأن جميع الكائنات محتاجة إليه في بقائها بعد إيجادها وإمدادها بما تحتاج إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في «الجواب الصحيح» (٣/ ٢٠٩):

«إن الله موصوف بصفات الكمال الثبوتية؛ كالحياة، والعلم، والقدرة، فيلزم من ثبوتها سلب صفات النقص، وهو سبحانه لا يمدح بالصفات السلبية إلَّا لتضمنها المعاني الثبوتية، فإن العدم المحض والسلب الصرف لا مدح فيه ولا كمال؛ إذ كان المعدوم يوصف بالعدم المحض، والعدم نفي محض لا كمال فيه، إنما الكمال في الوجود.

ولهذا جاء كتاب الله ـ تعالى ـ على هذا الوجه، فيصف سبحانه نفسه بالصفات الثبوتية صفات الكمال وبصفات السلب المتضمنة للثبوت؛ كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فنفي أخذ السنة والنوم يتضمن كمال حياته وقيوميته؛ إذ النوم أخو الموت، ولهذا كان =

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٦٨٠) عن أبي هريرة ضمن حديث طويل.

(٢) برقم (١٧٩)، وخرجته بتفصيل في تحقيقي لـ«أمالي المحاملي» (رقم ٥٨ ـ رواية ابن مهدي).

= أهل الجنة لا ينامون مع كمال الراحة، كما لا يموتون.
والقيوم: القائم المقيم لما سواه، فلو جعلت له سنة أو نوم لنقضت حياته وقيوميته، فلم يكن قائماً ولا قيوماً، كما ضرب الله المثل لبني إسرائيل، لما سألوا موسى: هل ينام ربك؟ فأرقه ثلاثاً، ثم أعطاه قوارير فأخذه النوم فتكسرت»، وانظر: «التدمرية» (١٠)، و«الرد على المنطقيين» (١٩٢).

*** أصل القصة:**

إن هذا السؤال وقع لجهال بني إسرائيل لموسى، وممن اقتصر على هذا: الزمخشري في «تفسيره» (١/ ١٥٣)، قال في تفسير آية الكرسي: «أي: لا يأخذه نعاس ولا نوم، وهو تأكيد للقيوم؛ لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً، ومنه حديث موسى أنه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية: أينام ربنا؟ فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ثلاثاً ولا يتركوه ينام، ثم قال: خذ بيدك قارورتين مملوأتين وألقى الله عليه النعاس، فضرب إحداهما على الأخرى، فانكسرتا، ثم أوحى إليه: قل لهؤلاء أني أمسك السماوات والأرض بقدرتي، فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا».

ولا بد هنا من التنبيه على ثلاثة أمور:

الأول: قوله: «وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية»، وهذا من كلام الزمخشري توجيهاً، أدرجه في الخبر. قاله ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص٢٢).

الثاني: أن قوله: «كطلب الرؤية» يعني: إن طلب الرؤية هو عنده من باب المستحيل، كما استحال النوم في حقه، وهذا من عادته في نصرة مذهبه، يذكره حيث لا تكون الآية تتعرض لتلك المسألة.

الثالث: قوله: «سأل الملائكة» لم يرد هذا في خبر البتة.

وأحسن الآلوسي في «روح المعاني» (٣/ ٨ ـ ٩) ومن قبله السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٥) إذ لم يوردا إلا خبر ابن عباس، وهو ما أخرج ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٤٨٧) رقم (٢٥٨٠)، وعنه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٥٢ ـ ٤٥٤) رقم (١٣٨) قال: حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية، ثنا أحمد بن عبد الرحمٰن الدَّشْتكي، حدثنا أبي، عن أبيه، ثنا الأشعث بن إسحاق، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن بني إسرائيل قالوا: يا موسى! هل ينام ربك؟ قال: اتقوا الله. فناداه ربه: يا موسى! سألوك هل ينام ربك؟ فخذ زجاجتين بيديك، فقم الليل. ففعل موسى، فلما ذهب من الليل ثلث نعس، فوقع لركبتيه ثم انتعش، فضبطهما حتى إذا كان آخر الليل نعس، فسقطت الزجاجتان فانكسرتا فقال: يا موسى! لو كنت أنام لسقطت السماوات والأرض، فهلكن كما هلكت الزجاجتان بيديك. فأنزل الله على نبيه ﷺ آية الكرسي.

وهذا هو الأشبه بهذه القصة أن تكون من سؤال بني إسرائيل لموسى، لا من سؤال موسى لربه ـ تبارك وتعالى ـ، وهذا ما ارتضاه جمع من العلماء في سابق كلامهم. =

والصفة الثانية: إن السمٰوات والأرض وما فيهما ملك له وتحت تصرفه. **الثالثة**: إن أحداً لا يتجرأ على الشفاعة عنده إلا إذا أذن له. **الرابعة**: إن علمه قد أحاط بكل شيء. **الخامسة**: إنه لا أحد من الخلق يعلم شيئاً إلا ما علمه الله تعالى. **السادسة**: إن السمٰوات والأرض بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة، وهو

= مع ملاحظة أن في سنده جعفر بن أبي المغيرة، وثقه أحمد وابن حبان، لكن قال ابن منده: «ليس بالقوي في سعيد بن جبير»، وقد اضطرب فيه:

فمرة رواه عن سعيد عن ابن عباس قوله كما تقدم.

ومرة جعله من قول سعيد، أخرجه الحكيم الترمذي في «الرد على المعطلة» (ق١٠٩/أ)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦) رقم (١٠٢٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٧٦).

ومرة جعله عن سعيد عن ابن عباس؛ أن نبي الله ﷺ قال: إنَّ بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام: هل ينامُ ربك؟... وذكره بنحوه.

أخرجه ابن مردويه ـ كما في «الدر المنثور» (٢/ ١٥) ـ ومن طريقه الضياء في «المختارة» (١٠/ ١١٣ ـ ١١٤) رقم (١١١).

وهذا الاضطراب يُضَعِّف القصة أيضاً، وقوله في آخرها: «لو كنت أنام...» فيه النكرة السابقة.

ووردت القصة عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قوله، أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٣٢) رقم (٧٨) قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصاغاني، ثنا عاصم بن علي، ثنا المسعودي، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه؛ قال: إن موسى عليه السلام قال له قومه: أينام ربنا؟ قال: «اتقوا الله إن كنتم مؤمنين» فأوحى الله عز وجل إلى موسى أن خذ قارورتين واملأهما ماءً. ففعل، فنعس فنام، فسقطتا من يده فانكسرتا، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: إني أمسك السماوات والأرض أن تزولا، ولو نمت لزالتا».

وهذا **إسناد ضعيف**، المسعودي اسمه عبد الرحمٰن بن عبد الله، اختلط، وعاصم بن علي ممن سمع منه بعد الاختلاط. قاله الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله. انظر: «الكواكب النيرات» (٢٨٧)، و«المختلطين» للعلائي (ص٧٣)، و«الشذا الفياح» (٢/ ٧٥٧).

وقد اضطرب فيه أيضاً؛ فجعله مرة عن أبي بردة عن أبي موسى قوله، أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥) رقم (١١٩) من طريق عاصم بن علي، عن المسعودي، به.

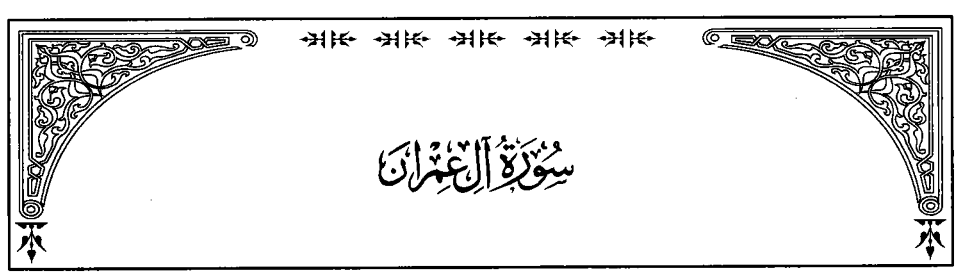
وعلى أيٍّ؛ **القصة لم يثبت لها إسناد، والأشبه أن تكون من قول أبي بردة كما قال البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٣٤) أو سعيد بن جبير، ذكراه من كلام بني إسرائيل، وموسى كليم الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ منزَّه عن مثل هذا السؤال، والله الموفق للخيرات والهادي للصالحات.**



رب العرش والكرسي وخالقهما وحافظ وُجودهما. **السابعة**: إن حفظ السمٰوات والأرض لا يكرثه ولا يثقل عليه ولو مثقال ذرة أو أقل، فلذلك كانت أعظم آية في القرآن.

فصل

اختلفت الأقوال في الكرسي، ونحن نؤمن بكل ما جاء عن النبي ﷺ وعن صحابته وسائر السلف الصالح، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.



الباب الأول

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧]

قال (ك): «يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد[١]، ومنه آيات أُخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردّ ما اشتبه إلى الواضح منه وحكّم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى، ومن عكس انعكس، ولهذا قال تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾ أي: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد، وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه، فرُوي عن السلف عبارات كثيرة:

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وأحكامه ما يؤمر به[٢] ويعمل به»، وعن ابن عباس أيضاً أنه قال: المحكمات قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١] والآيات بعدها، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى ثلاث آيات بعدها ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ﴾

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أحدٌ من الناس».

(٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وحدوده وفرائضه وما يؤمر به».

أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرِّفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزِّلوه عليها لاحتمال لفظه لما[1] يصرفونه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دامغ[2] لهم وحجة عليهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي: الإضلال لأتباعهم، إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهو[3] حجة عليهم لا لهم، كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وتركوا الاحتجاج بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ٥٩] وبقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩] وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرِّحة بأنه خَلْق من مخلوقات الله، وعَبْد ورسول من رسل الله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ أي: تحريفه على ما يريدون[4] وقال الإمام أحمد بسنده عن عائشة أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فقال: «**إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عنى الله، فاحذروهم**»[5]. وقال الإمام أحمد بسنده إلى أبي غالب قال: سمعت أبا أمامة يحدث عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ قال: هم الخوارج[6]، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال: «هم الخوارج»[7].

---

(١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «كما»!
(٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «دافع»!
(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وهذا». (٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يريدونه».
(٥) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٤٦٦٥)، وأحمد (٦/ ٤٨) من حديث عائشة، وانظر ـ لزاماً ـ: «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٦٩ ـ بتحقيقي).
(٦) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ رقم ٨١٥٠)، والطبراني (٨٠٤٦)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٥٥)، والواحدي في «الوسيط» (١/ ٤٧٦)، والبيهقي (٨/ ١٨٨)، وعزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٢) لابن مردويه والنحاس، وورد نحوه عنه في قصة مطولة خرجتها في تعليقي على «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٧٢) وله شاهد من حديث ابن أبي أوفى، خرجته مفصلاً في تعليقي على «الحنائيات» رقم (٢٢٥)، وهو بها **صحيح** إن شاء الله تعالى.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ رقم ٣٩٥٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٣٧٩)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص١٣٢ ـ ١٣٣)، والكائي في «السنة» (١/ ٧٢) =



قال (ك): «وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفاً من كلام الصحابي، ومعناه صحيح، فإن أوّل بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوراج وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسّم النبي ﷺ غنائم حنين، فكأنهم رأوا في عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل في القسمة، ففاجؤوه بهذه المقالة، فقال قائلهم ـ وهو ذو الخويصرة ـ: اعدل فإنك لم تعدل، فقال رسول الله ﷺ: **«لقد خبتَ وخسرتَ، إن لم أكن أعدل فمن يعدل، أيأمنني من في السماء على أهل الأرض ولا تأمنوني؟»**. فلما قضي الرجل استأذن عمر بن الخطاب ـ وفي رواية خالد بن الوليد ـ في قتله فقال: **«دعه، فإنه يخرج من ضئضئ هذا ـ أي من جنسه ـ قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وقراءته مع قراءتهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم»**[(١)]. ثم كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب وقتلهم بالنهروان، ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل، وآراء وأهواء ومقالات ونِحل كثيرة منتشرة[(٢)]، ثم انبعث القدرية ثم المعتزلة ثم الجهمية، وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق ﷺ في قوله: **«وستفترق هذه الأمة على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»**. قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: **«من كان على ما أنا عليه وأصحابي»**[(٣)]. أخرجه الحاكم في «مستدركه» بهذه الزيادة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ الآية اختلف العلماء في الوقف على اسم الجلالة: هو الصواب أم الصواب الوقف على قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾؟ وأكثر علماء السلف يقولون بالوقف على اسم الجلالة، لاعتقادهم أن معنى التأويل هنا ليس التفسير بل حقيقته وما يؤول إليه في نفس الأمر، وهذا لا يعلمه إلا الله، ككيفية استوائه ﷻ على عرشه، وكيفية إتيانه ومجيئه، فليس في طاقة البشر علم ذلك، أما معنى الاستواء وهو العلو فإنه معلوم، وكذلك النزول

= رقم (٧٤)، والآجري في «الشريعة» (ط دار الوطن)، وأبو نصر السجزي في «الإبانة» ـ كما في «الدر المنثور» (٢/ ٢٩١) ـ **بسندٍ واهٍ مسلسل بالضعفاء**، فيه علي بن قدامة، لين، ومجاشع بن عمرو متّهم، وميسرة بن عبد ربه، مثله، بل أسوأ منه حالاً!

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٣) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) انظر عنهم ـ قديماً وحديثاً ـ كتابي: «العراق في أحاديث وآثار الفتن» وهو مطبوع، ولله الحمد.

(٣) سبق تخريجه.

والإتيان والمجيء معناها معروف في اللغة، وقد آمن به السلف الصالح ومن اتبعهم، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، قال (ﷺ): أي: إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة»[(١)]. هـ.

فصل

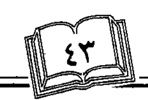
قال محمد تقي الدين: كل من يتعاطى ما يسمى بعلم الكلام؛ لا بد أن يكون من أهل الجدل، وهم الذين يتبعون ما تشابه منه، وقد حذرنا رسول الله ﷺ أن نكون منهم أو أن نغتر بأقوالهم.

قال أبو عمر في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» ما نصه:

«أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع [في جميع الأمصار][(٢)] في طبقات العلماء، وإن العلماء[(٣)] أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم، وذكر بسنده إلى أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن خويز منداد المصري[(٤)] المالكي قال في «كتاب الإجارات» من كتابه في «الخلاف»: قال مالك: لا تجوز الإجارات[(٥)] في شيء من كتب الأهواء[(٦)] والبدع والتنجيم، وذكر كتباً ثم قال: وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وتفسخ الإجارة في ذلك، [قال]: وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك[(٧)]، وقال في «كتاب الشهادات» في تأويل قول مالك: لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء، قال: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع، أشعرياً كان أو غير أشعري، ولا تقبل له[(٨)] شهادة في الإسلام أبداً، ويُهجَر ويؤدب على بدعته فإن تمادى

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٧ ـ ١٧) بتصرف.
(٢) غير موجود في مطبوع «جامع بيان العلم».
(٣) في مطبوع «جامع بيان العلم»: «طبقات الفقهاء وإنما العلماء».
(٤) كذا في مطبوع «جامع بيان العلم»، وفي الأصل: «البصير»!
(٥) في مطبوع «جامع بيان العلم»: «الإجارة».
(٦) في مطبوع «جامع بيان العلم»: «أهل الأهواء».
(٧) انظر للاستزادة كتابي: «كتب حذر منها العلماء» (١/ ٢٥ ـ ٥٠).
(٨) في مطبوع «جامع بيان العلم»: «لهم».



عليها استتيب منها، قال أبو عمر: ليس في الاعتقاد [كله] في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صحَّ عن رسول الله ﷺ أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد من ذلك كله، أو نحوه يسلَّم له، ولا يناظر فيه»(١).

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: ٥٥]

قال محمد تقي الدين: يموِّه النصارى على الجهال من المسلمين؛ فيقولون لهم: أنتم تدعون أن عيسى لم يمت ولم يقتل وكتابكم يشهد بأنه مات ففي سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ وهذا موافق لاعتقاد النصارى، فأقول وبالله التوفيق: هذا التمويه مردود من وجوه:

الأول: إن التوفي لا يدل دائماً على الموت، قال تعالى في سورة الأنعام: الآية ٦٠. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠] أي: يستوفي مدة يقظتكم فتنامون بالليل ثم تستيقظون بالنهار، والله يعلم ما تفعلون بالنهار من خير وشر، بدليل ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقال تعالى في سورة الزمر الآية ٤٢: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: ٤٢] فقد أطلق الله تعالى التوفي على التي ماتت وعلى التي لم تمت، وأخبر أنه يرسلها فتستيقظ، وتعيش إلى أن ينقضي أجلها، فمعنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ مستوف مدة إقامتك في الأرض.

الدليل الثاني: هو أن التوفي إذا قدر أنه هنا بمعنى الإماتة؛ فمن المعلوم عند جميع العرب والنحاة أن الواو لمطلق الجمع لا تفيد تعقيباً ولا ترتيباً. قال تعالى في سورة الأحزاب الآية ٧: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، الخطاب في ﴿مِنكَ﴾ لمحمد ﷺ، فمن توهم أن الواو تفيد

---

(١) انظر: «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٤٢ ـ ٩٤٣).

تعقيباً يلزمه أن يقول: إن الله أخذ الميثاق من محمد ﷺ قبل أن يأخذه من نوح، وكفى بقول يفضي إلى هذا إسفافاً وبطلاناً.

الدليل الثالث: قوله تعالى سورة النساء الآية ١٥٧: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨] وسيأتي لهذا المقام زيادة بيان فيما سأنقله بعد إن شاء الله من كتابي «البراهين الإنجيلية»(١).

الدليل الرابع: قال البخاري في «صحيحه»: (باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام) وقال بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية**(٢) **ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها**»، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩] وروى بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**». تابعه عُقَيل والأوزاعي». اهـ(٣).

قال الحافظ في «الفتح»: «قوله: «**والذي نفسي بيده**» فيه الحلف في الخبر مبالغة في تأكيده»(٤).

قال محمد تقي الدين: هذا كلام من أنزل عليه قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ الآية، ولو كان معنى التوفي الإماتة، فكيف ينزل في آخر الزمان؟! والله تعالى يقول حكاية عن قول المشركين: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]؟ فلو مات عيسى عليه السلام قبل رفعه إلى الله تعالى ثم أحيي، ونزل إلى الأرض في آخر الزمان وحكم بشريعة محمد ﷺ مدة إقامته معهم، ثم مات ـ ولا بد من الموت؛ لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ـ يكون قد مات ثلاث موتات: موتة قبل أن تنفخ فيه الروح، وموتة قبل رفعه، وموتة ثالثة عند انقضاء أجله، فالذين حكوا أنه مات ثلاث ساعات

---

(١) انظر منه (ص٣٩ وما بعد).

(٢) كذا في مطبوع «صحيح البخاري»، وفي الأصل: «الحرب»!!

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٨، ٣٤٤٩).

(٤) انظر: «فتح الباري» (٦/ ١٠٠).

قبل رفعه أو أكثر من ذلك ليس لهم دليل، وقد غفلوا غفلة عظيمة ووافقوا النصارى في زعمهم، ولا يختلفون معهم إلا في ادعاء الصلب والقتل.

الدليل الخامس: قال تعالى في سورة النساء الآية ١٥٩: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩] قال (ك): «قال (ج): «اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ[(١)] قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ يعني: قبل موت عيسى، يوجِّه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال؛ فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام.

ذكر من قال ذلك: عن ابن عباس: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: «قبل موت عيسى ابن مريم عليه السلام [لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به][(٢)]. وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ يعني: اليهود خاصة، وعن الحسن: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: قبل موت عيسى، والله إنه لحي الآن عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون، وقال ابن أبي حاتم بسنده إلى جويرية بن بشير قال: سمعت رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، قول الله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: قبل موت عيسى إن الله رفع إليه عيسى، وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاماً يؤمن به البر والفاجر[(٣)]، وكذا قال قتادة وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم وغير واحد، وهذا القول هو الحق كما سنبيّنه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان، قال (ج): وقال آخرون: يعني بذلك[(٤)] ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ بعيسى قبل موت الكتابي [ذكر من][(٥)] كان يُوجِّه ذلك إلى أنه إذا عاين علم الحق من الباطل؛ لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه.

---

(١) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يعني بعيسى».
(٢) ما بين المعقوفتين ليس من كلام ابن عباس، وإنما هو من كلام أبي مالك (شيخ لابن جرير) كما في مطبوع «تفسير ابن كثير».
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١١١٣).
(٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «معنى ذلك».
(٥) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن جرير».

قال: (ح): «وقال آخرون: معنى ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي» ثم قال (ح): «وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول، وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام» ولا شك أن هذا الذي قاله (ح) هو الصحيح لأنه[١] المقصود من السياق في تقرير بطلان ما ادَّعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك؛ فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شُبِّه لهم فقتلوا الشَّبَهَ وهم لا يتبيّنون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وإنه باقٍ حيٌّ، وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة»[٢]اهـ. ثم ذكر (ك) أحاديث كثيرة من «الصحيحين» وغيرهما في إثبات نزول عيسى لا نطيل بذكرها[٣].

الدليل السادس:

قال محمد تقي الدين: وهو حجة على النصارى أنقله من كتابي «البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ولا حظ له في الأولوهية»[٤] ونصه:

خاتمة في الأدلة على أن قصة الصلب موضوعة:

الدليل الأول: إن الإنجيل يشهد بأن عيسى كان معروفاً عندهم، وكان يخطب في المسجد الأقصى الذي كانوا يسمونه بهيكل سليمان، فلا حاجة أن يستأجر اليهود من يدلهم عليه بثلاثين درهماً.

الدليل الثاني: أنهم حكموا أن التلميذ الثاني[٥] عشر يهوذا

---

(١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «لا»!

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٤١ ـ ٣٤٥) و«تفسير ابن جرير» (٧/ ٦٦٧، ٦٧٢).

(٣) جمعها غير واحد في مصنفات مفردة، أوعبها كتاب الكشميري «التصريح بتواتر نزول المسيح»، وهو مطبوع متداول.

(٤) نشر هذا الكتاب في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية على حلقتين: **الأولى:** المجلد (١٧) العدد (٢) بتاريخ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ، ١٩٩٥م، (ص ٩ ـ ١٥) **والثانية:** المجلد (١٧) العدد (٣)، جمادى الآخرة، ١٤٠٥هـ ـ مارس ١٩٨٥م (ص١١ ـ ٢٣) وطبع قبلها في مطابع الثقافة بمكة حي الزاهر ـ عام ١٩٩٣م ـ في (٤٥) صفحة والنقل الآتي منه. وانظر منه (ص١٧ ـ ١٩) بنحوه، ثم وجدته نشر في مجلة «الإحياء» المغربية، المجلد الثاني، الجزء الأول، رجب ـ ذو الحجة ١٤٠١هـ ـ ماي ـ أكتوبر ١٩٨١م (ص٩ ـ ٢٥).

(٥) في الأصل: «الثا»!



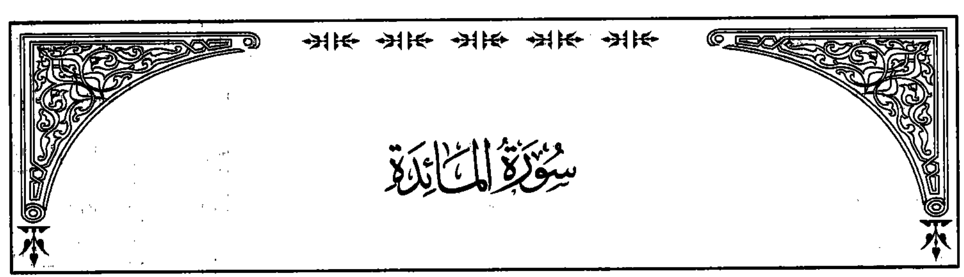
«الأسخريوطي»[(١)] أخذ من اليهود ثلاثين درهماً على أن يدلهم عليه، فلما دلهم عليه وقضوا عليه رد لهم الدراهم، وندم وتبرأ من عملهم وخنق نفسه، كل هذا وقع في أقل من أربع وعشرين ساعة، وفيه متناقضات لا تخفى.

الدليل الثالث: وهو أعظمها بل هو وحده كافٍ في بطلان هذه القصة، وذلك أنه عندما حكم عليه اليهود بالقتل وأرادوا موافقة الحاكم «بيلاطوس» وبعثوه إليه، ففي (الفصل ـ ٢٧ـ) من «إنجيل متى» رقم (١١) أن الحاكم سأله، فقال له: هل أنت ملك اليهود؟ فقال له: أنت تقول، ولما اشتكاه رؤساء اليهود ورجال الدين عندهم بأنه كَفَر، وقال في الدين ما استوجب به القتل، سأله بيلاطوس: ألا تسمع إلى ما يقولون وما يشهدون به عليك، فأبى أن يتكلم أو ينطق ولو بكلمة واحدة، فسيؤوّل ذلك النصارى على أنه كان يريد الصلب؛ لأجل فداء الناس ومغفرة ذنوبهم، إذن فلماذا سأل الله أن يصرف عنه تلك الكأس ـ يعني القتل ـ؟ ولماذا صاح وهو على الصليب ونصه بالسريانية: إلي، إلي لا ما شبكتني؟ وآل اسم الله تعالى بالسريانية والعبرانية ومنه جبريل ولفظه بالسريانية كبرائيل «فكبرا» معناه بالسريانية رجل، وآل اسم الله وهو رجل الله الذي يرسله إلى أنبيائه، ومعنى: «إلي، لا ما شبكتني؟» أي: إلٰهي إلٰهي لماذا أخلفت وعدك لي؟ أي: بالنجاة من اليهود، وهذه كلمة كفر؛ لأن عيسى معصوم أن يتهم الله تعالى بالكذب والغدر. كيف يسكت عن بيان الحق ولو لم تكن فيه تبرئة نفسه واتباعه وتبرئة الحق وهو الفصيح اللسان الذي كان يخطب الخطب الطويلة ويملؤها تقريعاً وتوبيخاً لعلماء اليهود، لا يستطيع عاقل أن يصدق ذلك، وإذا بطلت قصة الصلب والفداء انهدم جميع ما يبني عليه النصارى عقيدتهم من الأساس».

قال محمد تقي الدين: وفي قوله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾ [النساء: ١٥٧] دليل واضح على أن الله في السماء على عرشه، وسيأتي بسط القول إن شاء الله وبيان (أدلة العلو) في (سورة الأعراف).

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: «معجم الحضارات السامية» (ص٩٢٧).



الباب الأول

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

[المائدة: ٥٤]

قال (ك): «يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه وأشدّ مَنَعة وأقوم سبيلاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨] وقال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠] أي: بممتنع ولا صعب، وقال تعالى ههنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ أي: يرجع عن الحق إلى الباطل، قال الحسن البصري: نزلت في أهل الردّة أيام أبي بكر، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه، رواه ابن أبي حاتم[(١)]»[(٢)].

قال محمد تقي الدين: كل من قاتل قوماً مرتدين أو خارجين على إمام حق فإنه يدخل في هذا المعنى، وكل من جاهد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا بعد وفاة النبي ﷺ فإنه من هؤلاء القوم، والمراد هنا إثبات صفة المحبة لله

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٠)، وابن جرير في «تفسيره» (٨/ ٥١٩)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٤٢٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣١٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٦٢) وزاد السيوطي في نسبته في «الدر المنثور» (٥/ ٣٥٣) لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وخيثمة الأطرابُلسي، **وإسناده صحيح** إلى الحسن.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٥٨ _ ٢٥٩).

تعالى فإنه ﴿يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: ٤] و﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢] ويحب كل من اتبع رسوله محمداً ﷺ كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١] فالله تعالى يحب عباده المؤمنين وكما أن علمه منزه عن مشابهة علم المخلوقين، فكذلك محبته وغضبه وسخطه ورضاه ورحمته وعجبه، كل ذلك نثبته لله تعالى، وقد نفته الجهمية جهلاً منهم، فمحبته لعباده تقتضي الإنعام عليهم، وغضبه سبحانه يقتضي عقابه، وسيأتي مزيد من بيان هذه الصفات إن شاء الله. اهـ.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾ [المائدة: ٦٤]

قال القاسمي في «تفسيره»: «﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ أخرج الطبراني وابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود ـ يقال له: شأس بن قيس ـ: إن ربك بخيل لا ينفق، فنزلت[١].

وأخرج أبو الشيخ من وجه آخر عنه: نزلت في فنحاص، رأس يهود قينقاع، وتقدم أنه قال[٢]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾، فضربه أبو بكر الصديق[٣].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤٩٧) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧): «رواه الطبراني ورجاله ثقات»، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٤) وزاد نسبته لابن مردويه، ومدار إسناده على محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت (شيخ ابن إسحاق)، وهو مجهول، **فإسناده ضعيف**.

(٢) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «أنه الذي قال».

(٣) أخرجه ابن جرير (٦/ ١٩٤) عن عكرمة قوله، **وإسناده ضعيف**، فيه سنيد، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٤) لم يعزه إلا لابن جرير.

فيكون ما أريد بالآية هنا، ما حكي عنه بقوله المذكور، والله أعلم.

ولما لم ينكر على القائل قومه ورضوا به، نُسبَتْ تلك العظيمة إلى الكل، كما يقال: بنو فلان قتلوا فلاناً، وإنما القاتل واحد منهم، و(غل اليد) و(بسطها) مجاز مشهور عن البخل والجود، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] قالوا: والسبب فيه أن اليد آلة لأكثر الأعمال، لا سيما لدفع المال ولإنفاقه، فأطلقوا اسم السبب على المسبَّب، وأسندوا الجود والبخل إلى اليد والبنان والكف والأنامل[١]، ويقال للبخيل: كز الأصابع، مقبوض الكف، جعد الأنامل.

وقوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعاء عليهم بالبخل أو[٢] بالفقر والمسكنة، أو بغلِّ الأيدي حقيقة، «يغلّون» أي: بشد[٣] أيديهم إلى أعناقهم[٤] أسارى في الدنيا ومسحوبين إلى النار في الآخرة ﴿وَلُعِنُوا۟﴾ أي: أبعدوا عن الرحمة فلا يوفقون للتوبة ﴿بِمَا قَالُوا۟﴾ من الكلمة الشنيعة التي لا تصح في حق الله حقيقة ولا مجازاً ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي: بأنواع العطايا المختلفة. وتثنية[٥] «اليد» مبالغة في الردِّ ونفي البخل عنه تعالى وإثباتاً لغاية الجود، فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيده[٦] ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ تأكيد لما قبله، منبِّه على أن إنفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحِكَم، التي عليها يدور المعاش والمعاد.

وههنا مباحث:

الأول: ما زعمه الزمخشري ومن تابعه ـ من أن إثبات اليد لا يصح حقيقة له تعالى[٧] ـ فإنه نزغة كلامية اعتزالية.

قال الإمام ابن عبد البر في «شرح الموطأ»: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على

---

(١) بعدها في مطبوع «تفسير القاسمي»: «فقيل للجواد: فياض الكف، مبسوط اليد، وسبط البنان، نَزِهُ الأنامل».

(٢) من مطبوع «تفسير القاسمي»، وسقطت من الأصل.

(٣) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «تشد».

(٤) كذا في مطبوع «تفسير القاسمي»، وفي الأصل: «أعناقم».

(٥) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «وثنّى». (٦) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «بيديه».

(٧) انظر: «الكشاف» (١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١).

الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يحدّون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع، الجهمية والمعتزلة كلها، والخوارج، فكلهم ينكرونها ولا يحملون[١] شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها شَبّه[٢]، وهم عند من أقر بها[٣] نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة»[٤].

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب «إبطال التأويل»: «لا يجوز ردُّ هذه الأخبار[٥] ولا التشاغل بتأويلها[٦]، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله[٧]، لا تُشبّه بسائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد[٨] التشبيه فيها»، ثم قال: «ويدل[٩] على إبطال التأويل، أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين، حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها، ولو[١٠] كان التأويل سائغاً لكانوا إليه أسبق، لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة»[١١].

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى في كتاب «الإبانة» في (باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين) وذكر الآيات في ذلك، وردَّ على المتأولين بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته، مثل قوله: «فإن سئلنا: أتقولون: لله يدان[١٢]؟ قيل: نقول ذلك، وقد دلنا عليه[١٣] قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وقوله[١٤]: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وروي عن

(١) في مطبوع «التمهيد»: «ولا يحمل». (٢) في مطبوع «التمهيد»: «مشبه».
(٣) في مطبوع «التمهيد»: «أثبتها» بدل «أقر بها».
(٤) انظر: «التمهيد» (٧/ ١٤٥)، ونقل المصنف منه بواسطة «تفسير القاسمي».
(٥) بعدها في مطبوع «إبطال التأويل»: «على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة».
(٦) بعدها في مطبوع «إبطال التأويل»: «على ما ذهب إليه الأشعرية».
(٧) في مطبوع «إبطال التأويل»: «لله تعالى».
(٨) في مطبوع «إبطال التأويل»: «نعتقد». (٩) في مطبوع «إبطال التأويل»: «دليل».
(١٠) في مطبوع «إبطال التأويل»: «فلو».
(١١) انظر: «إبطال التأويل» (١/ ٤٣، ٧١) ونقل المصنف منه بواسطة «تفسير القاسمي».
(١٢) في مطبوع «الإبانة»: «إن لله يديه». (١٣) في مطبوع «الإبانة»: «دلَّ عليه».
(١٤) في مطبوع «الإبانة»: «وقوله ﷻ».

النبي ﷺ[1] أنه قال: «**إن الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته**»[2]. وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي ﷺ: «**إن الله خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده**»[3]، وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: عملت كذا بيدي، ويعني به النعمة، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري في مفهومها في كلامها، ومعقولاً في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان[4] أن يقول القائل: فعلتُ بيدي، ويعني به: النعمة، بطل[5] أن يكون معنى قوله ﷻ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ النعمة»[6]، وذكر كلاماً طويلاً في تقرير هذا ونحوه.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب «الإبانة» له، ونصه: [عن مسلم بن يسار الجهني، أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٧٥)، وأبو داود (٤٧٠٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٩٠)، وأحمد (١/ ٤٤)، وابن جرير (٩/ ١١٣)، وفي «التاريخ» (١/ ١٣٥)، وابن حبان (٦١٦٦)، والحاكم (١/ ٢٧ و٢/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥ و٥٤٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٥)، والبغوي (٧٧)، وفي «التفسير» (٢/ ٢١١، ٥٤٤) من حديث مسلم بن يسار الجهني عن عمر بن الخطاب ـ وسيأتي لفظه كاملاً عند سياق المصنف لكلام القاضي أبي بكر الباقلاني في «الإبانة» قريباً ـ **وهو ضعيف بهذا السياق**، قال شيخنا الألباني في «الضعيفة» (٧/ ٧٣) رقم (٣٠٧١): «**وفي أخذ الذرية من صلب آدم أحاديث أخرى صحيحة** أخصر من هذا وقد خرجت بعضها في «الصحيحة» (٤٨ ـ ٥٠) وليس في شيء منها مسح الظهر إلّا في حديث لأبي هريرة مخرج في «ظلال الجنة» (٢٠٤ ـ ٢٠٥) وفي كلها لم تذكر الآية الكريمة»، وانظر: «العلل» للدارقطني (٢/ ٢٢٢)، «التمهيد» (٦/ ٣ ـ ١٢).

(٢) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «فثبتت اليد وقوله ﷻ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾».

(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٢٥)، والدارقطني في «الصفات» (ص٤٥) (٢٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٥٥) من حديث عبد الله بن الحارث بن نوفل.
وأخرجه هناد بن السري في «الزهد» (١/ ٦٦) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٩٥)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ١١٨٣) (٧٥٧)، والذهبي في «العلو» (٢/ ٨٨٦) من كلام حكيم بن جابر مقطوعاً، وصححه شيخنا الألباني في «مختصره» مقطوعاً.
قال الذهبي في «الأربعين في صفات رب العالمين» (ص٨٠): «وصحَّ عن إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر»... فذكره.

(٤) في مطبوع «الإبانة»: «لا يجوز في لسان أهل البيان».

(٥) في مطبوع «الإبانة»: «فبطل».

(٦) انظر: «الإبانة عن أصول الديانة» (ص١٣١ ـ ١٣٢) بتصرف.

ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال رسول الله ﷺ «**إن الله ﷻ خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون**».

فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله به النار**](١). «فإن قال: فما الدليل على أن لله وجهاً ويداً؟ قيل له: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] فأثبت لنفسه وجهاً ويداً. فإن قال: فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إذ كنتم لا تعقلون وجهاً ويداً إلا جارحة؟ قلنا: لا يجب هذا(٢) ـ إذ لم نعقل حياً عالماً قادراً إلا جسماً ـ أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه». [قلنا لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]»](٣).

وقال الشيخ تقي الدين في «الرسالة المدنية»: «مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة(٤) ومن سلك سبيلهم من الخلف: إن هذه الأحاديث تُمرُّ كما جاءت ويؤمن بها وتُصدق وتصان عن تأويل يفضي إلى تعطيل، وتكييف يفضي إلى تمثيل، وقد أطلق غيرُ واحد ممن حكى إجماع السلف ـ منهم الخطابي ـ مذهب السلف أنها تجري على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، وذلك أن الكلام في الصفات فرع عن(٥) الكلام في الذات، يحتذى حذوه(٦) ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية»(٧).اهـ.

---

(١) سبق تخريج الحديث قريباً، وما بين المعقوفتين سقط من مطبوع «تفسير القاسمي».
(٢) بعدها في مطبوع «تفسير القاسمي»: «كما لا يجب».
(٣) ما بين المعقوفتين سقط من مطبوع «تفسير القاسمي».
(٤) بعدها في مطبوع «الرسالة المدنية»: «المفضلة».
(٥) في مطبوع «الرسالة المدنية»: «على».
(٦) في مطبوع «الرسالة المدنية»: «يحتذى فيه حذوه».
(٧) انظر: «الرسالة المدنية» (ص٢٩ ـ ٣٠)، ونقل المصنف بواسطة «تفسير القاسمي».

ويرحم الله الإمام يحيى الصَّرْصَري الأنصاري[1] حيث يقول من قصيدة:

إن المقال بالاعتزال لَخِطَّةٌ ... عمياءُ حلّ بها الغُواة المُرَّدُ
هجموا على سبل الهدى بعقولهم ... ليلاً فعاثوا في الديار وأفسدوا
صمٌّ إذا ذكر الحديث لديهم ... نفروا كأن لم يسمعوه وعربدوا[2]
واضرب لهم مثل الحمير إذا رأتْ ... أُسْدَ العرين فهنّ منه شُرَّدُ[3]

إلى أن قال:

يدعون من تبع[4] الحديث مشبِّهاً ... هيهات ليس مشبِّهاً مَنْ يُسندُ
لكنه يروي الحديث كما أتى ... من غير تأويل ولا يتأوَّدُ

الثاني: روى الإمام أحمد والشيخان[5] في معنى الآية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السمٰوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه، وكان عرشه على الماء، وفي يده الأخرى الغيض ـ أو القبض ـ يرفع ويخفض»**. وقال: **«يقول الله تعالى: أنفق أنفق عليك»**[6].

وفي **«تفسير الجلالين»** ما نصه: «﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ أي: لحرب النبي ﷺ: ﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ أي: كلما أرادوه ردهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: مفسدين بالمعاصي ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم»[7]. اهـ.

---

(١) هو يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمَّر بن عبد السلام الصَّرْصَري، الأديب اللغوي الشاعر الزاهد، قرأ القرآن بالروايات، وسمع الحديث من الشيخ علي البعقوبي، وحفظ الفقه واللغة، ويقال: إنه كان يحفظ «صحاح الجوهري» بكماله، وكان يتوقّد ذكاءً، وكان قد رأى النبي ﷺ في منامه وبشَّره بالموت على السنة، قتل شهيداً سنة (٦٥٦هـ). انظر ترجمته في: «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد» (٤/ ٢٧٨ ـ دار صادر)، و«المقصد الأرشد» (٣/ ١١٤) لابن مفلح، و«فوات الوفيات» (٤/ ٢٩٨ ـ دار صادر) وشعره فيه.

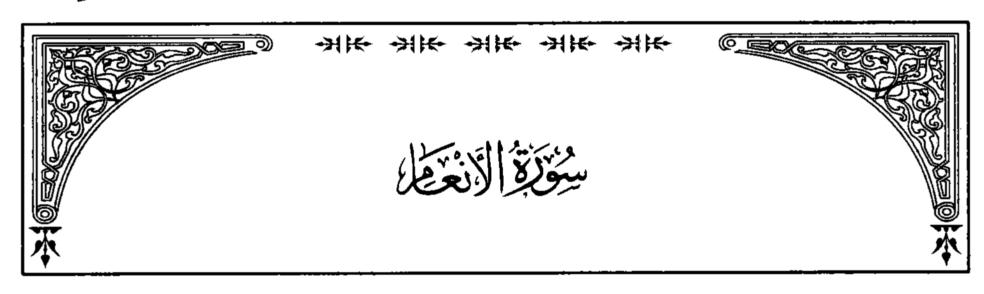
(٢) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «وغردوا»! (٣) في الأصل: «شرّدوا»: «شُرَّدُ».

(٤) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «يدعو من اتبع».

(٥) أخرجه البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣)، وأحمد (٢/ ٣١٣) إلّا أن لفظة: «يقول الله تعالى: «أنفق أنفق عليك»» غير موجودة في «صحيح البخاري».

(٦) انظر: «تفسير القاسمي» (٦/ ٢٧٢ ـ ٢٧٧).

(٧) انظر: «تفسير الجلالين» (ص١٣٩ و١٣٨) بتصرف.



الباب الأول

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨]

قال المحقق محمد صديق حسن القنوجي في تفسير هذه الآية:

«القهر: الغلبة، والقاهر: الغالب، وأقهر الرجل: إذا صار مقهوراً ذليلاً.

ومن الأول قوله: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ومن الثاني: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾ [الضحى: ٩] قيل: معنى ﴿فَوْقَ﴾ فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم، لا فوقية المكان، كما تقول: السلطان فوق رعيته، أي: بالمنزلة والرفعة، وقيل: هو صفة الاستعلاء الذي تفرد به سبحانه، فهو عليّ الذات، وسميُّ الصفات، وقال (ج): «معنى القاهر: المتعبد خلقه العالي عليهم، وإنما قال: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ لأنه تعالى وصف نفسه بقهره إياهم، ومن صفة كل قاهر شيئاً أن يكون مُستَعْلياً عليه»[(١)]. اهـ. أي: استعلاء يليق به، وقيل: هو القاهر مستعلياً أو غالباً، ذكره أبو البقاء[(٢)] والمهدوي، وفي القهر معنى زائد[(٣)] ليس في القدرة وهو: منع غيره عن بلوغ المراد، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمره ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بأفعال عباده»[(٤)].

فصل

قال محمد تقي الدين: إن صفة العلو والفوقية ثابتة لله تعالى، فهو فوق عرشه المجيد، بائن من خلقه، والجهمية حرمهم الله تعالى من إثبات هذه الصفة؛

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» (٩/ ١٨٠) بتصرف.

(٢) انظر: «الكليات» (ص٧٤٠).

(٣) في مطبوع «فتح البيان»: «زائدة».

(٤) انظر: «فتح البيان» (٢/ ٣٥٥).

لفساد عقولهم، فإنهم يقيسون الله تعالى على أنفسهم، ويزعمون أن الفوقية تستلزم الجهة وأن الجهة تستلزم التحيز، وفي ذلك تشبيه الله بخلقه ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤﴾ وسيأتي من الرد عليهم في سورة الأعراف ـ إن شاء الله ـ ما يدحض باطلهم، ويفضح ترهاتهم، وبالله التوفيق.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣]

قال (ك): «فيه أقوال للأئمة من السلف: **أحدها**: لا تدركه في الدنيا وإن كانت تراه في الآخرة، كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من غير طريق ثابت في «الصحاح» و«المسانيد» و«السنن» كما قال مسروق: عن عائشة أنها قالت: «من زعم أن محمداً ﷺ أبصر ربه فقد كذب» ـ وفي رواية: على الله ـ فإن الله تعالى قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾» رواه ابن أبي حاتم(١)، وثبت في «الصحيح» وغيره عن عائشة من غير وجه(٢).

عن يحيى بن معين قال: سمعت إسماعيل بن عُليَّة يقول في قول الله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قال: هذا في الدنيا، وذكر هشام بن عبد الله(٣) أنه قال نحو ذلك(٤).

وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من الآية، إنه لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة، فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك، مع ما ارتكبوه من الجهل بما دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله.

أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦٢)، وابن جرير (٩/ ٤٦٢) كلاهما في «التفسير»، والترمذي (٣٠٦٨)، وإسحاق في «مسنده» (٣/ ٨٠٣)، والدارمي في «نقض الإمام عثمان بن سعيد» (٢/ ٧٦١) وأصل الحديث في «الصحيحين» أخرجه البخاري (٣٢٣٤)، ومسلم (١٧٧) دون ذكر الآية.

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عبيد الله».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٣) وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٦٣) نسبته لأبي الشيخ.

٢٢، ٢٣]، وقال تعالى في الكافرين: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥] قال الإمام الشافعي: فدلّ هذا على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى[(١)] وأما السنة، فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة[(٢)] وأنس[(٣)] وجرير[(٤)] وصهيب[(٥)] وبلال وغير واحد من الصحابة[(٦)] عن النبي ﷺ أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين.

وقال آخرون: لا منافاة بين إثبات الرؤية ونفي الإدراك، فإن الإدراك أخص من الرؤية، ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم.

وقال آخرون: الإدراك أخص من الرؤية وهو الإحاطة، قالوا: ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية، كما لا يلزم من عدم إحاطة العلم عدم العلم، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] وفي «صحيح مسلم»: «**لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»[(٧)] ولا يلزم منه عدم الثناء فكذلك هذا، وعن عكرمة أنه قيل له: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى! قال: أكلها ترى[(٨)]؟ وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في الآية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾: وهو أعظم من أن تدركه الأبصار.

وقال (ج) «بسنده إلى عطية العوفي في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ قال: هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٦٨)، والبيهقي في «الاعتقاد» ص١٤٤)، وذكره السبكي في «طبقات الشافعية» (٢/ ٨١)، والأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٥) أخرجه البخاري (١٨١)، وأحمد (٤/ ٣٣٣)، والترمذي (٣١٠٥).

(٦) حديث بلال لم أجده، ولم يذكره الدارقطني في كتابه «الرؤية»، وقال اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٩٥): «فتحصل في الباب ممن روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفساً» وقد أخرج الآجري في «الشريعة» رواية اثني عشر صحابياً منهم رضوان الله عليهم.

(٧) أخرجه مسلم (٤٨٦).

(٨) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠).

محيط بهم، فذلك قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[1] وقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي: يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه؛ لأنه خلقها كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]»[2].

قال المحقق محمد صديق حسن القنوجي رحمه الله في «فتح البيان» عند تفسير هذه الآية ما نصه:

«﴿لَا تُدْرِكُهُ﴾ أي: لا تراه ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ جمع بصر، وهو حاسة النظر، أي: القوة الباصرة، وقد يقال للعين من حيث إنها محلها، أي: الحاسة، وإدراك الشيء عبارة عن الوصول إليه والإحاطة به، قال الزجاج: «أي لا يبلغ كنه حقيقته»[3] فالأبصار ترى الباري عز اسمه، ولا تحيط به، كما أن القلوب تعرفه ولا تحيط به، قال سعيد بن المسيب: «لا تحيط به الأبصار» وقال ابن عباس: «كلَّت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به».

فالمنفي هو هذا الإدراك لا مجرد الرؤية، فقد ثبتت الأحاديث المتواترة[4] تواتراً لا شك فيه، ولا شبهة، ولا يجهله إلا من يجهل السنة المطهرة جهلاً عظيماً، والحاصل أنه لا متمسك فيه لمنكري الرؤية على الإطلاق، وأيضاً قد تقرر في علم البيان والميزان أن رفع الإيجاب الكلي سلب جزئي، فالمعنى لا تدركه بعض الأبصار وهي أبصار الكفار، هذا على تسليم أن نفي الإدراك يستلزم نفي الرؤية الخاصة، والآية من سلب العموم لا من عموم السلب، والأول يخلفه الجزئية؛ والتقدير: لا تدركه كل الأبصار بل بعضها وهي أبصار المؤمنين، والمصير إلى أحد الوجهين متعين لما عرفناك من تواتر الرؤية في الآخرة واعتضادها بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾. وقد تشبث قوم من أهل البدع ـ وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة ـ بظاهر هذه الآية، ولا

---

(١) أخرجه الترمذي على إثر (٣٢٧٩)، والآجري في «التصديق بالنظر إلى الله» رقم (٦٣) وإسناده ضعيف.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٢٢ ـ ١٢٨) بتصرف.

(٣) بنحوه في «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٤) صرح بتواتر أحاديث الرؤية جمع، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٣٤٨)، وفي «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٩٠ و١٦/ ٨٤)، وابن القيم في «حادي الأرواح» (٤١٦)، وابن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية» (٢٠٩)، وابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٣٦).

يستتب ذلك مع ما[١] تقدمت الإشارة إليه، على أن مورد الآية التمدح وهو يوجب[٢] ثبوت الرؤية، إذ نفي إدراك[٣] ما تستحيل رؤيته لا تمدح فيه؛ لأن كل ما لا يرى لا يدرك، وإنما التمدح بنفي الإدراك مع تحقق الرؤية، فكانت الحجة لنا عليهم، ولو أمعنوا النظر فيها؛ لاغتنموا التفصي[٤] عن عهدتها، ومن ينفي الرؤية يلزمه نفي كونه تعالى معلوماً موجوداً، والكلام في ذلك يطول جداً، وقد أطال[٥] الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «حادي الأرواح» في إثبات الرؤية ورد المنكرين لها[٦]، والشوكاني في «البغية في مسألة الرؤية»[٧] بما لا مزيد عليه» ومضى إلى أن قال: «﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ أي: الرفيق بعباده، يقال: لطف فلان بفلان، أي: رفق به، واللطف في العمل: الرفق فيه، واللطف من الله تعالى: التوفيق والعصمة، وألطفه بكذا: إذا أبره[٨] والملاطفة المبارَّة وهكذا[٩] قال الجوهري وابن فارس[١٠]، و﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ المختبر لكل شيء بحيث لا يخفى عليه شيء»[١١].

وقال تعالى في سورة الأعراف [الآية: ١٤٣]: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال (ك): «يخبر تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لما جاء لميقات الله تعالى حصل له التكليم من الله، سأل الله تعالى أن ينظر إليه فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ

(١) في مطبوع «فتح البيان»: «ذلك كما». (٢) في مطبوع «فتح البيان»: «يجب».
(٣) كذا في مطبوع «فتح البيان»، وفي الأصل: «الإدراك»!
(٤) في مطبوع «فتح البيان»: «التقصي».
(٥) بعدها في مطبوع «فتح البيان»: «الواحد المتكلم».
(٦) انظر: «حادي الأرواح» (ص٤٠٢ ـ وما بعد).
(٧) منها نسخة خطية في مكتبة دار العلوم ـ ندوة العلماء، بلكناو، الهند، وعنها مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية تحت رقم (١٤٤٣ ميكروفلم ـ توحيد)، ونقل منها الباحث د. عبد الله نومسوك في كتابه «منهج الإمام الشوكاني في العقيدة» (٢/ ٨٢٢ ـ ٨٣٢).
(٨) بعدها في مطبوع «فتح البيان»: «برَّه». (٩) في مطبوع «فتح البيان»: «هكذا».
(١٠) انظر: «الصحاح» (٤/ ١٤٢٦ ـ لطف)، و«معجم مقاييس اللغة» (٥/ ٢٥٠ ـ لطف).
(١١) انظر: «فتح البيان» (٢/ ٤١٧ ـ ٤١٨).

إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ وقد أشكل حرف ﴿لَن﴾ ههنا على كثير من العلماء؛ لأنها موضوعة لنفي التأبيد، فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة[1]، وهذا أضعف الأقوال؛ لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، كما سنوردها عند قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] وقوله تعالى إخباراً عن الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] وقيل: إنها لنفي التأبيد في الدنيا، جمعاً بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة، وقيل: إن هذا الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقد تقدم ذلك في الأنعام، وفي الكتب المتقدمة! إن الله تعالى قال لموسى ﵇: «يا موسى إنه لن يراني[2]

(١) ظفرتُ بكلام محرر مطول في الرد عليهم في «التمييز» للسكوني (ولم ينشر بعد)، وانظر: «الانتصاف» (٢/ ١٥٤) لابن المنيّر، و«المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف» (١/ ٤٩٨ ـ ٥٠٠) والهامش الآتي.

(٢) دعوى المعتزلة أن «لن» تفيد تأكيد النفي وتأبيده، واستدلالهم بذلك على نفي الرؤية وإنكار وقوعها، دعوى فاسدة من وجهين:

الأول: إنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ [يوسف: ٨٠].

قال الشيخ جمال الدين ابن مالك ﵀:

ومن رأى النفي بـ«لن» مؤبدا ... فقوله اردد وسواه فاعضدا

الثاني: إنها لو قيدت بالتأبيد، لم يدل ذلك على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟! ودليل هذا الوجه قوله تعالى عن المشركين في كرههم للموت وعدم تمنيهم له: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] لكنهم في النار يتمنونه ويدعون به، قال تعالى في بيان حالهم هذا: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

فثبت بهذا أن «لن» لا تقتضي النفي المؤبد، وبطل بذلك استدلال المعتزلة بها على نفي الرؤية.

وقال ابن القيم ﵀ وهو يتكلم عن الفرق بين النفي بـ«لا» والنفي بـ«لن» في كتابه «بدائع الفوائد» (١/ ٩٦ ـ ٩٧):

«... من أجل ما تقدم من قصور معنى النفي في «لن» وطوله في «لا»، يعلم الموفق قصور المعتزلة في فهم كلام الله، حيث جعلوا «لن» تدل على النفي على الدوام، واحتجوا بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، وعلمت بهذا أن بدعتهم الخبيثة حالت بينهم وبين فهم كلام الله كما ينبغي، وهكذا كل صاحب بدعة تجده محجوباً عن فهم القرآن، وتأمل قوله =

أحد إلا مات، ولا يابس إلا تدهده». ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسنده عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ قال: «هكذا»؛ يعني: أنه أخرج طرف الخنصر، قال أحمد: أرانا معاذ فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد[(١)]؟ قال: فضرب صدره ضربة شديدة وقال: مَن أنت يا حميد[(٢)] وما أنت يا حميد[(٢)]؟ يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ تقول[(٣)]: ما تريد إليه؟ ورواه الترمذي وقال: «حديث حسن صحيح غريب» ورواه الحاكم في «المستدرك» وقال: «على شرط مسلم ولم يخرجاه» وصححه الخلال أيضاً[(٤)].

وعن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ قال: ما تجلى منه إلا قدر الخنصر ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قال: ترابا ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ﴾ قال: مغشياً عليه رواه (ج)[(٥)]»[(٦)].

= تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] كيف نفى فعل الإدراك بلا الدالة على طول النفي، ودوامه، فإنه لا يدرك أبداً وإن رآه المؤمنون، فأبصارهم لا تدركه تعالى عن أن يحيط به مخلوق، وكيف نفى الرؤية بلن فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ لأن النفي بها لا يتأبد، وقد أكذبهم الله في قولهم تأبيد النفي بلن، صريحاً بقوله: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فهذا تمنٍ للموت، فلو اقتضت لن دوام النفي تناقض الكلام، كيف وهي مقرونة بالتأبيد بقوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ . . .».

في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لا يراني».

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «محمد» دون أداة الكنية، والصواب إثباتها.

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يا أبا حميد».

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فتقول أنت».

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٥)، والترمذي (٣٠٧٤) وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨٠ ـ ٤٨٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٥٨ ـ ٢٦٣)، وابن أبي حاتم (٤٨١ ـ الأعراف)، وابن جرير (١٠/ ٤٢٨)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (٥٩)، وابن عدي (٢/ ٦٧٧)، والحاكم (١/ ٢٥ و٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١ و٥٧٧)، والضياء في «المختارة» (١٦٧٢ ـ ١٦٧٥) **وإسناده صحيح**.

(٥) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٠/ ٤٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٠٤) **وفي إسناده ضعف**، وضعفه شيخنا الألباني.

(٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٨٢ ـ ٣٨٦) بتصرف.

وقال تعالى في سورة القيامة الآية ٢٢: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

قال (ك): «وقوله تعالى[1]: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ من النضارة أي: حسنة بهيَّة مشرقة مسرورة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي: تراه عياناً، كما رواه البخاري رحمه الله تعالى في «صحيحه»: «**إنكم سترون ربكم عياناً**»[2]. وقد ثبتت[3] رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، كحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في «الصحيحين» أن أناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فإنكم ترون ربكم كذلك**»[4]. وفي «الصحيحين» عن جرير قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «**إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا**»[5]. وفي أفراد مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجِّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة**». ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦][6]. وفي أفراد مسلم عن جابر في حديث: «**إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك**»[7]؛ يعني: في عرصات القيامة، ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم ﷻ في العرصات، وفي روضات الجنات».

قال (ك): «ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقاً في مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق»[8].

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ثم قال تعالى».
(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٥) من حديث جرير بن عبد الله.
(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ثبت». (٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه. (٦) أخرجه مسلم (١٨١).
(٧) أخرجه مسلم (١٩٠).
(٨) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٤/ ١٩٧ ـ ١٩٩) بتصرف.

فصل

قال محمد تقي الدين: إن المتناظرين في معاني آيات الكتاب العزيز يغفلون عن حقيقة لو انتبهوا لها لتركوا كثيراً من جدالهم، وهذه الحقيقة هي أن الله سبحانه لو كتب القرآن في كتاب وألقاه إلينا بلا رسول؛ لأمكن أن تختلف الفهوم فيما تدل عليه آياته حين يتوهم التعارض في آيتين مثلاً، كآية ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وآية ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ولكن الله أنزل هذا القرآن على رجل من البشر، وأمره أن يبيّنه لنا، فقال تعالى في سورة النحل الآية ٤٤: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] فجاءنا النبي ﷺ بهذا القرآن ومثله معه(١) من وحي السنة، وبقي معنا ثلاثاً وعشرين سنة، نسأله ويجيبنا، ويبيّن لنا بأقواله وأفعاله مسائل الاعتقاد ومسائل العبادة ومسائل المعاملات ومسائل الأخلاق، فإذا توهم متوهم تعارض آيتين كالآيتين المتقدم ذكرهما، ثم جاءت السنة ووضّحت لنا المعنى الذي يريده ربنا سبحانه كل التوضيح لم يبق مجال للجدال، ولكن المصيبة كل المصيبة هي أن قوماً قرؤوا القرآن ودرسوا علوم العربية وأهملوا السنة، فالتبس عليهم الأمر، وأخذوا يضربون القرآن بعضه ببعض، فمسألة الرؤية وضَّحها النبي ﷺ كل التوضيح، فلم يبقَ فيها إلا الإيمان أو التكذيب، ومن زعم أنه يؤمن بالقرآن ويرفض السنة فهو كاذب زنديق، فأين في القرآن تفصيل الصلاة والزكاة والصوم والحج والمعاملات والحدود وسائر مسائل الشريعة؟

فأكثر الخلاف سببه الجهل بالسنة، إما جهلاً تاماً، كجهل الخوارج والمعتزلة ومتأخري الأشعرية وجهلة المتصوفة، وإما أن يكون العالم من السلف مُقِلًّا في الحديث؛ لأنه لم يجمع بحذافيره إلا بعد زمانه، أو لم يرحل في طلبه، واقتصر على ما سمعه من أهل بلده، أو كان ضعيف الحفظ، ولكن هؤلاء المقلدين من أئمة أهل السنة كلهم صرحوا وأعلنوا أن الحديث إذا صح بخلاف ما أفتوا به فإنهم راجعون عنه، وقائلون بالحديث الصحيح، قال الإمام الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى الشرقي في «شرحه لنونية ابن القيم» (الجزء الثاني) (٥٦٧): «(فصل: في رؤية أهل الجنة ربهم ونظرهم إلى وجهه الكريم):

---

(١) قد ثبت ذلك في حديث صحيح، سبق تخريجه.

«ويَرَوْنَهُ سبحانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ رؤيا[١] العِيانِ كما يُرَى القَمَرانِ
هذا تواترَ عَنْ رسولِ اللهِ لَمْ يُنْكِرْهُ إلا فاسِدُ الإيمانِ
وأتَى به القُرآنُ تصريحاً وَتَعْـ ـرِيضاً هُما بسِيَاقِهِ نَوْعَانِ
وهيَ الزِّيادَةُ قَدْ أتت في يُونُسٍ تفسيره[٢] قَدْ جاءَ بالقُرْآنِ
ورواهُ عنهُ مُسلِمٌ بـ«صحيحِهِ» يَرْوِي صُهَيْبٌ ذابِلَا كِتْمَانِ
وهُوَ المزيدُ كذاكَ فَسَّرَهُ أبُو بكر هُوَ الصِّدِّيقُ ذو الإيقانِ
وعليهِ أصحابُ الرسولِ وتابِعُو هُمْ بعدَهُمْ تَبِعِيَّةَ الإحسانِ[٣]

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هذا الفصل رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يُرى القمر، وقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام وأنكرها أهل البدع، كالجهمية والمعتزلة والباطنية والرافضة»[٤].

وقال في (ص٥٧٨) ما نصه:

«والمنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان: **أحدهما**: من يزعم أنه يُرى في الدنيا ويحاضر ويسامر. **والثاني**: من يزعم أنه لا يُرى في الآخرة البتة، ولا يكلم عباده، وما أخبر به الله ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين، وبالله التوفيق:

والله لَوْلا رؤيةُ الرَّحمٰنِ فِي الْـ ـجَنَّاتِ ما طابَتْ لِذِي العِرْفَانِ
أعلَى النَّعيمِ نَعِيمُ رُؤيةِ وَجْهِهِ وخِطابِهِ في جَنَّةِ الحَيَوَانِ
وأشدُّ شيءٍ في العذابِ حِجَابُهُ سبحانَهُ عن ساكِنِي النِّيرانِ
وإذا رآهُ المؤمنون نَسُوا الذِي هُمْ فيهِ مِمَّا نالَتِ العَينَانِ»[٥]

وقال الإمام **الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر** المعروف بابن قيم الجوزية في (ج٣)[٦] من كتابه «حادي الأرواح» (ص٥٢) ما نصه:

---

(١) في مطبوع «الكافية الشافية»: «نَظَر».
(٢) في مطبوع «الكافية الشافية»: «تفْسِيرَ مَن».
(٣) انظر: «الكافية الشافية» (ص٣٢١ ـ ٣٢٢).
(٤) انظر: «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد» لأحمد بن إبراهيم بن عيسى (٢/ ٥٦٧ ـ ٥٦٨).
(٥) انظر: «توضيح المقاصد» (٢/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩)، و«الكافية الشافية» (ص٣٢٤ ـ ٣٢٥).
(٦) من تجزئة المخطوط، وإلا فالكتاب لم يطبع إلا في مجلد واحد.

(الباب الخامس والستون: في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى [بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر][1] وتجلِّيه لهم ضاحكاً إليهم):

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب، وأجلُّها قدراً، وأعلاها خطراً، وأقرُّها لعيون أهل السنة والجماعة، وأَشدُّها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمَّر إليها المشمِّرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوِّكون، والفرعونية المعطِّلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبال[2] الشيطان متمسِّكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبَّة أصحاب رسول الله عاكفون، وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدوٍ لله ورسوله ودينه مسالمون، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون، أولئك حزب[3] الضلال وشيعة اللعين وأعداء الرسول وحزبه، وقد أخبر اللهُ سبحانه عن أعلم الخلق به في زمانه، وهو كليمه ونجيّه وصفيّه من أهل الأرض أنه سأل ربَّه تعالى النظرَ إليه، فقال له ربه تبارك وتعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣] وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: إنه لا يظن بكليم الرحمٰن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال، وهو عند فُرُوخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه، فيا لله العجب[4]! كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران، وبما يستحيل عليه، ويجب له، وأشد تنزيهاً له منه؟!

---

(١) غير موجود في ط. دار ابن كثير وهو في ط. ابن رجب.

(٢) في مطبوع «حادي الأرواح»: «بحبائل».

(٣) في مطبوع «حادي الأرواح»: «أحزاب».

(٤) كذا في مطبوع «حادي الأرواح»، وفي الأصل: «للعجب»!

الوجه الثاني: إن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالاً لأنكره عليه؛ ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يُرِيَه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه، ولما سأل عيسى ابن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله، ولما سأل نوحٌ ربه نجاةَ ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٦، ٤٧].

الوجه الثالث: إنه أجابه بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ولم يقل: إني لست بمرئي[(١)]، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمَّله، وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يُرى، ولكنَّ موسى لا تحمل[(٢)] قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه.

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوَّته وصلابته لا يثبت لتجلِّيه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خُلِق من ضَعْفٍ؟

الوجه الخامس: إن الله سبحانه وتعالى قادرٌ على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه، وليس هذا بممتنع في مقدوره، بل هو ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً في ذاتها لم يعلّقها بالممكن في ذاته، ولو كانت الرؤية محالاً، لكان نظير[(٣)] أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام، فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله ﷻ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ وهذا من أبينِ الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى، فإنه إذا جاز أن يكون يتجلَّى[(٤)] للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلَّى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه؟ فأعلم سُبحانه وتعالى موسى أنّ الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

الوجه السابع: إن ربَّه سبحانه وتعالى قد كلَّمه منه إليه، وخاطبه وناجاه

(١) في مطبوع «حادي الأرواح»: «لا تراني ولا إني ليست بمرئي».
(٢) في مطبوع «حادي الأرواح»: «لا تحتمل».
(٣) في مطبوع «حادي الأرواح»: «لكان ذلك نظير».
(٤) في مطبوع «حادي الأرواح»: «جاز أن يتجلى».

وناداه، ومَنْ جاز عليه التكلّم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتمُّ إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين فأنكروا أن يكلِّم أحداً ويراه[1] أحد، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبيُّ الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه، وأما قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ فإنما يدل على النفي في المستقبل، ولا يدلُّ على دوام النفي، ولو قُيِّدتْ بالتأبيد فكيف إذا أُطلقَتْ؟ قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] مع قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

فصل

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣] وقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١] وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نُسِبَ إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية، ولا ينتقض هذا بقوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ [التوبة: ٧٧] فقد دلَّت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عَرَصات القيامة، بل والكفار أيضاً كما في «الصحيحين» من حديث التجلِّي[2]، وسيمرُّ بك عن قريب إن شاء الله تعالى.

«وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة: **أحدها**: ـ أن لا يراه إلا المؤمنون. **والثاني**: يراه جميع أهلِ الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك.

الثالث: يراه المنافقون دون الكفار. والأقوال الثلاثة في مذهب «حم» وهي لأصحابه، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم في تكليمه لهم، ولشيخنا في ذلك مصنَّف مفرد[3]، وحكى فيه الأقوالَ الثلاثة وحُججَ أصحابها، وكذا قوله ﷻ:

---

(١) في مطبوع «حادي الأرواح»: «أو يراه».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) هو شيخ الإسلام ابن تيمية ورسالته، هي «رسالة في هل رأى النبي ﷺ ربه بعيني رأسه» =

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [الإنشقاق: ٦] إن عاد الضمير على العمل، فهو رؤيته في الكتاب مسطوراً مثبتاً، وإن عاد على الرب، فهو لقاؤه الذي وَعَدَ به.

فصل

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٥ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٦﴾ [يونس: ٢٥، ٢٦] فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم[١]، كذلك فسرها رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن فالصحابة من بعده، كما روى «م» في «صحيحه» بسنده إلى صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنة! إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا؟ ويبيّض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا عن النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون الله، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة**»[٢]. وقال الحسن بن عرفة بسنده إلى أنس قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟**﴾ **العمل في الدنيا** ﴿**ٱلْحُسْنَىٰ**﴾ **وهي: الجنة، والزيادة، وهي: النظر إلى وجه الله**»[٣] قال (ج) بسنده إلى كعب بن عجرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟

= وهو مخطوط في المكتبات الوقفية بحلب في ٣ صفحات مكتوبة سنة ١٠٨٨هـ (برقم ١٥٣٢/١) ولها صورة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وانظر: «الثبت» لعلي الشبل (ص١٠٨، ١١٣).

(١) ورد هذا اللفظ في أحاديث وآثار كثيرة جداً. انظر منها: «المجالسة» (١٧٦/٦) رقم (٢٥٢٣) وتعليقي عليه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الحسن بن عرفة في «جزئه» (٢٣) ومن طريقه الدارقطني في «الرؤية» (٥٧)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (٨٥)، واللالكائي في «السنة» (٧٧٩)، والخطيب (٩/ ١٤٠)، وابن مردويه كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (١٢٧/٢) للزيلعي، وعزاه في «الدر المنثور» (٦٥٤/٧) لأبي الشيخ وابن النجار. **وإسناده واهٍ جداً**، أخطأ فيه نوح بن أبي مريم، وهو كذاب. **والحديث صحيح؛ يغني عنه الذي قبله.**

﴿ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: **«الزيادة النظر إلى وجه الرحمٰن جلَّ جلاله»**[١] وقال (ج) بسنده إلى أبي بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن الزيادة في كتاب الله ﷻ قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: **«الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله ﷻ»**[٢].

وقال أسد السنة بسنده إلى أبي تميمة الهُجَيْمي أنه سمع أبا موسى يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«يَبعثُ الله ﷻ يوم القيامة منادياً ينادي: يا أهل الجنة ـ بصوت يسمع أولهم وآخرهم ـ إن الله وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله ﷻ**[٣]**»**[٤].

«وأما الصحابة»: فقال (ج): بسنده إلى أبي بكر الصديق: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «النظر إلى وجه الله الكريم»[٥] وبهذا الإسناد عن أبي إسحاق عن مسلم بن نُذَير[٦] عن حذيفة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «النظر

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٨٤) وابن جرير في «التفسير» (١٢/ ١٦١)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٢٦) ـ واللالكائي في «السنة» (٧٨١)، وابن عدي (٣/ ١١٧٣ ـ ١١٧٤)، **وفي إسناده مقال.**

(٢) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٢/ ١٦١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٩٤٤)، والدارقطني في «الرؤية» (١٨٣)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٣٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٠٤)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٥٦)، **وإسناده ضعيف**، وفيه انقطاع، وانظر له ما أورده الزيلعي في: «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ١٢٥) عن ابن مردويه.

(٣) في مطبوع «تفسير ابن جرير»: «وجه الرحمٰن».

(٤) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٢/ ١٥٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٤٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٨٤)، والدارقطني في «الرؤية» (٤٣)، ونعيم بن حماد في «زياداته على زهد ابن المبارك» (٤١٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٤٧)، واللالكائي (٧٨٢، ٧٨٥، ٧٨٦) وابن مردويه، ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ١٢٥) ـ **وإسناده ضعيف جداً**، مداره على أبان بن أبي عياش متروك.

(٥) أخرجه هناد في «الزهد» (١٧٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٧٣، ٤٧٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٢٠)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٥٢)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٧٠، ٤٧١)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (٨٤)، وابن جرير (١٢/ ١٥٦)، والدارقطني في «الرؤية» (١٩٢ ـ ٢٠١)، و«العلل» (١/ ٢٨٢)، والآجري في «الشريعة» (٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٦٦)، وفي «الاعتقاد» (ص١٣٢)، واللالكائي في «السنة» (٧٨٤)، وهو **صحيح**.

(٦) كذا في مصادر التخريج، وهو الصواب، وفي الأصل: «يزيد»!.

إلى وجه ربهم»[1]، وقال بسنده إلى أبي موسى الأشعري قال: «إذا كان يوم القيامة، يبعث الله تعالى إلى أهل الجنة منادياً ينادي: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامة، فيقولون: نعم. فيقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ النظر إلى وجه الرحمٰن ﷻ»[2].

وقال عبد الله بن المبارك بسنده إلى أبي موسى الأشعري أنه خطب الناس في جامع البصرة وقال: «إن الله يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة، فيقول: يا أهل الجنة، هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحلي والحلل والأنهار والأزواج المطهرة، فيقولون: نعم، قد أنجزنا الله ما وعدنا. ثم يقول الملك: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ ثلاث مرات، فلا يفقدون شيئاً مما وعدوا، فيقولون: نعم، فيقول: قد بقي لكم شيء، إن الله ﷻ يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ألا إن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى»[3].

وفي «تفسير أسباط بن نصر» بسنده إلى ابن مسعود: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ قال: «أما الحسنى فالجنة، وأما الزيادة فالنظر إلى وجه الله، وأما القتر فالسواد»[4]. وقال عبد الرحمٰن بن أبي ليلى وعامر ابن سعد وإسماعيل بن عبد الرحمٰن السدي والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمٰن بن سابط

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٨١)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٥٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٢٠)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٠٢ ـ ٢٠٦)، وابن جرير في «التفسير» (١٢/ ١٥٧)، وهناد في «الزهد» (١٧٠)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٧٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٧٣)، والآجري في «الشريعة» (٥٩١)، واللالكائي في «السنة» (٧٨٣، ٧٨٤) من طرق عن أبي إسحاق به، وهو **صحيح**، وعزاه في «الدر المنثور» (٣/ ٣٠٦) لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه هناد في «الزهد» (١٦٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢١)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٥٢)، وابن جرير في «التفسير» (١٢/ ١٥٧)، والدارقطني في «الرؤية» (٤٤، ٤٦)، واللالكائي في «السنة» (٧٨٤، ٧٨٥)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٤٧) **وإسناده ضعيف**.

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في «زوائد زهد ابن المبارك» (٤١٩)، وابن جرير (١٢/ ١٥٧)، والدارقطني في «الرؤية» (٤٤)، واللالكائي في «السنة» (٧٨٦) **وإسناده ضعيف جداً**، فيه أبو بكر الهذلي، متروك.

(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧٨٧، ٧٨٨) وزاد السيوطي نسبته في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٦) لابن أبي حاتم.

وأبو إسحاق السبيعي وقتادة[١] وسعيد بن المسيب[٢] والحسن البصري[٣] وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جَبْر[٤]: الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى، وقال غير واحد من السلف في الآية: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾: بعد النظر إليه، والأحاديث عنهم بذلك صحيحة، ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التي هي الجنة، دلَّ على أنه أمر آخر وراء الجنة، وقدر زائد عليها، ومَنْ فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان، فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى.

فصل

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] ووجه الاستدلال بها أنه ﷻ جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم

(١) أسند الآثار السابقة بهذه الترتيب: الدارقطني في «الرؤية» (٢٠٨ ـ ٢٢٤) **وأثر ابن أبي ليلى** عند ابن جرير في «التفسير» (١٢/١٥٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١١٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٥٢)، ونعيم بن حماد في «الزيادات على زهد ابن المبارك» (٧٩ ـ ٨٠)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٤٥)، وعبد الرزاق في «التفسير» (١/٢٩٦)، واللالكائي في «السنة» (٧٩٢) **وإسناده صحيح**.
وأثر عامر بن سعد البجلي عند عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٧٢، ١١٤٥)، وابن جرير (١٩/١٥٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٢٠)، واللالكائي (٧٩٣) **وإسناده صحيح**.
وأثر السُّدِّي، عند الدارقطني في «الرؤية» (٢١٦) وفي إسناده الحكم بن ظهير الفزاري، **متروك**.
وأثر الضحاك عند الدارقطني (٢١٩، ٢٢٠) بإسنادين متفرقين **واهيين**.
وأثر ابن سابط عند سعيد بن منصور (١٠٥٩ ـ تفسير)، وابن أبي شيبة (١٣/٤٢٩)، وابن أبي حاتم (٦/١٩٤٥)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢٩٢)، وابن جرير (١٢/١٦٢)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٢١، ٢٢٢) **وأثر أبي إسحاق السبيعي**، عند ابن جرير (١٢/ ١٥٧)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٢٣)، واللالكائي في «السنة» (٧٩٤).
وأثر قتادة عند ابن خزيمة في «التوحيد» (١٢١)، وعبد الرزاق في «التفسير» (١/٢٩٤)، وابن جرير (١٩/١٦١)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٢٤)، واللالكائي في «السنة» (٧٩٨) وهو **صحيح**.

(٢) أخرجه البيهقي في «الاعتقاد» (٧٨)، واللالكائي في «السنة» (٧٨٩).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١١٤٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٢١)، وابن جرير (١٩/١٦٠)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص١٣٢)، واللالكائي (٧٩٠)، وهو **صحيح**.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٩/١٦٣ ـ ١٦٤)، وابن أبي حاتم (٦/١٩٤٥) وهو في «تفسر مجاهد» (ص٣٨٠)، وعزاه في «الدر المنثور» (٣/٣٠٦) لابن أبي شيبة وابن المنذر.

محجوبين عن رؤيته واستماع(١) كلامه، فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضاً محجوبين عنه، وقد احتجَّ بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة، فذكر الطبراني(٢) وغيره عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول في قوله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾: فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة(٣).

وقال الحاكم بسنده إلى الربيع بن سليمان قال: حضر محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾؟ فقال الشافعي: «لما حجب هؤلاء في السخط، كان في ذلك دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى». قال الربيع: فقلت: يا أبا عبد الله، وبه تقول؟ قال: نعم، وبه أدين الله، ولو لم يتيقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عَبَدَ الله ﷻ(٤). رواه الطبراني في «شرح السنة» من طريق الأصم أيضاً.

وقال أبو زرعة الرازي: سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول: سئل محمد بن عبد الحكم: هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار؟ فقال محمد(٥): وسئل الشافعي عن الرؤية فقال: يقول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله ﷻ.

فصل

الدليل الخامس: قوله ﷻ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق: ٣٥] قال الطبراني(٦): قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله ﷻ، وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره(٧).

---

(١) في مطبوع «حادي الأرواح»: «وسماع».
(٢) في مطبوع «حادي الأرواح»: «فذكره الطبري».
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح الاعتقاد»، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٣١٤).
(٥) بعدها في مطبوع «حادي الأرواح»: «ابن عبد الله: ليس يراه إلّا المؤمنون، قال محمد:».
(٦) في مطبوع «حادي الأرواح»: «الطبري».
(٧) أما أنس؛ فقد روي عنه مرفوعاً، وسبق قريباً تخريجه، وهو حديث **واهٍ جداً**، مداره على نوح بن أبي مريم، وأما علي، فقد أخرجه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٥) =

فصل

الدليل السادس: قوله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] والاستدلال بهذا أعجب، فإنه من أدلة النفاة، وقد قرّر شيخُنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: **أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله**، فمنها هذه الآية، وهي على جواز الرؤية أدلّ منها على امتناعها، فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق المدح(١)، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية. وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به، وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمَّن أمراً وجودياً كتمدحه بنفي السِّنة والنوم المتضمِّن كمال القيومية، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمّن كمال ربوبيته وإلٰهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمّن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمّن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمَّن أمراً ثبوتياً(٢)، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمرٍ يشترك(٣) هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أنه لا يرى بحال، لم يكن في ذلك مدح ولا كمال؛ لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يُرى ولا تُدركه الأبصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذاً المعنى أنه يُرى ولا يُدرَك ويُحاط به، كما كان المعنى في قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس: ٦١] أنه يعلم كل شيء.

وفي قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] أنه كامل القدرة.

= وفي إسناده الحارث الأعور، **فإسناده ضعيف.**
أما عن زيد بن وهب، فعند ابن جرير (١٢/ ١٦٤) وعزاه في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٩) لأبي الشيخ أيضاً.

(١) في مطبوع «حادي الأرواح»: «التمدح».
(٢) كذا في مطبوع «حادي الأرواح»، وفي الأصل: «تبرئياً»!
(٣) كذا في مطبوع «حادي الأرواح»، وفي الأصل: «يشرك»!

وفي قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] أنه كامل العدل.

وفي قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أنه كامل القيومية.

فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] يدخل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لا يُدرَك بحيث يُحاط به.

فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٢] فلم ينفِ موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، إنا لمرئيون، فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله ﴿كَلَّا﴾ وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم، بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا[1] إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه: ٧٧]. فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يُرى ولا يدرك، كما يُعلم ولا يُحاط به.

وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية.

قال ابن عباس: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لا تحيط به الأبصار[2].

وقال قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار[3].

وقال عطية[4]: ينظرون إلى الله، ولا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره محيط بهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣][5] فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عياناً ولا تدركه أبصارهم، بمعنى أنه لا تحيط به، إذ كان غير جائز أن يوصف الله ﷻ بأن شيئاً يحيط به وهو بكل شيء محيط، وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه، وهكذا يعلم الخلق ما علّمهم ولا يحيطون بعلمه[6].

ونظير هذا: استدلالهم على نفي الصفات بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

---

(١) في الأصل: «أوصينا»!

(٢) أخرجه ابن جرير (٩/٤٥٩) بإسناد مسلسل بالضعفاء.

(٣) أخرجه ابن جرير (٩/٤٥٩) وعبد بن حميد وأبو الشيخ، كما في «الدر المنثور» (٣/٣٧).

(٤) هو عطية العوفي.

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» (٩/٤٥٩ ـ ٤٦٠).

(٦) انظر: «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» (١٠٥ ـ ١٠٦) للعلامة الشنقيطي.

شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مَثَلٌ فيها، وإلا فلو أُريد بها نفي الصفات، لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه، مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مثل له[١]، وليس له نظير، ولا شبه، ولا مثل، أنه قد يتميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها، وكلما كثرت أوصافه ونعوته فات أمثاله وبَعُدَ عن مشابهة أضرابه، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ من أدلِّ شيء على كثرة نعوته وصفاته، وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ من أدل شيء على أنه يُرى ولا يُدْرَك. وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤] من أدل شيء على مباينة الرب لخلقه، فإنه لم يخلقهم في ذاته، بل خلقهم خارجاً عن ذاته، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه، وهو يعلم ما هم عليه فيراهم، وينفذهم بصره، ويحيط بهم علماً وقدرة وإرادة وسمعاً وبصراً، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا. وتأمل حُسْنَ هذه المقابلة لفظاً ومعنى بين قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فإنه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به، وللطفه[٢] وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفي عليه، فهو العظيم في لطفه، اللطيف في عظمته، العالي في قربه، القريب في علوه، الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾.

فصل

الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها، والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها، وجدتها منادية نداء صحيحاً[٣] أن الله سبحانه يُرى عياناً بالأبصار يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذي يُسمِّيه

---

(١) في مطبوع «حادي الأرواح»: «لا مثيل له».
(٢) كذا في مطبوع «حادي الأرواح»، وفي الأصل: «لطفه»!
(٣) في مطبوع «حادي الأرواح»: «صريحاً».

المحرِّفون تأويلاً، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها، وتأويل كل نص تضمّنه القرآن والسنة كذلك، **ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأوّل النصوص ويحرِّفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص، وهذا الذي أفسد الدِّين والدنيا.**

وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محلّه في هذه الآية، وتعديته بأداة «إلى» الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة، تدلُّ على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته وموضوعه، صريح في أنَّ الله ﷻ أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله؛ فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صِلاته وتعدِّيه بنفسه.

فإن عُدِّي بنفسه، فمعناه التوقف والانتظار، كقول تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: ١٣] وإنْ عُدِّي بـ(في) فمعناه التفكر والاعتبار، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وإن عُدِّي بـ«إلى» فمعناه المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩] فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟ قال يزيد بن هارون: أنبأنا مبارك عن الحسن قال: «نَظَرَتْ إلى ربها تبارك وتعالى، فنضرت[1] بنورِه»[2] فاسمع الآن أيّها السُّني تفسير النبي ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية:

قال ابن مردويه في «تفسيره» بسنده إلى عبد الله بن عمر[3] قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢﴾ [القيامة: ٢٢] قال: **«من البهاء والحسن»** ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ قال: **«في وجه الله ﷻ»**[4].

---

(١) في الأصل: «فنظرت»! والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٦١)، والآجري في «الشريعة» (٢/ ٩٩١)، واللالكائي في «السنة» (٨٠٠)، والدارقطني في «الرؤية» (٢١٧)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص١٣٣)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٥/ ١١١)، **وإسناده لا بأس به.**

(٣) كذا في مطبوع «حادي الأرواح»، ومصادر التخريج، وفي الأصل: «ابن عمرو»!

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٣، ٦٤)، وعبد بن حميد (٨١٩)، والترمذي (٢٣٣٠، ٣٥٥٣)، وأبو يعلى (٥٧١٢، ٥٧٢٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٦٠٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٤٦٤)، وابن جرير في «التفسير» (٢٣/ ٥١٠)، والدارقطني في «الرؤية» (١٧٤)، والحاكم (٢/ ٥٠٩)، وابن النحاس في «رؤية الله تبارك وتعالى» (٩)، واللالكائي في =

وقال أبو صالح عن ابن عباس ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[(١)] قال: «تنظر إلى ربها نظراً»[(٢)] ثم حكي عن ابن عباس مثله، وهذا قول كُلِّ مفسر من أهل السنة والحديث.

فصل

وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدَّالَّة على الرؤية، فمتواترة، رواها عنه أبو بكر الصديق[(٣)] [وأبو هريرة][(٤)] وأبو سعيد الخدري[(٥)] وجرير بن عبد الله البجلي[(٦)] وصهيب بن سنان الرومي[(٧)] وعبد الله بن مسعود الهذلي[(٨)] وعلي بن أبي طالب[(٩)] وأبو موسى الأشعري[(١٠)] وعدي بن حاتم الطائي[(١١)] وأنس بن مالك الأنصاري[(١٢)] وبريدة بن الحصيب[(١٣)]

= «السنة» (٨٤١)، والآجري في «الشريعة» (٢٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٨٧)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٣٢، ٤٣٣)، والبغوي (٤٣٩٥، ٤٣٩٦)، وفي «التفسير» (٤/ ٤٢٤) **وإسناده ضعيف جداً**، فيه ثوير بن أبي فاختة متروك.

(١) بعدها في مطبوع «حادي الأرواح»: «قال: تنظر إلى وجه ربها ﷻ، وقال عكرمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ قال: من النعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾» والسياق يدل عليها، فتأمله!

(٢) هذا التفسير مروي عن عكرمة، أسنده عنه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٥٣)، وابن جرير (٢٣/ ٥٠٧)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٨١)، والآجري في «الشريعة» (٥٨٦)، واللالكائي في «السنة» (٨٠٣) وقوله الآتي: «ثم حكي عن ابن عباس مثله» يشير إلى أن هذا القول ليس له، وانظر المأثور عن ابن عباس عند الدارقطني في «الرؤية» (٢٦٨ ـ ٢٧٠، ٢٧٢ ـ ٢٨٤)، و«السنة» للالكائي (٧٩٩) مع التعليق عليه.

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) سيأتي تخريجه وما بين المعقوفتين سقط من ط. ابن كثير من «حادي الأرواح».

(٥) سيأتي تخريجه.

(٦) سيأتي تخريجه.

(٧) سبق تخريجه.

(٨) أخرجه ابن منده في «الإيمان» (٨٤٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٢٠٣)، والطبراني (٩٧٦٣، ٩٧٦٤)، والحاكم (٢/ ٣٧٦)، والبيهقي في «البعث» (٤٣٤)، والدارقطني في «الرؤية» (١٦٠ ـ ١٦٤) **وإسناده صحيح**.

(٩) سبق تخريجه.

(١٠) أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

(١١) أخرجه البخاري (٣٥٩٥).

(١٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

(١٣) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (١٨٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٦٩)، =

وأبو رَزِين العُقيلي[١] وجابر بن عبد الله الأنصاري[٢] وأبو أمامة الباهلي[٣] وزيد بن ثابت[٤] وعمار بن ياسر[٥] وعائشة أم المؤمنين[٦] وعبد الله بن عمر، وعمارة بن رؤيبة[٧]، وسلمان الفارسي[٨]، وحذيفة بن اليمان[٩]، وعبد الله بن عباس[١٠]،

= واللالكائي (٨٥٣). وفيه عبد العزيز بن أبان الأموي متروك، **فإسناده ضعيف جداً**.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣١)، وابن ماجه (١٨٠)، وأحمد (٤/ ١١)، وابنه عبد الله في «السنة» (ص٥٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٧٨)، والدارقطني في «الرؤية» (١٨٦ ـ ١٩٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٥٩، ٤٦٠)، والطبراني (١٩/رقم ٤٦٥، ٤٦٦)، واللالكائي في «السنة» (٨٣٩)، والحاكم (٤/ ٥٦٠) **وإسناده ضعيف**، فيه وكيع بن عدس (أو حدس)، وللحديث شواهد هو بها **حسن**.

(٢) أخرجه مسلم (١٩١)، وأحمد (٣/ ٣٨٣، ٣٤٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٠٠)، وابن ماجه (٤٠٧٧)، وعبد الله بن أحمد (١٠٠٨)، وابن أبي عاصم (٣٩١، ٤٢٩) كلاهما في «السنة»، والدارقطني في «الرؤية» (٦٧ ـ ٦٨)، والطبراني (٧٦٤، ٦٧٤٥)، والآجري في «الشريعة» (٣٧٥) **وإسناده ضعيف**، فيه عمرو بن عبد الله الحضرمي لم يرو عنه سوى ابنه يحيى، وسقط من بعض الأسانيد، فلا تظن أنه متابع، والمقام لا يحتمل التفصيل والبسط، وانظر ـ لزاماً ـ: «النكت الظراف» (٤/ ١٧٤ ـ ١٧٥).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ١٩١)، والحاكم (١/ ٥١٦، ٥١٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٢٦)، واللالكائي (٨٤٦)، والأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢٢٠) **وإسناده ضعيف**، فيه أبو بكر بن أبي مريم.

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤)، والنسائي (٣/ ٥٤ ـ ٥٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٩، ٣٠)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٨٩)، و«الرد على المريسي» (١٦٠)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (٨٦)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الحُجَّة في بيان المحجة» (٢١٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٢٤ ـ ٤٢٦)، والدارقطني في «الرؤية» (١٧٤)، والطبراني في «الدعاء» (٦٢٤، ٦٢٥)، والبيهقي في «الأسماء» (٢٢٧)، والحديث **صحيح**، وصححه شيخنا الألباني.

(٦) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٠٣)، والبزار (٢٧٠٦ ـ كشف الأستار)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٩٨).

(٧) لم يورده أصحاب كتب العقائد المسندة، على الرغم من شدة تتبعي لما ورد في الباب.

(٨) لم أجده، فنظرة إلى ميسرة.

(٩) أخرجه البزار (٣٥١٨)، وابن بطة في «الإبانة» (٣/ ٣٢ ـ الرد على الجهمية)، واللالكائي (٨٥٤) **وإسناده ضعيف، وصح عنه موقوفاً**، وسبق تخريجه قريباً.

(١٠) أخرجه أحمد (١/ ٢٨١، ٢٨٥)، وأبو يعلى (٢٣٢٨)، وابن أبي شيبة في «العرش» (٤٦)، والطيالسي (٢٧٩٨ ـ المنحة)، واللالكائي (٨٤٣)، والبيهقي في «الدلائل» =

وعبد الله بن عمرو بن العاص[١] ـ وحديثه موقوف ـ وأبيّ بن كعب[٢]، وكعب بن عجرة[٣]، وفضالة بن عبيد[٤] ـ وحديثه موقوف ـ ورجل من أصحاب النبي ﷺ غير مسمى[٥]، فهاك سياق أحاديثهم من «الصحاح» و«المسانيد» و«السنن»، وتلقَّها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر، لا بالتحريف والتبديل وضيق العَطَن، ولا تكذّب بها، فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين.

فصل

فأما حديث: أبي بكر الصديق، فقال الإمام أحمد بسنده إلى أبي بكر الصديق قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم، فصلى الغداة فجلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ، ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة، ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر: ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط؟ قال: فسأله، فقال: «**نعم، عرض علي ما هو كائن من الدنيا والآخرة، فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد، فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم ﷺ والعرق يكاد يلجمهم، فقالوا: يا آدم أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله ﷻ، اشفع لنا إلى ربك. قال: لقد لقيت مثل الذي لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح:** ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣]. **قالا: فينطلقون إلى نوح ﷺ، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك، ولم يَدَعْ على الأرض من الكافرين دياراً،**

= (٥/ ٤٨١)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٣٠١) **وإسناده ضعيف**، فيه علي بن زيد بن جدعان.

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٨)، والدارقطني في «الرؤية» (١٨٥)، وابن بطة في «الإبانة» (٣/ ٤٤ ـ ٤٥ رقم ٣٣ ـ الرد على الجهمية» **وإسناده حسن.**

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٢٠٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٢٧)، واللالكائي (٨٤٧)، وعزاه في «المجمع» (١٠/ ١٧٧) للطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وقال: «ورجالهما ثقات» والأثر **صحيح بطريقيه.**

(٥) أخرجه مسلم (١٦٩).

فيقول: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى إبراهيم ﷺ، فإن الله اتخذه خليلاً، فينطلقون إلى إبراهيم فيقول: ليس ذلكم عندى انطلقوا إلى موسى ﷺ؛ فإن الله ﷻ كلمه تكليماً، فيقول موسى ﷺ: ليس ذلك عندي، انطلقوا إلى عيسى ابن مريم عليه السلام؛ فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فيقول عيسى: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى سيد ولد آدم، انطلقوا إلى محمد ﷺ، فليشفع لكم إلى ربكم ﷻ.

فينطلقون، فيأتي جبريل ربه تبارك وتعالى، فيقول له الله ﷻ: ائذن له وبشِّره بالجنة، فينطلق به جبريل عليه السلام فيخر ساجداً قدر جمعة، ويقول الله ﷻ: ارفع رأسك، وقُل تسمع، واشفع تشفع، قال: فيرفع رأسه؛ فإذا نظر إلى وجه ربه خر ساجداً قدر جمعة أخرى، فيقول الله ﷻ: ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع، قال: فيذهب ليقع ساجداً، فيخر جبريل بضبعيه، فيفتح الله عليه من الدعاء شيئاً لم يفتحه على بشر قط، فيقول: أي رب خلقتني سيد ولد آدم، ولا فخر، وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه ليرد عليَّ الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة، ثم يقال: ادعوا الصِّدِّيقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياء، قال: فيجيء النبيُّ ومعه العصابة، والنبي ومعه الخمسة، والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا، قال: فإذا فعلت الشهداء ذلك. قال: يقول الله ﷻ: أنا أرحم الراحمين، ادخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئاً، قال: فيدخلون الجنة. قال: ثم، يقول الله ﷻ: انظروا في أهل النار، هل تلقون من أحد عمل خيراً قط؟

قال: فيجدون في النار رجلاً فيقولون له: هل عملت خيراً قط؟ فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناس في البيع، فيقول الله ﷻ: اسمحوا لعبدي بسماحته إلى عبيدي، ثم يخرجون من النار رجلاً، فيقول له: هل عملت خيراً قط؟

فيقول: لا. غير أني أمرت ولدي إذا مت فأحرقوني في النار، ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكُحل، فاذهبوا بي إلى البحر، فاذْرُوني في الريح، فوالله لا يقدر عليَّ رب العالمين أبداً[1].

---

(١) هنا شيء ناقص تقديره إلا عاقبني (منه)

قال أبو عبيدة: كأنه قال ذلك على هذا التقدير مما لحقه من شدّة الحال، وتغيير العقل، وكأنه لم يقل ذلك تكذيباً للقدرة، وانظر: لهذه الفائدة «مجموع فتاوى ابن تيمية» =

فقال الله ﷻ له: لم فعلت ذلك؟ قال: من مخافتك، قال: فيقول الله ﷻ: انظر إلى ملك أعظم ملك فإن لك مثله وعشرة أمثاله.

قال: فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟ قال: وذلك الذي ضحكت منه من الضُّحى»[(١)].

فصل

وأما حديث: أبي هريرة وأبي سعيد، ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب**»؟ قالوا: لا. قال: «**فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله ﷻ، في صورته ـ التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا، فيتّبعونه، ويضرب الصراط بين ظهراني**

= (١١/ ٤٠٩ ـ ٤١١ و٣/ ٢٢٩). ولبقيةِ فوائد هذا الحديث ينظر كتابي «من قصص الماضين» (ص٢٤٤ ـ ٢٤٦).

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤)، وأبو يعلى (٥٦، ٥٧)، والبزار (٧٦ أو ٣٤٦٥ ـ كشف الأستار)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٥١، ٨١٢)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٥٧، ٨٨)، والمروزي في «مسند أبي بكر الصديق» (١٥)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (٢/ ١٥٥)، وأبو عوانة (١/ ١٧٥)، وابن حبان (٦٤٧٦) **وإسناده حسن**، وانظر: «العلل» للدارقطني (١/ ١٩٠ ـ ١٩١) وتعقبه في «لسان الميزان» (٦/ ٢١٦).

(فائدة) نقل ابن حبان في «صحيحه» (٦٤٧٩ ـ الإحسان) عن ابن راهويه قوله في آخر الحديث: «هذا من أشرف الحديث، وقد روى هذا الحديث عدّة عن النبي ﷺ نحو هذا، منهم: حذيفة وابن مسعود وأبو هريرة، وغيرهم».

قال أبو عبيدة: وقصة الرجل الذي أوصى بنيه أن يحرِّقوه عند البخاري (٣٤٧٨)، ومسلم (٢٧٥٧) من حديث أبي سعيد، والبخاري (٣٤٧٩، ٦٤٨٠) عن حذيفة، والبخاري (٣٤٨١، ٧٥٠٦)، ومسلم (٢٧٥٦) عن أبي هريرة، وفي الباب عن معاوية بن حيدة القشيري وسلمان وأبي بكر الصديق وأبي مسعود الأنصاري، خرجتها في كتابي «من قصص الماضين» (ص٢٣٣ ـ ٢٤٢).

جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل، ودعوى الرسل - يومئذٍ - اللهمّ سلِّم سلِّم! وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السَّعدان؟». قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ﷻ، يخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المجاز حتى ينجوا[1]، فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يُخرِجَ برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً، ممن أراد الله أن يرحمه، ممن يقول: لا إله إلا الله، فيعرفونهم بأثر السجود، وتأكل النار من ابن آدم كل شيء إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحِبَّةُ في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار، وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، فيقول: أي رب، اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها. فيدعو الله ما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره، فيقول: لا أسألك غيره، فيعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة، فيقول الله: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك. فيقول: أي رب، فيدعو الله حتى يقول له: فهل عسيت أن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطي ربه ما شاء من عهود ومواثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة، انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب، أدخلني الجنة. فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيت عهودك، ومواثيقك أن لا تسألني غير ما أعطيت، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه، قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها، قال الله له: تمنَّ، فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره فيقول: تمن كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله ﷻ: ذلك لك ومثله معه».

---

(١) في مطبوع «صحيح البخاري»: «ومنهم من يخردل ثم ينجو».

قال أبو سعيد: **«وعشرة أمثاله معه»**.

قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة: لا يرد عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حدث أبو هريرة: قال: **«إن الله ﷻ قال لذلك الرجل: ومثله معه»**.

قال أبو سعيد: **«وعشرة أمثاله معه»** يا أبا هريرة. قال أبو هريرة: ما حفظت إلا قوله: **«ذلك لك ومثله معه»**.

قال أبو سعيد أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: **«ذلك لك وعشرة أمثاله»**.

قال أبو هريرة: **«وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة»**(١).

وفي «الصحيحين» أيضاً عن أبي سعيد الخدري: إن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ **«نعم: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية البدر ليس دونه سحاب؟»** قالوا: لا يا رسول الله، قال: **«ما تضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذَّن مؤذِّن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر أهل الكتاب**(٢)**، فتدعى اليهود فيُقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فقال: كذبتم ما اتخذ الله من صحابة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تَرِدُون، فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار. ثم تدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا؛ فاسقنا، قال: فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي**

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٢) في مطبوع «صحيح البخاري»: «غُبرَّات من أهل الكتاب».

رأوه فيها. قال: فما تنتظرون؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً ـ مرتين، أو ثلاثاً ـ حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب.

فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟

فيقولون: نعم، فيكشف عن ساقه، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا. ثم يُضْرَبُ لهم الجسر على جهنم وتحلُّ الشفاعة».

قيل: يا رسول الله وما الجسر؟

قال: «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وكحسكة[١] تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى أنصاف سوقهم[٢]، إلى ركبهم فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا».

فيقول: ارجعوا [ارجعوا][٣] فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيُخرِجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً.

ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً قط».

---

(١) في مطبوع «صحيح البخاري»: «وحسكة مفلطحة لها شوكة عُقيفاء».

(٢) في مطبوع «صحيح البخاري»: «إلى أنصاف ساقيه».

(٣) غير موجود في مطبوع «صحيح البخاري».

وكان أبو سعيد الخدري يقول: «إن لم تصدقوني بهذا الحديث، فاقرأوا إن شئتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠]. فيقول الله ﷻ: **«شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون؛ ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون منها إلى الشمس، أصفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض»** فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية.

قال: **«فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم، يعرفون[1] أهل الجنة.**

فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة، فما رأيتموه فهو لكم.

فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين.

فيقول: لكم عندي أفضل من هذا فيقولون: ربنا، وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول تعالى: رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً».اهـ[2].

فصل

وأما حديث: جرير بن عبد الله، ففي «الصحيحين» أنه قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: **«إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا» ثم قرأ قوله:** ﴿وَسَبِّحْ[3] بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩][4].

رواه جماعة عنه، منهم: زيد ابن أبي أنيس وجوَّده، فقال: **«فستعاينون ربكم ﷻ كما تعاينون هذا القمر»**.

وأبو شهاب الخياط، وقال: **«سترون ربكم عياناً»**، وذكر جماعة وقال:

---

(١) في مطبوع «صحيح البخاري»: «فيعرفهم».

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٢).

(٣) في الأصل: «فسبح»!!

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

وكل هؤلاء شهدوا على إسماعيل ابن أبي[1] خالد.

ومضى إلى أن قال: «فكأنك تسمع رسول الله ﷺ وهو يقوله، ويبلّغه لأمته ولا شيء أقرّ لأعينهم منه، وشهدت الجهمية والفرعونية والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصابئة والمجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك، وأنه من أهل التشبيه والتجسيم وتابعهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها، والله تعالى ناصر كتابه، وسنة رسوله، ولو كره الكافرون»[2].

قال محمد تقي الدين: ثم ذكر ابن القيم رحمه الله عن كل واحد من الصحابة المذكورين حديثاً مماثلاً لما تقدم في المعنى، بعض هذه الأحاديث مبسوط، وبعضها مختصر، ولولا خوف السآمة من القارئ والمستمع لذكرتها كلَّها، فمن شاء استيفاءها؛ فليراجعها في المصدر المذكور.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

[الأنعام: ١٥٨]

قال (ك): «يقول تعالى متوعداً للكافرين به والمخالفين لرسله والمكذبين آياته والصادّين عن سبيله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ وذلك كائن يوم القيامة ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا﴾ وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها، كما قال (خ) في تفسير هذه الآية بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها**» فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾[3]: وذكر بسنده عن أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها**»

(١) كلمة (أبي) من مطبوع «حادي الأرواح»، وسقطت من الأصل.
(٢) انظر: «حادي الأرواح» (ص٣٤١ ـ ٣٦٣، ط. ابن رجب) بتصرف.
(٣) أخرجه البخاري (٤٦٣٥).

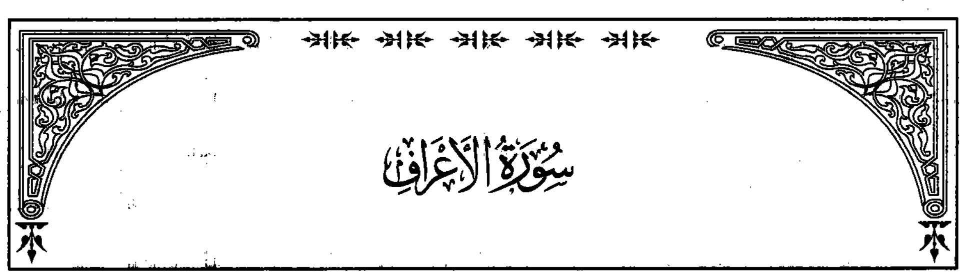
وفي لفظ: «**فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل**» ثم قرأ هذه الآية[١]، هكذا روي هذا الحديث من هذين الوجهين ومن الوجه الأول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم[٢] إلا الترمذي. اهـ»[٣].

قال محمد تقي الدين: وقد تقدم الكلام في سورة البقرة على صفة الإتيان والمجيء، وما في معناهما بما يشفي ويكفي، والحمد لله رب العالمين. اهـ.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٧)، وأبو داود (٤٣١٢)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١١١٧٧)، وابن ماجه (٤٠٦٨).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٢٧).



سُورَةُ الأَعْرَافِ

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]

«قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ قال مجاهد وأحمد بن حنبل وابن عباس والضحاك: إنها من أيام الله التي قال فيها: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]»[١]، وقد يطلق اليوم على المدة الطويلة من الزمان، كما قال تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وكما قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤] أي: يوم الجزاء وهو مدة طويلة، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الإنفطار: ١٩]، فاليوم هنا معناه الزمان!

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قال (ﷺ): «فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً، ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك[٢] في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد[٣] وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين، قديماً وحديثاً، وهو: إمرارها كما جاءت، من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] بل الأمر كما قال الأئمة منهم: نعيم بن

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/٣١٩). (٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يسلك».

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أحمد بن حنبل».

حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: «من شبَّه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر» وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى»[١].

قال محمد تقي الدين: أفتتح هذه المعركة في إثبات علو الله تعالى باسم الله الواحد الأحد، وبه أستعين على كل جهمي معطل أن يمنحنا النصر والظفر على تطهير القلوب والألسنة من عقيدة المعطلين نفاة الصفاة الذين لا يعرفون معبودهم فيجردونه من الصفات حتى يصير عدماً، وأبدأ بما تضمنه «كتاب العلو»[٢] للحافظ النَّقَّاد شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الشهير بالذهبي المولود سنة ٦٧٣ والمتوفى سنة ٧٤٨.

الآيات الدالة على علو الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]؟ [وقال]: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] وقال تعالى في وصف كتابه العزيز: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٤ ـ ٥] وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]. إلى غير ذلك من آيات الاستواء، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ١١] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩] وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة: ٥] وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وقال تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/٣١٩ ـ ٣٢٠).

(٢) طبع أكثر من مرة، أولها بتحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان باسم «العلو للعلي الغفار»: وهكذا تتمة العنوان في «مختصر» شيخنا الألباني له! واسمه الصحيح «العلو للعلي العظيم»، وطبع بهذا الاسم بتحقيق عبد الله البراك، عن دار الوطن في مجلدين.

رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧] وقال تعالى في الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦، ١٧] وقال تعالى: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣، ٤] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] إلى غير ذلك من نصوص القرآن العظيم جل مُنَزِّله وتعالى قائلُه.

فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف، فقِف مع نصوص القرآن والسنن ثم انظر ما قال الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات، وما حكوه من مذاهب السلف، فإما أن تنطق بعلم، وإما أن تسكت بحلم، ودع المراء والجدال، فـ«**إنَّ المراء في القرآن كفر**»[1]. كما نطق بذلك الحديث الصحيح، وسترى أقوال

(١) أخرجه الدارقطني في «العلل» (٩/ ٣١٧)، وأبو إسماعيل الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٢/ ٤ رقم ١٦٠ ـ تحقيق عبد الرحمن الشبل) عن طاهر بن خالد، والهروي (٢/ ٥) عن موسى بن سهل الرملي، وابن عدي في الكامل» (٥/ ١٦٩٩) عن ابن أبي قرصافة، والدينوري في «المجالسة» رقم (٣٤٩٧) عن ابن ديزيل؛ أربعتهم قالوا: حدثنا آدم بن إياس، نا شيبان، عن منصور، عن سعد بن إبراهيم، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة رفعه.
وأخرجه ابن حذلم في «حديثه» رقم (٣)، وعنه تمام في «الفوائد» (٤/ ١٢٠ رقم ١٣٢١ ـ ترتيبه) عن أبي القاسم يزيد بن داود بن عبد الصمد، نا آدم بن أبي إياس، به ـ وسقط منه ذكر عمر بن أبي سلمة!! ـ.
وتابع آدم على ذكر عمر بن أبي سلمة عن أبيه فيه: حجاج، وعنه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٩٤).
وهكذا رواه عن منصور: عمرو بن أبي قيس، أخرجه من طريقه أبو إسماعيل الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٣/ ٥)، وأفاده الدارقطني في «العلل» (٩/ ٣١٦).
وخالف شيبان وابن أبي قيس أبو المحيّاة يحيى بن يعلى؛ فرواه عن منصور، عن سعد، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وأسقط (عمر بن أبي سلمة).
أخرجه هكذا: ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٥٢٩، ط. الهندية، و٦/ ١٤٢ رقم ٣٠١٦٩، ط. الفكر) ـ ومن طريقه الآجري في «الشريعة» (١/ ٢٠٣ رقم ١٤٨ ـ تحقيق الأخ وليد سيف) ـ، وأبو يعلى في «المسند» (١٠/ ٣٠٣) رقم (٥٨٩٧)، والخطيب في «تاريخه» (٤/ ٨١).
وأخطأ أبو المحياة في هذا الإسقاط.
=

= وتوبع منصور على ذكر عمر فيه، تابعه:
* سفيان الثوري.
أخرجه أحمد في «المسند» (٢/٤٧٨) ـ ومن طريقه الخلال في «السنة» (٥/٧٨) رقم (١٦٦٣) ـ عن وكيع وعبد الرحمٰن بن مهدي، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٢/٧) رقم (١٦٢) عن عبد الرحمٰن بن مهدي، والبيهقي في «الشعب» (٢/٤١٦ رقم ٢٢٥٦، ط. دار الكتب العلمية) عن محمد بن يوسف وأبي أحمد الزبيري؛ جميعهم عنه، به.
* ليث بن أبي سليم.
واختلف عليه فيه؛ فرواه أبو كدينة يحيى بن المهلب عنه، وجوَّده.
وأرسله معتمر والطفاوي (محمد بن عبد الرحمٰن أبو المنذر) عن ليث، فقالا: عنه، عن سعد، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وقال زهير وزائدة وجرير: عن ليث، عن سعد، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. أفاده الدارقطني في «العلل» (٩/٣١٦ ـ ٣١٧).
قلت: لعل ليثاً جوّده قبل اختلاطه، وأخرجه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٢/٦ ـ ٧) رقم (١٦١) عن زهير بن معاوية الجعفي، عن ليث، به.
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٢٢٣، ط. الهندية، و٢/٢٤٣ ورقم ٢٨٨١، ط. مصطفى عطا) عن أبي عاصم، عن سعيد، عن سعد بن إبراهيم، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، به.
ولم يذكر المزي في «تهذيب الكمال» (١٠/٢٤٢ ـ ٢٤٣) في ترجمة (سعد بن إبراهيم) من الرواة عنه من اسمه سعيد!! فلعل في مطبوع «المستدرك» تطبيعاً، وما أكثر ذلك فيه، والطبعة الأخرى لا يوجد فيها كبير فائدة في هذا الباب، وما زال الكتاب بأمس الحاجة إلى مقابلة وتحقيق، يسر الله له نابهاً من طلبة العلم.
وروى أبو عاصم ـ وهو: الضحاك بن مخلد ـ عن سعيد بن أبي عروبة وسعيد بن عبد العزيز التنوخي، فلعل المذكور أحدهما، ذكر ذلك المزي في تراجمهم الثلاث في «تهذيب الكمال» (٣/٣٨٢ و١٠/٥٤١ و١١/٧).
قال الدارقطني: «وكذلك قال زكريا بن أبي زائدة وسليمان التيمي عن سعد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وقال إبراهيم: عن أبيه، عن أبي سلمة، أو عن حميد مرسلاً عن النبي ﷺ».
قال: «والصحيح قول الثوري ومن تابعه».
قلت: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/٢٥٨)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٣٥٤، ط. ابن كثير)، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٢/٦) رقم (١٦١) عن ابن أبي زائدة، عن سعد ـ وتحرف في مطبوع «المسند» إلى (سعيد) ـ، به.
وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/٥٠٣) ـ وعنه أبو داود في «السنن» رقم (٤٦٠٣) ـ، وابن بطة في «الإبانة» رقم (٧٩١)، والهروي في «ذم الكلام» (٢/٢) عن يزيد بن هارون، وأحمد في «المسند» (٢/٥٢٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٤/٣٢٤ ـ ٣٢٥ رقم =

....

= ١٤٦٤ ـ «الإحسان»)، واللالكائي في «السنة» (١/ ١١٦) رقم (١٨٢) عن محمد بن عبيد، والبزار في «مسنده» (ق١٤٨/ أ ـ ب ـ مسند أبي هريرة، أو ٣/ ٩٠ رقم ٢٣١٣ ـ «زوائده») والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٢/ ١ ـ ٢) عن عيسى بن يونس، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٢٣) عن المعتمر بن سليمان، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٨٦)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤١٦ رقم ٢٢٥٥، ط. دار الكتب العلمية) عن حماد بن أسامة، والبزار في «مسنده» (٣/ ٩٠ رقم ٢٣١٣ ـ «زوائده») عن محمد بن بشر ـ وتحرف إلى ابن بشير؛ فليصحح ـ، وأبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (٢/ ٢٧٢) عن الأبيض بن الأغرّ و(٢/ ٢٩٢) عن عبيد الله بن شُميط بن عجلان، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ٢٦٣) رقم (١٣٠٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٣٤) عن عبد الله بن شوذب، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٢٤) عن أبي معاوية و(٢/ ٤٧٥) عن يحيى بن سعيد، وابن بطة في «الإبانة» رقم (٧٩٢)، والآجري في «الشريعة» (ص٦٧، ط. القديمة، و١/ ٢٠٣ رقم ١٤٧) عن سليمان بن بلال، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢١٢ ـ ٢١٣) عن ابن السماك وفي «أخبار أصبهان» (٢/ ١٢٣) عن جناب بن نسطاس، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) رقم (٣٤٩٩)، والقطيعي في «جزء الألف دينار» رقم (٢١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢١٥)، والهروي في «ذم الكلام» (٢/ ١) عن كهمس بن الحسن، والهروي (٢/ ١ ـ ٢) بأسانيد عن خالد بن عبد الله، والهياج بن بسطام وهارون بن موسى النَّحوي، والذهبي في «السير» (١٠/ ٦٢٤) عن عبد الوارث بن سعيد؛ جميعهم عن محمد بن عمرو بن علقمة ـ وتحرف في «المستدرك» إلى «عن علقمة»!! فليصحح ـ عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رفعه.

قال الحاكم (١/ ٢٢٣): «حديث المعتمر عن محمد بن عمرو صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، فأما عمر بن أبي سلمة؛ فإنهما لم يحتجا به».

قلت: نعم، ولكنه حسن الحديث، قال ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٦٩٩) ـ وأورد له أحاديث، منها حديثنا هذا ـ: «ولعمر بن أبي سلمة غير ما ذكرت أحاديث، وهذه الأحاديث التي أمليتها عن... وسعد بن إبراهيم... عنه، كل هذه الأحاديث لا بأس بها، وعمر بن أبي سلمة متماسك الحديث لا بأس به».

وسبق أن الدارقطني صحح هذه الطريق دون سائر الطرق، وقال الهروي في «ذم الكلام» (ص٣ ـ ٤): «وهذا الحديث قد اضطرب فيه على أبي سلمة من وجوه؛ فرواه محمد بن عمرو هكذا، وليس هو بالمحفوظ، وإن كان أشهر في الناس؛ فإن الحفاظ: منصور بن المعتمر، وسفيان الثوري، وابن أبي زائدة؛ خالفوه فيه».

فليست رواية سفيان ومن تابعه «من قبيل المزيد في متّصل الأسانيد»!!

وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (٨٠٩٣) أو في «فضائل القرآن» (١١٨)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٠)، وأبو يعلى في «المسند» (١٠/ ٤١٠) رقم (٦٠١٦)، وعنه ابن حبان في «الصحيح» (رقم ٧٤ ـ «الإحسان»)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ١١)، =

= والخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٢٦)، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٢/ ٧، ٨ ـ ٩) رقم (١٦٣، ١٦٥)؛ من طرق عن أبي ضمرة أنس بن عياض، عن أبي حازم سلمة بن دينار التَّمّار، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رفعه بلفظ: «**نزل القرآن على سبعة أحرف، والمراء في القرآن كفر ـ** ثلاثاً ـ **ما عرفتم منه؛ فاعلموا، وما جهلتم منه؛ فردوه إلى عالمه**».
وصحح إسناده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ١٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٥١): «رواه أحمد بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، ورواه البزار بنحوه».
وشك بعض رواته عن أبي ضمرة في ذكر أبي هريرة ﷺ، ورواه عمرو بن عثمان عن أبي ضمرة، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، لم يذكر فيه أبا سلمة.
أخرجه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٢/ ٨/ ١٦٤).
ولم يسمع أبو حازم من أبي هريرة شيئاً، حتى قال ابنه: «من حدَّثك أن أبي سمع من أحد من الصحابة غير سهل بن سعد؛ فقد كذب». انظر: «تهذيب الكمال» (١١/ ٢٧٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٦/ ٩٧).
فإسناده منقطع.
وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ١١٧) رقم (٤٢٢٤)، و«الصغير» (١/ ٢٠٧، ٢٠٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ١٣٦)، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٢/ ١٠) رقم (١٦٧)؛ عن محمد بن حمير، حدثنا شعيب بن أبي الأشعث، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.
قال الطبراني: «لم يروِ هذا الحديث عن هشام بن عروة إلا شعيب بن أبي الأشعث، تفرد به محمد بن حمير».
وقال الخطيب: «غريب من حديث عروة عن. . . تفرد به شعيب عن هشام عن أبيه، ولم يروه عنه غير ابن حِمْيَر».
قلت: وشعيب، قال أبو حاتم: «مجهول»، وقال الأزدي: «ليس بشيء» كذا في «اللسان» (٣/ ١٤٦) وقال ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٢/ ٧٤) رقم (١٧١٤) ـ وأورد هذا الطريق ـ: «قال أبي: هذا حديث مضطرب، ليس هو صحيح الإسناد، عروة عن أبي سلمة لا يكون، وشعيب مجهول».
وله عن أبي هريرة طريق أخرى.
أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٤٠١) رقم (٣٦٧٩)، و«الصغير» (٤٩٦ ـ «الروض»)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٩٢) عن محمد بن حرب، ثنا يحيى بن المتوكل، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) عن عبد الله بن رجاء؛ كلاهما عن عنبسة بن مهران الحداد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة، عن أبي هريرة رفعه.
قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا عنبسة الحداد».
وقال أبو نعيم: «غريب من حديث مكحول، لم نكتبه إلا من حديث ابن حرب». =

....

= والعجب من قولة ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٣/ ٩٢٨) رقم (١٧٦٨): «روى سعيد بن المسيب وأبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«المراء في القرآن كفر»** قال: «ولا يصح فيه عن النبي ﷺ غير هذا بوجهٍ من الوجوه».

قلت: وهذا الطريق من أضعف طرقه؛ فعنبسة قال عنه أبو حاتم: «منكر الحديث»، وقال أبو داود: «ليس بشيء»، والراوي عنه محمد بن حرب النَّشائي ـ بالشين المعجمة، وليس بالمهملة كما في مطبوع «الأوسط» للطبراني؛ فليصحح ـ ضعيف؛ كما في «التقريب».

نعم؛ توبع ابن حرب، ولكن متابعته عدم!

أخرجه المبارك بن عبد الجبار في «الطيوريات» (ج١٥/ ق٢٤٧/ أ ـ «انتخاب السِّلفي») عن أبي يزيد البسطامي، نا إبراهيم الجوزجاني، نا أبو عاصم النبيل، نا عنبسة به، ولفظه: **«أخِّر كلام في القدر لشرار هذه الأمة، ومراء في القرآن كفر»**، وخرجت هذا الحديث في تعليقي على «الكبائر» برقم (٢٤٦ ـ التحقيق الثاني).

والحديث **صحيح**، وقد أتينا على جميع طرقه عن أبي هريرة ﷺ، ولله الحمد والمنة.

وله شواهد عن عمرو بن العاص، وابنه عبد الله، وزيد بن ثابت، وأبي جُهيم.

أما حديث أبي جُهيم.

فأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٦٩ ـ ١٧٠)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ١٥، أو رقم ٤١، ط. شاكر)، والطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٨٣، ط. الهندية)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٨/ ٢٨٢)، والخلال في «السنة» (٤/ ١٦٥) رقم (١٤٣٥)، وابن بطة في «الإبانة» رقم (٨٠١)، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٢/ ١٠ ـ ١١) رقم (١٦٨) عن سليمان بن بلال، عن يزيد بن خُصَيفة، أن بسر بن سعيد أخبره، عنه، به.

وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٣٥٤، ط. دار ابن كثير)، والبخاري في «التاريخ» (٤/ ١/ ٢٦٢)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (رقم ٧٢٥ ـ زوائده «بغية الباحث»)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤١٩) رقم (٢٢٦٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦) عن إسماعيل بن جعفر، عن يزيد بن خصيفة، عن مسلم بن سعيد ـ وليس عن بسر بن سعيد ـ، عنه، به.

واختلف فيه على إسماعيل؛ فقال أبو عبيد: عنه عن يزيد عن مسلم بن سعيد مولى ابن الحضرمي بن سعيد، عن أبي جُهيم الأنصاري، به.

ورواه كما سقناه عنه: علي بن حُجر، وعاصم بن علي.

ورواه خالد بن القاسم المدائني عنه عن يزيد، عن بسر بن سعيد مولى الحضرميين عنه، به.

أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (رقم ٧٢٦ ـ «بغية الباحث»).

فجزم المدائني بأن شيخ يزيد «بسر» لا «مسلم».

ويغلب على الظن أن هذا الاختلاف من يزيد بن خصيفة نفسه.

ورجح ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص١١٧ ـ ١١٨) رواية سليمان بن بلال؛ فأورد =

....

= إسناد أبي عبيد، وقال: «هكذا رواه أبو عبيد على الشك، وقد رواه أحمد على الصواب»، وساق إسناده، وقال: «وهذا **إسناد صحيح**، ولم يخرِّجوه».
وأما **حديث عمرو بن العاص**.
فأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٠٤، ٢٠٥)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٣٥٣، ط. دار ابن كثير)، وابن عمر العدني في «مسنده» ـ كما في «إتحاف المهرة» (ق٢٣٠/ أ) ـ، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤١٩) عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن بسر بن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو، عن عمرو بن العاص.
قال ابن حجر في «الفتح» (٩/ ١٢٦): «إسناده حسن»، وقال ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص١١٩): «وهذا ـ أيضاً ـ حديث جيد».
قلت: هو كذلك إن حفظه ابن الهاد؛ فقد خالفه يزيد بن خصيفة ـ وهو أوثق منه ـ عن بسر بن سعيد، عن أبي جهيم؛ كما تقدم.
وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٥٢٨): حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم، عن سعد مولى عمرو بن العاص، فقال: تشاجر رجلان في آية، فارتفعا إلى رسول الله ﷺ، فقال: **«لا تماروا فيه؛ فإن المراء فيه كفر»**.
قال أبو حاتم في «العلل» (٢/ ٩٦) رقم (١٧٨٢) عقب هذا الطريق: «هذا وهم، إنما رواه يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن بسر بن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ».
وأما **حديث عبد الله بن عمرو**.
فأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٥٢٨) ـ ومن طريقه الآجري في «الشريعة» (ص٦٨، ط. القديمة، و١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ رقم ١٥١، ط. وليد سيف)، وابن بطة في «الإبانة» رقم (٧٨٣)، والطبراني في «الكبير» ـ كما في «المجمع» (١/ ١٥٧) ـ، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (١/ ٥٨ ـ ٥٩ رقم ٤٨ و٢/ ١١ رقم ١٦٩) عن موسى بن عبيدة، أخبرني عبد الله بن شريك، عن عبد الرحمٰن بن ثوبان، عنه، به.
قال الهيثمي: «فيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف جدّاً».
وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٥٦٩) رقم (٣٩٧٣) من طريق آخر عنه، **وسنده ضعيف جدّاً**، فيه فليح بن سليمان.
وأما **حديث زيد بن ثابت**.
فأخرجه الطبراني في «الكبير» (٥/ ١٥٢) رقم (٤٩١٦) **بسند ضعيف**، فيه عبيد الله بن عبد الرحمٰن بن موهب، ليس بالقوي.
قال ابن حبان في «صحيحه» (٤/ ٣٢٦ ـ «الإحسان»): «إذا مارى المرء في القرآن؛ أداه ذلك ـ إن لم يعصمه الله ـ إلى أن يرتاب في الآي المتشابه منه، وإذا ارتاب في بعضه أداه ذلك إلى الجحد، فأطلق ﷺ اسم الكفر الذي هو الجحد على بداية سببه الذي هو المراء». =

الأئمة في ذلك على طبقاتهم بعد سرد الأحاديث النبوية. جمع الله قلوبنا على التقوى[١]، فإننا على أصل صحيح، وعَقْد متين، من أن الله تقدس اسمه لا مِثْل له، وأن إيماننا بما ثبت من نعوته كإيماننا بذاته المقدسة[٢] عن الأشباه من غير أن نتعقَّل الماهية، فكذلك القول في صفاته نؤمن بها ونعقل وجودها، ونعلمها في الجملة من غير أن نشبهها أو نمثلها[٣] بصفات خلقه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فالاستواء ـ كما قال مالك الإمام وجماعة ـ: معلوم والكيف مجهول[٤].

١ ـ فمن الأحاديث الواردة المتواترة[٥] في العلو: حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: كانت لي غنيمة[٦] بين أحد والجوانيَّة فيها جارية لي، فاطلعتها ذات يوم، فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة ـ وأنا رجل من بني آدم ـ فأسفتُ، فصككتُها، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فذكرتُ ذلك له، فعظُم ذلك عليَّ، فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: **«ادعها»** فدعوتها، فقال لها: **«أين الله»**؟ فقالت: في السماء، قال: **«من أنا»**؟ قالت: أنت رسول الله، قال: **«أعتقها فإنها مؤمنة»** هذا حديث صحيح

= وقال ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٢٨): «والمعنى: إنما يتمارى اثنان في آية، يجحدها أحدهما، ويدفعها ويصير فيها إلى الشك؛ فذلك هو المراء الذي هو الكفر.

وأما التنازع في أحكام القرآن ومعانيه؛ فقد تنازع أصحاب رسول الله ﷺ في كثير من ذلك، وهذا يبين لك أن المراء الذي هو الكفر هو الجحود والشك؛ كما قال ﷻ: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [الحج: ٥٥]، والمراء والملاحاة غير جائز شيء منها، وهما مذمومان بكل لسان، ونهى السلف ﷺ عن الجدال في الله ـ جل ثناؤه ـ وفي صفاته وأسمائه»، وانظر: «شرح السنة» (١/ ٢٦١).

(١) بعدها في مطبوع «العلو»: «وجنبنا المراء والهوى».

(٢) بعدها في مطبوع «العلو»: «إذ الصفات تابعة للموصوف، فنعقل وجود الباري ونميز ذاته المقدسة».

(٣) في مطبوع «العلو»: «من غير أن نتعقّلها أو نشبهها أو نكيفها أو نمثلها».

(٤) أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» رقم (١٠٤)، وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» رقم (٢٤، ٢٥، ٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥، ٣٠٥ ـ ٣٠٦، رقم ٨٦٦، ٦٨٧، ط. الحاشدي)، واللالكائي في «السنة» رقم (٦٦٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٥١) من طرق عنه.

وجوَّد إسناده ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦، ٤٠٧).

(٥) في مطبوع «العلو»: «المتوافرة».

(٦) في مطبوع «العلو»: «غنم».

رواه جماعة من الثقات[1] عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة

---

(١) وقفت على ثمانية منهم جميعهم رووه عن يحيى بن أبي كثير عن هلال عن عطاء به، هم:
الأول: حجاج الصَّوَّاف؛ كما عند ابن أبي شيبة في «الإيمان» مختصراً رقم (٨٤)، ومسلم في «صحيحه» كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة (١/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) رقم (٥٣٧ بعد ٣٣)، وكتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (٤/ ١٧٤٩)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٨/ ٤٢٧)، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» رقم (٦١)، وأبي داود في «السنن» كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة (١/ ٢٤٤) رقم (٩٣٠)، وكتاب الأيمان والنذور، باب في الرقبة المؤمنة (٣/ ٢٣٠) رقم (٣٢٨٢)، وكتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير (٤/ ١٦) رقم (٣٩٠٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٩٠)، والدارمي في «السنن» (١/ ٣٥٤) ـ ولم يسق لفظه ـ، وأبي عوانة في «المسند» (٢/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٢/ ٣٥ ـ ٣٦) ورقم (٨٥٩)، و«التوحيد» (ص١٢٢)، وابن حبان في «الصحيح» (١/ ٣٨٣/ رقم ١٦٥ ـ مختصراً، ٦/ ١٢٤/ رقم ٢٢٤٨ ـ الإحسان)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) الأرقام (٩٣٨، و٩٤٣ و٩٤٧)، وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٢١٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٢٣٧) رقم (٧٢٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٣٦٠ ـ مختصراً)، ولفظه: «... **ومنا رجال يخطّون. قال: كان نبي من الأنبياء يخطّ، فمن وافق خطَّه؛ فذاك**».
ورواه عن يحيى وفيه اللفظ المذكور جماعة، منهم:
الثاني: الأوزاعي؛ كما عند مسلم في «الصحيح» (١/ ٣٨٣) ـ ولم يسق لفظه ـ، وأشار إليه في (٤/ ١٧٤٩)، وأبي عوانة في «المسند» (٢/ ١٤١)، والنسائي في «المجتبى» كتاب الصلاة، باب الكلام في الصلاة (٣/ ١٤ ـ ١٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٦/ ٢٢/ رقم ٢٢٤٧ ـ الإحسان)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٢/ ٣٥ ـ ٣٦) رقم (٨٥٩)، و«التوحيد» (ص١٢١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٩٨) رقم (٩٣٧ و٩٤١ و٩٤٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٤٩)، و«الأسماء والصفات» (٤٢١).
وأخرجه من طريقه مختصراً: البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (١٩٣)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٤٤٦)، والدارمي في «المسند» (١/ ٣٥٣)، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» (٨٤).
الثالث والرابع: حرب بن شداد وأبان بن يزيد العطار؛ كما عند الطيالسي في «المسند» رقم (١١٠٥).
ومن طريقه البيهقي مختصراً في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٥٠)، و«الأسماء والصفات» (٤٢٢)، وابن قدامة مختصراً في «إثبات صفة العلو» رقم (١٦).
وأخرجه أبو عوانة في «المسند» (٢/ ١٤١ ـ ١٤٢) بسنده إلى أبان والأوزاعي، جميعاً عن =

= يحيى به، وفيه اللفظ لمذكور.
وأخرجه مختصراً دونه عن أبان وحده به: أحمد في «المسند» (٥/٤٤٨)، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» رقم (٦٠)، و«الرد على بشر المريسي» (ص٩٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٨٩)، ومن طريقه الحافظ أبو العلاء ابن العطار في «فتيا وجوابها في ذكر الاعتقاد وذم الاختلاف» رقم (٢٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/٣٩٩) رقم (٩٣٩ و٩٤٢ و٩٤٦)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» رقم (٦٥٢)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (ص٦٣).
الخامس: هشام الدستوائي؛ كما عند الحربي في «غريب الحديث» (٢/ ٧٢٠)؛ قال: حدثنا مسدد حدثنا يحيى (هو ابن سعيد القطان) عن هشام به مختصراً، وفيه اللفظ المذكور.
السادس: حسين المعلّم؛ كما عند الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٤٠١) رقم (٩٤٤)، وفيه اللفظ المذكور.
السابع: همام بن يحيى؛ كما عند أحمد في «المسند» (٥/٤٤٨)، وفيه اللفظ المذكور.
ورواه عن يحيى، لكن بلفظ: «... **فمن وافق علْمُه علِم**».
الثامن: معمر، وعنه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/٤٠٣) رقم (١٩٥٠١)، وبإسناده إليه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٩٩) رقم (٩٤٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢/ ١٨١) رقم (٣٣٥٩).
ورواه تاسع عن يحيى وهو من أقرانه، وهو:
التاسع: أيوب السختياني، ولكن عن يحيى عن هلال عن معاوية به، ولم يذكر فيه عطاء بن يسار؛ كما عند الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣) رقم (٩٤٨) مختصراً، وليس فيه اللفظ المذكور.
وهذا حديث سمعه يحيى من هلال؛ إذ صرح بالتحديث عند أحمد وابن خزيمة؛ فانتفت شبهة تدليسه، كما صرح كل من هلال بن أبي ميمونة وعطاء بالتحديث عند ابن خزيمة.
وتابع يحيى اثنان؛ فروياه عن هلال به، هما:
الأول: فليح بن سليمان:
رواه مختصراً ولم يرد فيه السؤال المذكور، ولا جواب الجارية، ولا اللفظ الذي أورده المصنف؛ كما عند البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٥٣٠)، وأبي داود في «السنن» كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة (١/ ٢٤٥) رقم (٩٣١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٤٤٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٤٩).
والثاني: مالك بن أنس:
وذكر فيه السؤال وجواب الجارية؛ كما في «الموطأ» (٢/ ٧٧٦ ـ ٧٧٧)، وعنه الشافعي في «الرسالة» فقرة (٢٤٢)، و«الأم» (٥/ ٢٨٠)، والنسائي في «التفسير» (٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) رقم (٤٨٥)، و«السنن الكبرى» في (السير) و(النعوت)؛ كما في «تحفة الأشراف» رقم =

= (١١٣٧٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٢٢)، والخطيب في «الموضح» (١/ ١٩٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٨٧).

ولكن قال مالك في روايته في اسم الصحابي (عمر بن الحكم)؛ فتعقبه الشافعي؛ فقال في «الرسالة» (ص٧٦): «وهو معاوية بن الحكم، وكذلك رواه غير مالك، وأظن مالكاً لم يحفظ اسمه».

قلت: رواه عن مالك على الصواب يحيى بن يحيى التميمي، وعنه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» رقم (٦٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٨٧)، وقال: «ورواه يحيى بن يحيى عن مالك مجوّداً».

وانظر ـ غير مأمور: «الجوهر النقي»، وشروح «الموطأ»، و«تحفة الأشراف» رقم (١١٣٧٨)، وترجمة (معاوية بن الحكم) من «تهذيب الكمال» ومختصراته؛ ففيها كلام تفصيلي بخصوص هذا الشأن.

وتابع عطاءً أبو سلمة بن عبد الرحمٰن:

وعنه الزهري، وعنه جماعة؛ كما عند مسلم في «الصحيح» كتاب السلام، باب تحريم الكهانة (٤/ ١٧٤٨ ـ ١٧٤٩) رقم (٥٣٧ بعد ١٢١)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٠٢) رقم (١٩٥٠٠)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٤٣ و٥/ ٤٤٧، ٤٤٧ ـ ٤٤٨، ٤٤٩)، والطيالسي في «المسند» رقم (١١٠٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧) رقم (٩٣٣ ـ ٩٣٦).

والحديث صحيح، وقد شكك بعضهم في سؤال النبي ﷺ الجارية، وجوابها، وإقراره ﷺ لها، بقولهم تارةً أن الحديث مضطرب، وبقولهم أخرى أنها زيدت فيما بعد في «صحيح مسلم» ومن زعم الاختلاف في متنه؛ فلم يصب لأنه احتج لما ذهب إليه بروايات أحسن مراتبها الضعف على أنها عند التحقيق لا تُعدّ اختلافاً، **وإنما أراد بعض أهل البدع التعلق بهذا لإبطال دلالة هذا الحديث على اعتقاد أهل السنة من أنّ الله فوق خلقه**، وكذلك تشكيك بعض أهل الزيغ في ثبوت هذا الحديث في «صحيح مسلم» هو أوهى من بيت العنكبوت، لمن علم وَفَهِمَ وأنصف، **وشبهات أهل البدع لم تسلم منها آيات الكتاب؛ فكيف تسلم منها السنن؟!**

وفي أول الحديث: «كان نبي يخط» وهو في «صحيح مسلم» وغيره ـ كما رأيت ـ ورواته جميعاً ثقات معروفون؛ فقول ابن رشد (ت٥٢٠هـ) في رسالته «الرد على من ذهب إلى تصحيح علم الغيب من جهة الخط» (ص٤٢ ـ بتحقيقي)، وكذا قول ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ٦٩٦) بأن جميع أحاديث الخط ضعيفة؛ ليس بجيّد، ويعوزه التحقيق العلمي، والله تعالى أعلم، ولذا قال القرطبي المفسر في «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ١٧٩) متعقباً ابن العربي: «هو ثابت من حديث معاوية بن الحكم السلمي أخرجه مسلم».

تنبيه: أورد الرافعي في «الشرح الكبير» هذا الحديث عن معاوية بن الحكم، وورد في أوله: «لما رجعت من الحبشة؛ صليت مع رسول الله ﷺ...» وهو غلط محض لا وجه =

عن عطاء بن يسار عن معاوية السلمي، أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم، يمرونه كما جاء، ولا يتعرضون له بتأويل ولا تحريف.

عن عطاء بن يسار قال: حدثني صاحب الجارية نفسه قال: كانت لي جارية ترعى.. الحديث، وفيه: «فمد النبي ﷺ يده إليها وأشار إليها مستفهماً: **«مَنْ في السماء»**؟ قالت: الله، قال: **«فمن أنا»**، قالت: أنت رسول الله، قال: **«أعتقها فإنها مسلمة»**[(١)]»[(٢)].

قال محمد تقي الدين: ثم ذكر الحافظ الذهبي روايات عديدة لهذا الحديث، وأحاديث أخرى في معناه، تركت ذكرها حباً للاختصار.

شرح بعض كلمات هذا الحديث:

١ ـ فأَسِفْتُ: أي غَضِبْتُ. فصكَكْتُها: أي ضربتها بيدي على وجهها. وقد جاء مصرحاً به في بعض الروايات: «فلطمتُ وجهها»[(٣)].

= له، ولم يذكر أحد (معاوية بن الحكم) في مهاجرة الحبشة؛ لا من الثقات، ولا من الضعفاء، وكأنه انتقال ذهني من حديث متقدم لابن مسعود، يورده الفقهاء قبل هذا؛ فإن فيه: «رجعت من الحبشة»، والله أعلم، أفاده ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١/ ٢٨١).
وأخرجه ابن وهب في «جامعه» (١/ ١١٣ ـ ١١٤)؛ قال: أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن أناساً قالوا لرسول الله ﷺ... (وذكر نحوه).
والنبي الذي كان يخطُّ هو إدريس ﷺ كما قال أبو ذر ابن الشيخ الإمام سبط ابن العجمي في «تنبيه المعلم بمبهمات صحيح مسلم» رقم (٢٥٨، ٩٣٢ ـ بتحقيقنا)، والأبّي في «إكمال الإكمال» (٢/ ٢٣٩)، وحاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ٩١٢)، واقتصروا عليه، وذكره الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٩/ ١١٨)، وشبّير العثماني في «فتح الملهم شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٣٥)، وذكرا معه قولاً آخر، وهو (دانيال)، والأول أشهر، والله أعلم.

(١) أشار المزي في «تحفة الأشراف» (٨/ ١١٨) إلى هذا الطريق ورمز له بالحرف (ز) أي أنه من الزوائد على الكتب الستة.
وأخرجه بسنده الذهبي في «العلو» (١/ ٢٥٢) رقم (٣)، وانظر لزاماً: «العلل» للدارقطني (٧/ ٨٢).

(٢) انظر: «العلو للعلي العظيم» (١/ ٢٤٥ ـ ٢٥٤).

(٣) هذا لفظ رواية مرسل عطاء السابقة، وورد بلفظ: «فضرب الجارية على وجهها»، وذكره ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٥٣٥) وقال: «وذكره ابن شاهين أيضاً».

٢ ـ قوله: «وأنا رجل من بني آدم فغضبت كما يغضبون».

قال محمد تقي الدين: في هذا الحديث السؤال عن الله تعالى بأين، ومنعه الخوارج وسائر الفرق المعطلة كالمعتزلة والمتأخرين من الأشعرية، وزعموا أن من سأل عن الله بأين فهو مجسم، واختلفوا في كفره وفسقه ومعصيته، فيلزمهم نسبة ذلك إلى نبي الله الذي جاءنا بالإيمان، فقبَّح الله علماً يفضي إلى مثل هذا، وفيه **إقرار النبي عليه الصلاة والسلام** بأن الله في السماء، وأنكرته المعطِّلة، واختلفوا في كفر معتقده، فياويلهم! ماذا جنوا على أنفسهم بسبب جهلهم وعمى بصائرهم، فنعوذ بالله من الخذلان. اهـ.

«**الحديث الثاني**: حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم عرفة: «**ألا هل بلغت؟**» فقالوا: نعم ـ يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ـ ويقول: «**اللهم اشهد**» أخرجه مسلم[1]»[2].

قال محمد تقي الدين: ماذا تقول المعطلة في إشارة النبي ﷺ بأصبعه إلى السماء عند قوله: «**اللهم اشهد**» فهل كان يشير إلى العدم كما تعتقدون، فبعضكم يقول: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه. فالإشارة إليه عندكم مستحيلة، وقد أشار إليه النبي ﷺ وأشارت إليه الجارية، وأقرها على ذلك رسول الله ﷺ، والنبي وأصحابه على حقٍّ؛ فأنتم إذاً على باطل. اهـ.

«**الحديث الثالث**: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يرجع إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون**» متفق عليه[3]»[4].

قال محمد تقي الدين: نزول الملائكة من عند الله بأمره تعالى إلى الأرض ورجوعهم إلى الله، وذكرهم ما شاهدوه من صلاة المصلين، على أي شيء يدل هذا؟ هل يمكن أن يدل على أن الله في كل مكان، أو أنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه؟ كلا! ثم كلا! وهل الفِرَقُ المعطّلة تعرف الله أحسن مما يعرفه رسوله

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨)، وأحمد (٣/ ٣٢٠ ـ ٣٢١).
(٢) ذكره الذهبي في «العلو» (١/ ٢٧٢).
(٣) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٢١١).
(٤) ذكره الذهبي في «العلو» (١/ ٢٧٣).

وأصحابه والتابعون والأئمة المجتهدون وأئمة الحديث؟ كلا! والله إن المعطلين لفي ضلال مبين. فيا حسرتهم يوم القيامة ويا ندامتهم حين يجيء الله تعالى لفصل القضاء، ويعلمون أنهم كانوا كاذبين، فتعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.اهـ.

«**الحديث الرابع**: رواه الحافظ الذهبي بسنده وسرد رجاله إلى أبي رَزِين العُقَيلِي، قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: «**كان في عماء، ما فوقه هواء، وما تحته هواء، ثم خلق العرش ثم استوى عليه**»(١) رواه الترمذي وابن ماجه، وإسناده حسن. ورواه إسحاق بن راهويه عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد وعنده: «**ثم كان العرش فارتفع على عرشه**» قال أبو عبيد: «العماء: الغمام»(٢).

الحديث الخامس: عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» أخرجه (د) و(ت) وصححه»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٠٩)، وابن ماجه (١٨٢)، والطيالسي (١٠٩٣)، وابن أبي شيبة في «العرش» (٧)، وأحمد (٤/ ١١، ١٢)، وابنه عبد الله في «السنة» (٤٥٠)، وابن جرير في «التفسير» (١٧٩٨٠، ١٧٩٨١، ط. شاكر)، وفي «التاريخ» (١/ ٣٧ ـ ٣٨)، وابن أبي زمنين في «السنة» رقم (٣١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦١٢)، وابن حبان (٦١٤١)، والطبراني (١٩/رقم ٤٦٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٨٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٠١)، وأبو العلاء الهمداني في «فتيا في الاعتقاد» رقم (٢٨)، والذهبي في «العلو» رقم (١٣)، **وإسناده ضعيف**، فيه وكيع بن حُدُس مجهول الحال.

(٢) انظر: «غريب الحديث» (٢/ ٨)، ونحوه في «إبطال التأويلات» (١/ ٢٣٨)، و«العرش» رقم (٨).

(٣) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٩/ ٦٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، والحميدي رقم (٥٩١)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي رقم (١٩٢٤)، وابن وهب في «الجامع» (١٤٦)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٢٦)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٧٧٥)، وعثمان بن سعيد الدّارمي في «الرد على الجهمية» رقم (٦٩)، وفي «الرد على المريسي» (ص١٠٤)، والحاكم (٤/ ١٥٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٩٣)، وفي «الشعب» (١١٠٤٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٦٠)، وابن قدامة المقدسي في «إثبات صفة العلو» رقم (١٥)، وابن المستوفي في «تاريخ إربل» (١/ ٤٠٦)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٦٥٦)، ومحمد بن عمر الفهري في «ملء العيبة» (ص٢٩٠ ـ ٢٩١، ٣٧٤)، والقاسم بن يوسف التجيبي في «المستفاد» (ص٥٢ ـ ٥٣)، والذهبي في «السير» (١٧/ ٦٥٦)، و«معجم الشيوخ» (١/ ٢٣)، و«العلو» رقم (١٤)، وأبو الفتح الخرقي في =

قال محمد تقي الدين: ما المراد بقول النبي ﷺ: «**يرحمكم من في السماء؟**» هل يملك الرحمة أحد غير الله تعالى؟ كلا! إنه هو العزيز الرحيم العلي الكريم، وذلك مصداق قول الله تعالى في سورة الملك: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾ [الملك: ١٦، ١٧] فأنت ترى أن الآيتين والحديث يدلان دلالة واضحة على أن الله في السماء فوق العرش، والعرش أعلى المخلوقات وأعظمها، وهو غني عن العرش، والعرش فقير إليه، فيا أيها المعطلون توبوا من التعطيل، وآمنوا بما جاء في التنزيل، واتبعوا السلف واحذروا التلف، والله يهدينا وإياكم إلى صراط مستقيم. اهـ.

«**الحديث السادس**: عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن جرير سمع النبي ﷺ يقول: «**من لم يرحم من في الأرض لم يرحمه من في السماء**»[1] رواته ثقات.

= «الفوائد الملتقطة» (٢٢٢ ـ ٢٢٣)، والعراقي في «العشاريات» (١/٥٩)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٣٤/ ١٩١).

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» وصححه الخرقي أيضاً، وقال العراقي في «العشاريات»: «هذا حديث صحيح».

وصححه ابن ناصر الدين الدمشقي في بعض مجالسه المحفوظة في ظاهرية دمشق، لكن أوراقها مشوشة الترتيب، وقال:

«ولأبي قابوس متابع، رويناه في «مسندي أحمد بن حنبل وعبد بن حميد» من حديث أبي خداش حبان بن زيد الشّرعبي الحمصي، أحد الثّقات عن عبد الله بن عمرو بمعناه، وللحديث شاهد عن نيف وعشرين صحابياً، منهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمٰن بن عوف ﷺ» والحديث صحيح، وانظر تخريج الحديث الآتي.

وانظر: «العلو» (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٩).

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥٠٢)، و«مكارم الأخلاق» (٤٥)، والذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١١٠٧).

قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٥٥): «إسناده جيّد قوي»!

قلت: الصّواب أن يقال: «رواته ثقات» كما قال الذهبي رحمه الله، لأنَّ في إسناده أبا إسحاق السَّبِيعي، وهو صدوق اختلط ومدلس، ولم يصرح بالتّحديث.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٨٧): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

أخرجه الطيالسي (٣٣٥)، والطبراني في «المعجم الصغير» رقم (٢٨١)، و«المعجم =

الحديث السابع: عن أنس أن زينب بنت جَحْش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوَّجكُنَّ أهاليكُن وزوَّجني اللهُ من فوق سبع سماوات، ولفظ عيسى[١] أنها قالت للنبي ﷺ: «زوجنيك الرحمن من فوق عرشه» هذا حديث صحيح أخرجه البخاري[٢]»[٣].

قال محمد تقي الدين: فإذا قال الجهمي: إن كون إرادة التزويج أو فعله وقع في السماء لا يدل على أن الله فوق سبع سموات. فجوابه: إن إرادة الله وفعله عامان في جميع الأشياء في الأرض والسماء، وإنما أرادت زينب أن الله فوق سبع سماوات وأن تزويجها كان عنده، كما فهمه أئمة الحديث واحتجوا به على أن الله في السماء، أما الجهمية فإنهم أهل حدث وليسوا من أهل الحديث. اهـ.

«**الحديث الثامن**: عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا تأمنوني، وأنا أمين من في السماء؟ يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً»** متفق عليه[٤]»[٥].

قال محمد تقي الدين: وهذا الحديث صريح ينزل على رؤوس المعطلين صاعقة تحرقهم ولا حيلة لهم في تحريفه. اهـ.

= الكبير» (١٠٢٧٧)، و«مكارم الأخلاق» (٤٦)، وأبو يعلى (٥٠٦٣)، والحاكم (٤/ ٢٤٨)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٢١٩)، وفي «الحلية» (٤/ ٢١٠)، والبغوي (٣٤٥١)، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» رقم (٧٤)، واللالكائي في «السنة» (٦٥٥)، وابن قدامة في «إثبات العلو» (٢٢) من طريق أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود به.

وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، **فإسناده منقطع**. انظر: «المجمع» (٨/ ١٨٧)، **وصوّب** الدارقطني في «العلل» (٥/ ٢٩٩)، والذهبي في «العلو» (١/ ٢٨٢) وقفه على ابن مسعود، والموقوف عند وكيع (٤٩٩)، وهناد (١٣٢٣)، وأحمد (ص١٥٩) كلهم في «الزهد»، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٢٨)، واللالكائي (٦٥٧) وغيرهم، **وإسناده صحيح**.

والخلاصة: **الحديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده**، والله تعالى أعلم.

(١) في الأصل: «أبي عيسى» والصواب حذف (أبي) وهو ابن طهمان، الراوي عن أنس، وكذا في «العلو» للذهبي، وفيه ـ ومنه ينقل المصنف ـ بعده: «كانت تقول: «إن الله أنكحني في السماء» وفي لفظ: . .» فسقط هذا على المصنف أو المراجع!

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٢٠).

(٣) انظر: «العلو» (١/ ٢٨١، ٢٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٤٤).

(٥) انظر: «العلو» (١/ ٢٨٥٠).

«**الحديث التاسع**: عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه، فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها زوجها**» أخرجه (م)»[(١)][(٢)].

قال محمد تقي الدين: من الذي سخط عليها وهو في السماء؟ أتستطيعون أن تقولوا: سخط أمره؟ أو سخطت قدرته؟ فقد فضحكم الله، فاتركوا التستر بالباطل، ولا تحاولوا ستر الشمس بالغربال، أتكفرون بالذي في السماء؟ وقد آمن به الرسول ﷺ وأهل القرون المفضلة؟ ارجعوا إلى الحق، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. اهـ.

«**الحديث العاشر**: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أُلقيَ إبراهيم ﷺ في النار قال: اللهم إنك واحد في السماء وأنا في الأرض واحد أعبدك**»[(٣)] هذا حديث حسن الإسناد. رواه جماعة عن إسحاق»[(٤)].

قال محمد تقي الدين: جميع الأنبياء والرسل يعتقدون أن الله في السماء كما رأينا في هذا الحديث، وكما حكى الله تعالى عن فرعون أنه قال لوزيره: ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] يفهم من هذا أن فرعون سأل موسى عن إلهه الذي يدعو إليه، فأخبره أنه في السماء، فظن بجهله أن وزيره وقومه يستطيعون أن يبنوا بناء يصل إلى السماء التي فيها الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١). (٢) انظر: «العلو» (١/ ٢٨٦).

(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٥)، وفي «النقض على بشر المريسي» (٩٥)، والبزار (٢٣٤٩ ـ كشف الأستار)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٩)، وابن قدامة في «إثبات العلو» (٥٦)، والخطيب (١٠/ ٣٤٦) جميعهم من طريق أبي هشام الرفاعي عن إسحاق بن سليمان الرازي ـ وهو المراد في صلب الكتاب ـ عن أبي جعفر الرازي عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة، ونقل المصنف قول الذهبي في «العلو» (١/ ٢٩٠): «هذا حديث حسن الإسناد»! وفيه أبو هشام محمد بن يزيد الرفاعي، ليس بالقوي، ولا ندري هل له متابع أم لا، ولا سيما أن ابن القيم عزاه في «تهذيب السنن» (٧/ ١١٣) إلى «مسند الحسن بن سفيان»، وعزاه في «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٨٤) لأبي يعلى، وهو في «الكبير» رواية ابن المقرئ، وليس في الرواية المطبوعة (رواية ابن حمدان). فالتحسين له وجه إن وقفنا على متابع لأبي هشام، وإلا فقد أصاب الذهبي كما قال نفسه في «الميزان» (٤/ ٦٨): «غريب جداً».

(٤) انظر: «العلو» (١/ ٢٩٠).

«**الحديث الحادي عشر**: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، أبشري بَروْح وريحان، وربٍّ غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك؛ حتى تخرج، ثمَّ يعرج بها إلى السماء، فستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة، فلا يزال يقال لها ذلك حتى يُنْتَهى بها إلى السماء التي فيها الله تعالى**»(1)، وذكر الحديث رواه «حم» في «مسنده» والحاكم في «مستدركه» وقال: هو على شرط (خ م)»(2).

قال محمد تقي الدين: لا جرم أن المعطل الذي لا يؤمن بهذا الحديث وما في معناه، لا تفتح له أبواب السماء لروحه ولا تصل إلى السماء السابعة، ولا يقول الله تعالى للملائكة: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، بل يكتب كتابها في سجين. اهـ.

«**الحديث الثاني عشر**: عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله** ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨]»(3) أخرجه (ج) في باب ما أنكرت الجهمية».

---

(1) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٤ و٦/ ١٤٠)، والنسائي في «الكبرى» كتاب التفسير (٤٦٢)، وابن ماجه (٤٢٦٢)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٤٤٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٦، ١٨)، وابن منده في «الإيمان» (١٠٦٨)، وفي «التوحيد» (٨٤٩)، والحاكم ـ كما في «إتحاف المهرة» (٩/ ٤٢٩) ـ وعنه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٤٤)، **وصححه** شيخنا الألباني وقال في «مختصر العلو» (ص٨٥) تعليقاً على كلام الحاكم: «وهو كما قال»، وأقره قبل الذهبي في «العلو» (١/ ٢٩٧)، و«الأربعين» رقم (٢٤)، وفي «التلخيص».

(2) انظر: «العلو» (١/ ٢٩٧).

(3) أخرجه ابن ماجه (١٨٤)، والدارقطني في «الرؤية» (٥١)، والبزار (٢٢٥٣ ـ زوائده)، وابن عدي (٦/ ٢٠٣٩)، والعقيلي (٢/ ٢٧٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٤٩٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٠٨)، واللالكائي في «السنة» (٨٣٦)، وقوام السنة في «الحجة» (٢١٦)، **وضعفه** البوصيري في «زوائد ابن ماجه» (٦٩)، وشيخنا الألباني في تخريجه لأحاديث «شرح الطحاوية» (ص١٨٢).

(**ملاحظات**) رمز (ج) هنا يراد به (ابن ماجه) لا (ابن جرير) على ما جرى عليه المصنف في سائر كتابه، وفي الأصل: «أنكره الجهمية» وصوابه المثبت، وتتمة كلام الذهبي مهم =

«**الحديث الثالث عشر**: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ـ ولا يصعد إلى الله إلا طيب ـ فإنه يتقبلها بيمينه، ويُربِّيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل**»[١] هذا حديث صحيح أخرجه (خ)»[٢].

قال محمد تقي الدين: وماذا يقول الجهمي في هذا الحديث الذي يدل على صعود الصدقة إلى الله تعالى، فيأخذها بيمينه، أيؤمن به أم يكفر به؟ فإن آمن به فقد فاز وربح، وإن كفر به فتعساً له.اهـ.

«**الحديث الرابع عشر**: عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عملُ الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، ولو كشفه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه كل شيء أدركه بصرهُ**»[٣]. أخرجه (م)»[٤].

قال محمد تقي الدين: إذا كان الله بزعمكم بذاته في كل مكان، أو: لا داخل العالم ولا خارجه، كما يقول بعضكم! فلماذا يرفع إليه العمل.اهـ.

«**الحديث الخامس عشر**: روى الذهبي عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: لأبي عمران بن حصين: «**كم تعبد اليوم إلهاً**»؟ فقال: ستة في الأرض، وواحد في السماء. قال: «**فأيهم تعدُّه لرغبتك ورهبتك؟**» قال: الذي في السماء، قال: «**يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين ينفعانك**» فلما أسلم قال: يا رسول الله علِّمني الكلمتين؟ قال: «**قل: اللهم ألهمني رُشدي، وأعذني من شر نفسي**»[٥]».

= ـ وحذفه المصنف ـ ونصه: «... **وإسناده ضعيف**».

قلت: نعم، إذ مدار الحديث على أبي عاصم العباداني (عبد الله بن عبيد الله) والفضل بن عيسى بن إبان الرقاشي، وهما ضعيفان.

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠، ٧٤٣٠)، ومسلم (٦٣، ٦٤).

(٢) انظر: «العلو» (١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣، ٢٩٤) ولم يخرجه البخاري. انظر: «تحفة الأشراف» (٦/ ٢٤٠).

(٤) انظر: «العلو» (١/ ٣٠٨).

(٥) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١)، والترمذي (٣٤٨٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٥٥)، والدارمي في «الرد على بشر المريسي» (ص٢٤)، والطبراني في «الكبير» (١٨/رقم ١٨٦، ٣٩٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٩٤) **وإسناده** =

قال محمد تقي الدين: عقيدة هذا الرجل في زمان كفره أن الله في السماء، أحسن من عقيدة كثير من الذين يدّعون الإسلام. على أنه أسلم بعد ذلك، وترك عبادة الآلهة التي في الأرض ووحّد الإله الذي في السماء.

«**الحديث السادس عشر**: روى الإمام أبو عبد الله الشافعي مرفوعاً فقال في «مسنده»: أخبرنا إبراهيم بن محمد حدثني موسى بن عُبيدة، حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك ﷺ يقول: أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«ما هذه؟»** فقال: هذه الجمعة فُضِّلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع، اليهود والنصارى، ولكم فيها خير ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى فيها بخير إلا استُجيب له، وهو عندنا يوم المزيد، قال ﷺ: **«يا جبريل وما يوم المزيد؟»** قال ﷺ: إن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الفردوس[1] وادياً أفيح، فيه كُثُب المِسك، فإذا كان يوم الجمعة[2] أنزل تعالى ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور، عليها مقاعد النبيين[3]، وحفت تلك المنابر من ذهب مكلّلة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب، فيقول الله ﷻ: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي، فسلوني أعطِكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك. فيقول: قد رضيت عنكم ولكن عليَّ ما تمنيتم، ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم تبارك وتعالى من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش، وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة»[4]. هكذا أورده الإمام الشافعي ﷺ في كتاب

= ضعيف، فيه شبيب بن شيبة التميمي، وبه ضعفه الذهبي في «العلو» رقم (٣٢).
وقال شيخنا الألباني في «مشكاة المصابيح» (٣/ ٢٥ ـ التحقيق الثاني): «والجملة الأخيرة لها طريق آخر عند ابن حبان (٢٤٣ ـ موارد)، وأحمد (٤/ ٤٤٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٩٣)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٦٧)، والحاكم (١/ ٢٥١٠) **بسند صحيح**» وصححه النووي في «مقدمة شرح مسلم» (١/ ٢٠٠)»، وصححه أيضاً ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٨٦).
انظر: «العلو» (١/ ٣١٥).

(١) في مطبوع «العلو»: «الجنة».
(٢) في مطبوع «العلو»: «يوم القيامة».
(٣) في مطبوع «العلو»: «عليها الشهداء والصدّيقون» دون ذكر النبيين.
(٤) أخرجه الشافعي في «الأم» كتاب الجمعة، باب ما جاء في فضل الجمعة (٢/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣)، =

الجمعة من «الأم» وله طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه».

قال محمد تقي الدين: وهذا الحديث واضح قراءته شرحه، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. اهـ.

«**الحديث السابع عشر:** عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال لسعد بن معاذ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات**»[1] هذا حديث صحيح أخرجه (**ن**)».

قال محمد تقي الدين: تقدم الكلام على مثله في حديث زينب.

«**الحديث الثامن عشر:** وفي الصحيح لـ (**خ**) من حديث قتادة عن أنس عن

= وفي «المسند» (١/ ١٤٨ - «بدائع المغني») ومن طريقه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو»، والذهبي في «الأربعين» (ص٣٤ - ٣٥)، و«العلو» رقم (٤٤).
قال الذهبي: «هذا حديث غريب رواه الشافعي في «مسنده» فيه ضعيفان: موسى، وإبراهيم بن أبي بن يحيى» وكذا قال في «العلو» وللحديث شواهد عديدة جداً، وقال الذهبي عنه في «العلو» (١/ ٣٤٧): «هذا حديث مشهور وافر الطرق» وسرد قسماً لا بأس به منها من رقم (٤٢ - ٥١) وقال (ص٣٦٥): «وهذه طرق **يعضد بعضها بعضاً**»، وصححه ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤١٢ - ٤١٣) وقال عنه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩١): «هذا حديث كبير، عظيم الشأن، رواه أئمة السنة، وتلقّوه بالقبول» وقال في «مختصر الصواعق» (٢/ ٣٩٠) عنه: «الحديث العظيم الشأن الذي هو قرة عيون أهل الإيمان، وشجى في حلوق أهل التعطيل والبهتان»، وانظر لزاماً: «العواصم» لابن الوزير (٥/ ١٥٨)، و«رؤية الله تبارك وتعالى» لابن النحاس رقم (٨) والتعليق عليه، وقد أفرده بعض أهل العلم بالتأليف، كابن أبي داود وعلي بن الحسن بن عساكر، وسمَّى جزءه فيه «القول في جملة الأسانيد في حديث يوم المزيد».

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٢٢٣)، وعبد بن حميد (١٤٩) - ومن طريقه الضياء (٩٨٢) -، والدورقي في «مسند سعد بن أبي وقاص» (٢٠)، وابن سعد (٣/ ٣٩١)، والبزار في «مسنده» (١/ ١٠٩)، والحاكم (٢/ ١٢٤) - ومن طريقه البيهقي (٩/ ٦٣)، وفي «الأسماء والصفات» (٨٨٥) - **وإسناده حسن**، وحسنه شيخنا الألباني، وقال في «مختصر العلو» (ص٨٧): «والحديث أصله في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري مختصراً».
قال أبو عبيدة: الحديث المحفوظ من (مسند أبي سعيد) وأخطأ فيه بعضهم فجعله عن سعد. انظر التفصيل في: «العلل» (١/ ٣٢٥ - ٣٢٦) لابن أبي حاتم، و«العلل» للدارقطني (٤/ ٢٩٠، ٣٢٢)، و«التاريخ الكبير» (٤/ ٢٩١) للبخاري، و«موافقة الخبر الخبر» (٢/ ٤٣٩)، و«فتح الباري» (٧/ ٤١٢).
وانظر: «العلو» (١/ ٣٧٧).

النبي ﷺ قال: «فأستأذن على ربي في داره؛ فيُؤذن لي عليه»[١]. وأخرجه أبو أحمد العسال[٢] في كتاب «المعرفة» بإسناد قوي عن ثابت عن أنس وفيه: «فآتي باب الجنة فيفتح لي، فآتي ربي تبارك وتعالى وهو على كرسيه أو سريره، فأخرُّ له ساجداً» وذكر الحديث»[٣].

قال محمد تقي الدين: وهذا الحديث أيضاً صريح في أن الله فوق عرشه، اللهم اشهد علينا بأننا آمنا به، فيا ويل من كذب به وأنكر معناه اهـ.

«**الحديث التاسع عشر**: روى (ق) بسندهما عن أنس [أن مالك][٤] بن صعصعة أن النبي ﷺ حدَّثه عن ليلة[٥] أسري به [قال]: «**بينما أنا في الحَطيم** - وربما قال: قال قتادة: في الحِجر - **مضطجع إذ أتاني آت...**» فذكر الحديث، وفيه قال: «**ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار، أبيض يقع خطوُه عند انقضاء**[٦] **طرفه، قال: فحملت عليه فانطلق بي جبرائيل حتى أتى بي السماء الدنيا، فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، فقيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء. قال: ففتح، فلما خلصت إذا فيها آدم، قال: هذا أبوك فسلِّم عليه، فسلَّمتُ عليه، فردَّ السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء، قال: ففتح، فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة؛ قال: هذا يحيى وعيسى فسلِّم عليهما، فسلَّمت فردَّا السلام، وقالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صُعِدَ بي السماء الثالثة فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به ولنعم المجيء**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٠).

(٢) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني في المعروف بالعسال صاحب التصانيف، ومنها «المعرفة» قال عنه الذهبي كَلَّلَهُ في «السير» (١٦/٧): «طالعت كتاب «المعرفة»، له في السُّنة يُنبئ عن حفظه وإمامته».

(٣) ما سبق من «العلو» (١/٣٨٤).

(٤) ما بين المعقوفتين من مطبوع «العلو»، وسقط من الأصل.

(٥) في الأصل: «حدثه أنه ليلة..» والمثبت من مطبوع «العلو».

(٦) في مطبوع «العلو»: «أقصى».

جاء، قال: ففتح فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلِّم عليه، فسلَّمتُ عليه، فردَّ السلام ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد[١] أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء، قال: ففتح فلما خلصت فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلِّم عليه، فسلَّمتُ عليه، فردَّ السلام، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، قال: ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم مرحباً به ولنعم المجيء جاء، قال: ففتح فلما خلصت فإذا هارون قال: هذا هارون فسلِّم عليه، قال: فسلَّمت عليه فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد؛ قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به ولنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا أنا بموسى، قال: هذا موسى فسلِّم عليه، فسلَّمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، قال: فلما تجاوزت بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: أبْكِي؛ لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به ولنعم المجيء جاء، قال: ففتح فلما خلصت، فإذا إبراهيم، قال: هذا إبراهيم فسلم عليه، فسلمت فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، قال: ثم رفعتُ إلى سدرة المنتهى. ثم رفع إلى البيت المعمور، قال: ثم فرضت عليَّ الصلاة خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بم أمرت؟ قلت: بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، قال: فرجعت فوضع عني عشراً. فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قال: بأربعين صلاة كل يوم؛ قال: إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد

(١) في مطبوع «العلو»: «أوقد».

المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشراً أخر، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: بثلاثين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك فعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشراً أخر؛ فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: بعشرين صلاة كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع عشرين صلاة كل يوم وإني قد خبرتُ الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، قال: فرجعت فأمرت بعشر صلوات في كل يوم فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت؟ قلت: بعشر صلوات كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع عشر صلوات كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، فقال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، قلت: قد سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلِّم، فلما نفذت نادى منادٍ: قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي»[1] متفق عليه»[2].

قال محمد تقي الدين: وحديث الإسراء من أعظم الأدلة التي لا يشك فيها من يؤمن بها؛ لأنه رواه جميع أهل الحديث، ودلَّ عليه القرآن، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: ١ ـ ١٨] فدل ذلك على أن الله تعالى فوق عرشه، وعلمه محيط بكل شيء. اهـ.

قال الحافظ المتقن المحدث المفسر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (٢٦٤)، والمذكور لفظ أحمد (٤/٢٠٨ ـ ٢٠٩).
(٢) انظر: «العلو» (١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٨).

بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي المتوفى سنة ٧٥١ في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية» ما نصه: «ومنها: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ [السجدة: ٤ ـ ٦] وتأمل ما في هذه الآيات من الرد على طوائف المعطلين والمشركين، فقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يتضمن إبطال قول الملاحدة القائلين بقدم العالم؛ وأنه لم يزل وأن الله سبحانه لم يخلقه بقدرته ومشيئته، ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازماً لذاته أزلاً وأبداً، غير مخلوق كما هو قول ابن سينا والنصير والطوسي وأتباعهما من الملاحدة الجاحدين، لما اتفق(١) عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، والكتب، وشهدت به العقول والفطر [السليمة](٢)، وقول تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ يتضمن إبطال قول المعطلة والجهمية الذين يقولون: ليس على العرش سوى العدم، وأن الله ليس مستوياً على عرشه، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا يصعد إليه الكَلِمُ الطيب، ولا رُفِع المسيح عليه الصلاة والسلام إليه، ولا عُرِجَ برسوله محمد ﷺ(٣)، ولا تعرج الملائكة والروح إليه، ولا ينزل من عنده جبرائيل عليه الصلاة والسلام ولا غيره، ولا ينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا، ولا يخافه عباده من الملائكة وغيرهم من فوقهم، ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة عياناً بأبصارهم من فوقهم، ولا تجوز(٤) الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق، كما أشار إليه النبي ﷺ في أعظم مجامعه في حجة الوداع، وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها(٥) إلى الناس، ويقول: «**اللهم اشهد**»(٦).

قال شيخ الإسلام(٧): وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «اتفقت».
(٢) غير موجود في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية».
(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «إليه».
(٤) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وفي الأصل: «يجوز»!
(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وينكبها».
(٦) أخرجه مسلم (١٢١٨) وغيره من حديث جابر بن عبد الله.
(٧) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٢ ـ ١٣).

وكلام الصحابة[(١)] والتابعين، وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله ﷻ فوق كل شيء وأنه فوق العرش فوق السموات مستوٍ على عرشه، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝﴾ [المعارج: ٣ ـ ٤]، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٥٤ ـ ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝﴾ [يونس: ٣] فذكر التوحيد[(٢)] في هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۝ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝﴾ [طه: ٤، ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ۝ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ٥٨ ـ ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾ [الحديد: ٤] فذكر عموم علمه، وعموم قدرته، وعموم إحاطته، وعموم رؤيته.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝﴾ [الملك: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝﴾ [الجاثية: ٢، الأحقاف: ٢]،

---

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وعامة كلام الصحابة».

(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «التوحيدين».

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧] قال: أبو الحسن الأشعري [وقد احتج بهذه الآية على الجهمية][١] «فكذَّب فرعونُ موسى عليه السلام في قوله: إن الله فوق السموات»[٢]. وسيأتي إن شاء الله تعالى حكاية كلامه بحروفه، وأما الأحاديث، فمنها: قصة المعراج وهي متواترة، وتجاوز النبي ﷺ السمٰوات سماء سماء حتى انتهى إلى ربه تعالى، فقربه وأدناه، وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة فلم يزل يتردد[٣] بين موسى عليه السلام وبين ربه تبارك وتعالى، ينزل من عند ربه تعالى إلى موسى، فيسأله: كم فرض عليك؟ فيخبره، فيقول: ارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف، فيصعد إلى ربه فيسأله التخفيف[٤].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله الخلق، كتب في كتاب ـ فهو عنده فوق العرش ـ: إن رحمتي تغلب غضبي»** وفي لفظ آخر: **«كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده أن رحمتي تغلب غضبي»** وفي لفظ **«وهو[٥] عنده على العرش»** وفي لفظ: **«وهو مكتوب عنده فوق العرش»**[٦]، وهذه الألفاظ كلها في «صحيح مسلم». وفي «صحيح البخاري» عن أبي موسى الأشعري قال: قام رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: **«إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»**[٧].

وذكر ـ البخاري ـ في (كتاب التوحيد) في «صحيحه» حديث أنس (حديث الإسراء) وقال فيه: **«ثم علا به ـ يعني: جبرائيل ـ فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاوز[٨] سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى، فكان قاب قوسين أو**

---

(١) ليس من كلام أبي الحسن الأشعري. (٢) انظر: «الإبانة» (ص١١٩).

(٣) من مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وسقط من الأصل.

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٨٧) من حديث مالك بن صعصعة، وأخرجه مسلم (١٦٢) من حديث أنس، وسبق قريباً بطوله.

(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وضع».

(٦) أخرجه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٧) سبق تخريجه.

(٨) كذا في الأصل، وعند البخاري: «جاء».

أدنى، فأوحى إلى عبده فيما أوحى إليه خمسين صلاة، ثم هبط حتى بلغ موسى، فاحتبسه فقال: يا محمد! ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، قال: إنَّ أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ إلى جبرائيل، كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبرائيل أن نعم، إن شئت، فعلا إلى الجبار تبارك وتعالى، فقال: وهو مكانه يا رب خفف عنا»[(١)]، وذكر الحديث.

وفي «الصحيحين» عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربُّهم ـ وهو أعلم ـ كيف: تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلّون، وأتيناهم وهم يصلّون»[(٢)].

ولما حكم سعد بن معاذ في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذريتهم، وتغنم أموالهم، قال له النبي ﷺ: «لقد حكمتَ فيهم بحكم المَلِك من فوق سبعة أرقعة»[(٣)] وفي لفظ: «من فوق سبع سموات»[(٤)] وأصل القصة في «الصحيحين» وهذا السياق لمحمد بن إسحاق في «المغازي»[(٥)]. وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد قال: بعث علي بن أبي طالب إلى النبي ﷺ بذهيبة في أديم مقروض لم

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٧)، واللفظ المذكور لشريك، وقد انتقدت عليه ألفاظ كثيرة في حديث الإسراء، مما جعل مسلماً يورد في «صحيحه» إسناده دون لفظه، وأحسن في ذلك، وانظر استشكالات الألفاظ في هذه القطعة، مع الأجوبة عليها عند ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٥٩٩ ـ ٦٠١، ط. السلام).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٧٨ ـ ٧٩)، وفي «تاريخه» (٢/ ٥٨٨)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص٦٩) **وإسناده مرسل**، ورجاله ثقات، قاله ابن حجر في «موافقة الخبر الخبر» (٢/ ٤٣٨). قلت: لأن معبد بن كعب بن مالك لم يسمع ـ بل لم يدرك ـ سعد بن معاذ، وذكره الجويني في «رسالة إثبات الاستواء والفوقية» (ص٥٢ ـ ٥٣)، والذهبي في «العلو» (١/ ٣٧٦) وقال شيخنا الألباني في «الإرواء» (٥/ ٣٧٦): «وهو مع إرساله فيه عنعنة ابن إسحاق، ولكنه **لا بأس به في الشواهد**، فترقى به هذه الزيادة إلى درجة **الحسن**».

(٤) سبق تخريجه.

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (٣/ ٢٥٩، ط. محيي الدين)، وأورد ابن حجر «موافقة الخبر الخبر» (٢/ ٤٣٨) إسناد ابن إسحاق.

تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة؛ بين عيينة بن بدر والأقرع بن حابس وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، فبلغ النبي ﷺ فقال: **«ألا تأمنوني، وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء مساء وصباحاً»**(١).

وفي «صحيح مسلم» عن معاوية بن الحكم السلمي قال: لطمت جارية لي فأخبرتْ رسول الله ﷺ، فشقَّ ذلك علي، فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: **«بلى، ائتني بها»** قال: فجئت بها رسول الله ﷺ، فقال لها: **«أين الله»**؟ قالت: في السماء، قال: **«فمن أنا»** قالت: أنت رسول الله، قال: **«اعتقها إنها مؤمنة»**(٢). وفي «صحيح البخاري» عن أنس بن مالك قال: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ، وتقول: «زوجكنّ أهاليكنّ، وزوَّجني الله من فوق سبع سموات»(٣).

وفي «سنن أبي داود» من حديث جبير بن مطعم قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله نُهِكَت(٤) الأنفس وجاعت(٥) العيال، وهلكت(٦) الأموال، استسقِ ربَّك، فإنا نستشفع بالله عليه وبك على الله، فقال النبي ﷺ(٧): **«سبحان الله، سبحان الله»**(٨) فما زال(٩) يسبِّح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، فقال: **«أتدري ما الله إن شأنه أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه، إنه لفوق سمائه على عرشه، وإنه عليه لهكذا، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب»**(١٠).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه مطولاً.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في مطبوع «سنن أبي داود»: «جَهِدت».

(٥) في مطبوع «سنن أبي داود»: «وضاعت».

(٦) في مطبوع «سنن أبي داود»: «ونُهِكت».

(٧) بعدها في مطبوع «سنن أبي داود»: «(ويحك أتدري ما تقول)».

(٨) غير موجود في مطبوع «سنن أبي داود».

(٩) كذا في مطبوع «سنن أبي داود»، وفي الأصل : «زاد»!

(١٠) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٢٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» رقم (١٤٧)، وأبو عوانة (٣/ ٣٠)، والدارقطني في «الصفات» رقم (٣٨، ٣٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (رقم ٢٢٤ ـ سورة البقرة)، وابن منده في «التوحيد» رقم (٦١٤٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٥، ٥٧٦)، وعثمان بن أبي شيبة في =

وفي «سنن أبي داود» أيضاً و«مسند الإمام أحمد» من حديث العباس بن عبد المطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة، وفيهم رسول الله ﷺ، فمرت سحابة فنظر إليها، وقال: **«ما تسمّون هذه؟»** قالوا: السحاب، قال: **«والمزن»** قالوا: والمزن، قال: **«والعنان»** قال: والعنان، قال: **«هل تدرون ما بُعدُ ما بين السماء والأرض؟»** قالوا: لا ندري، قال: **«إنَّ بُعدَ ما بينهما إما واحدة أو اثنتان وثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك»** حتى عدَّ سبع سموات **«ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، وفوق ظهورهم العرش، أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله ﷻ فوق ذلك»** زاد أحمد: **«وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم»**[1].

= «العرش» (٥٧٥)، والطبراني في «الكبير» (١٥٤٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٥٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٤١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٨٣)، والبغوي (١/ ١٧٥)، واللالكائي في «السنة» رقم (٦٥٦) **وإسناده لين.**

ويعجبني قول الذهبي في «العلو» (١/ ٤١٣) ـ عقب إسناده له بالأرقام (٦٤ ـ ٦٦) والكلام على طرقه ـ:

«هذا حديث غريب جداً فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم أقال النبي ﷺ هذا أم لا؟ والله فليس كمثله شيء، وللحافظ ابن عساكر جزء مفرد فيه بعنوان «رفع التخليط عن حديث الأطيط» لم أظفر له بأثر».

وأعله المنذري في «مختصر سنن أبي داود» (٧/ ٩٩ ـ ١٠١) بتدليس ابن إسحاق، وقال البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣١٩): «وهذا حديث ينفرد به محمد بن إسحاق بن يسار» واستغربه ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣١٠)، وضعّفه شيخنا الألباني في «الضعيفة» (٢٦٣٩).

ومع هذا فلم يلتفت بعض أهل العلم المحققين إلى اضطرابه وتخليط رواته، فحسّنوا إسناده بناءً على تحسين ما انفرد به ابن إسحاق، فقال ابن نصر السجزي في «الرد على من أنكر الحرف والصوت» (ص١٤٥): «والطرق مقبولة محفوظة» ودافع عنه ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٤٣٥)، و«نقض تأسيس الجهمية» (١/ ٥٦٩)، وحسنه ابن القيم في «تهذيب السنن» (٧/ ٩٤)، و«مختصر الصواعق» (٢/ ٤٠٩).

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، وأبو داود (٣٨٩٢)، وابن ماجه (١٩٣)، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٢)، وإبراهيم بن طهمان في «مشيخته» رقم (١٨)، وعثمان بن أبي شيبة في «العرش» (٩، ١٠)، وأبو يعلى (٦٧١٣)، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» رقم (٢٨٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٤، ١٤٥)، والبزار (١٣٠٩، ١٣١٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٢٠٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» =

وفي «سنن أبي داود» أيضاً عن فَضَالة بن عُبيد عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله يقول: **«من اشتكى منكم ـ أو: اشتكى أخ له ـ فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدَّس اسمُك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتُك في السماء اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ»**[(١)].

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية فقال: يا رسول الله، إنَّ عليَّ رقبة مؤمنة، فقال لها رسول الله ﷺ: **«أين الله؟»** فأشارت بأصبعها السبابة إلى السماء، فقال لها: **«من أنا؟»** فأشارت بأصبعها إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء؛ أي أنت رسول. فقال: **«اعتقها فإنها مؤمنة»**[(٢)].

وفي «جامع الترمذي» عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: **«الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»**[(٣)] قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وفي «جامع الترمذي» أيضاً عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً»** قال أبي: سبعة؛ ستة في الأرض، وواحد في السماء قال: **«فأيهم تعدّ لرغبتك ورهبتك»** قال:

= (٥٧٧)، والدارقطني في «المؤتلف» (٤/١٥٩٧)، وابن منده في «التوحيد» (٢١، ٤٦)، والحاكم (٢/٣٧٨، ٤١٢، ٥٠١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/٣٨٨)، والضياء في «المختارة» (٤٦٢ ـ ٤٦٤)، والخطابي في «غريب الحديث» (١/٥٤١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/١٤٠)، واللالكائي في «السنة» (٦٥٠، ٦٥١)، والهمداني في «فتيا في ذكر الاعتقاد» رقم (١٩) عن العباس، **وله طرق كثيرة واهية لا تسلم من مجهول أو متروك، ولا يتقوى الحديث بها.**

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (٦/٢٥٧) ـ وهو في «عمل اليوم والليلة» (١٠٣٧، ١٠٣٨) ـ، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٠)، والحاكم (١/٣٤٤)، ـ وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٩٢) ـ، وابن عدي (٣/١٠٥٤)، وقوام السنة الأصبهاني في «السنة» (٥٩، ٦٥)، واللالكائي في «السنة» (٦٤٨) **وإسناده ضعيف**، مداره على زيادة بن محمد الأنصاري قال البخاري والنسائي: «منكر الحديث» والأئمة مجمعون على تضعيفه. ولذا تعقب الذهبي الحاكم لما صحح هذا الحديث. فقال: «قلت: قال البخاري وغيره (عن زيادة): منكر الحديث» وانظر: «الميزان» (٢/٩٨)، و«العلو» (١/٣٣٩)، وضعفه شيخنا الألباني.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

الذي في السماء. قال: «**يا حصين أما إنك لو أسلمت لعلّمتك كلمتين ينفعانك**» قال: فلما أسلم حصين، قال: يا رسول الله علِّمني الكلمتين اللتين وعدتني، قال: «**قل: اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي**»[١].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها**»[٢]. وروى الشافعي في «مسنده» من حديث أنس بن مالك قال: «أتى جبرائيل بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**ما هذه يا جبرائيل؟**» قال: هذه الجمعة فُضِّلتَ بها أنت وأمتك، فالناس لكم تبع اليهود والنصارى، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا أُستجيب له، وهو عندنا يوم المزيد. فقال النبي ﷺ «**يا جبرائيل! وما يوم المزيد؟**» فقال: إن ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح، فيه كثب من مسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحفَّ تلك المنابر بمنابر من ذهب مكلَّلة بالياقوت والزبرجد، عليها الشهداء والصديقون، ثم جاء أهل الجنة، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب، فيقول الله ﷻ: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي؛ فاسألوني أعطكم. فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم، ولكم ما تمنَّيتم، ولديَّ مزيد. فهم يحبون يوم الجمعة مما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربك ﷻ على العرش، وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة»[٣] ولهذا الحديث عدة طرق جمعها أبو بكر بن أبي داود في جزء.

وفي «سنن ابن ماجه» من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. قال: وذلك قوله تعالى**: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨] قال: **فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم**»[٤] وفي «الصحيحين» من حديث أبي صالح عن

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.

أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فَلوَّهُ حتى تكون مثل الجبل**»(١). وفي «صحيح ابن حبان» عن أبي عثمان النَّهدي عن سلمان الفارسي عن النبي ﷺ قال: «**إن ربكم حيي كريم، يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفْراً**»(٢).

وروى ابن وهب قال: أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن زُهرة بن معبد عن ابن عمر أخبره أنه سمع عقبة بن عامر يقول: قال رسول الله ﷺ: «**من توضأ فأحسن وضوءه، ثم رفع نظره إلى السماء، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتحت له ثمانية أبواب الجنة**(٣) **يدخل من أيها شاء**»(٤). وفي حديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**فأدخل على ربي تبارك وتعالى وهو على عرشه**»(٥). وذكر الحديث وفي بعض ألفاظ البخاري في «صحيحه»: «**فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه**»(٦). قال عبد الحق في «الجمع بين الصحيحين»: «هكذا قال: «**في داره**» في المواضع الثلاث، يريد: مواضع الشفاعات(٧) التي يسجد فيها ثم رفع رأسه». وروي عن ابن عمير الكندي(٨) عن علي أن رسول الله ﷺ حدَّث عن ربه ﷻ قال: «**وعزتي وجلالي، وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا بيت ولا رجل**

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

(٢) أخرجه ابن حبان (٢/ ٢٣٩ ـ التعليقات الحسان)، وأبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٤٠)، وأحمد (٥/ ٤٣٨)، والطبراني (٦١٣٠، ٦١٤٨)، وفي «الدعاء» (٢٠٩٣)، والحاكم (١/ ٤٩٧، ٥٣٥)، والقضاعي (١١١٠، ١١١١)، والبيهقي (٢/ ٢١١)، وفي «الأسماء والصفات» رقم (١٥٥)، و«الدعوات الكبير» رقم (١٨٠، ١٨١)، **وجوّد** ابن حجر إسناده في «الفتح» (١١/ ١٤٣)، وصححه شيخنا الألباني.

(٣) في مطبوع «صحيح مسلم»: «أبواب الجنة الثمانية».

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٤).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.

(٧) بعدها في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «الثلاث».

(٨) كذا في الأصل، وفي «العلو» للذهبي: «عمير بن عبد الملك»، وفي «العرش» لعثمان ابن أبي شيبة: «عمير بن عبد الله»، وفي اجتماع الجيوش الإسلامية «عدي بن عميرة الكندي».

بادية كانوا على ما كرهت من معصيتي، فتحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي، إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي»[(١)] رواه ابن أبي شيبة في «كتاب العرش» وأبو أحمد العسال في كتاب «المعرفة» وصح عنه عن أبي هريرة بإسناد مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله ملائكة سيارة يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلس ذكر جلسوا معهم، فإذا تفرقوا صعدوا إلى ربهم»**. وأصل الحديث في صحيح مسلم ولفظه: **«فإذا تفرقوا صعدوا إلى السماء، فيسألهم الله ﷻ ـ وهو أعلم بهم ـ: من أين جئتم؟...»**[(٢)] الحديث.

وذكر الدارقطني في كتاب: «نزول الرب ﷻ كل ليلة إلى سماء الدنيا» من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ يقول: **«ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: ألا عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له، ألا ظالم لنفسه يدعوني فأفكّه؛ فيكون كذلك إلى مطلع الصبح، ويعلو على كرسيه»**[(٣)]. وعن جابر بن سليم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردين، فتبختر فنظر الله إليه من فوق عرشه؛ فمقته، فأمر الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها»**[(٤)] رواه الدارمي عن سهل بن بكار

---

(١) أخرجه عثمان بن أبي شيبة في «العرش» (ص٦١)، وزاد السيوطي نسبته في «الدر المنثور» (٨/ ٣٩١) لأبي الشيخ وابن مردويه.
وذكره الذهبي في «العلو» (١/ ٥٢٩) وقال: **«وإسناده ضعيف»**.
وقال ابن كثير في «التفسير» (٨/ ١١٩): **«وهذا غريب، وفي إسناده من لا أعرفه»**.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ١٥٩)، وأبو يعلى الفراء في «إبطال التأويلات» رقم (٢٥٤)، وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة أصحاب الحديث» (ص٢١٣)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ١١٤٣ ـ ١١٤٤)، وذكره الذهبي في «العلو» (١/ ٥٣٢) **وضعّفه بقوله**: «إسحاق ضعيف، لم يدرك جد أبيه»، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٥٤). وقال: «ويحيى بن إسحاق لم يسمع من عبادة ولم يرو عنه غير موسى بن عقبة». **قلت**: انقلب اسمه على الهيثمي، وهو إسحاق بن يحيى بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٣٣): عن أحاديثه: «عامتها غير محفوظة». ولم أجد الحديث في مطبوع «كتاب النزول» للدارقطني!

(٤) أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «نقض الدارمي» (١/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) وقوام السنة في «الحجة» (٢/ ١٢٣)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» رقم (٣٦). وقال الذهبي في «العلو» (ص٣٦): **«إسناده لين»**، وانظر الهامش الآتي.

أحد شيوخ البخاري وله شاهد في «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة[(١)].
وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: **«اقبلوا البشرى يا بني تميم»** قالوا: بشرتنا فأعطنا. قال: **«اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم»** قالوا: قد بشرتنا فاْقض لنا على هذا الأمر، كيف كان الله ﷻ على العرش، وكان قبل كل شيء، وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء يكون»، حديث صحيح أصله في البخاري[(٢)].

وروى الخلال في «كتاب السنة» بإسناد صحيح على شرط البخاري عن قتادة بن النعمان قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **«لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه»**[(٣)]. وفي قصة وفاة النبي ﷺ من حديث جابر أن النبي ﷺ قال لعلي: **«إذا أنا مت فاغسلني أنت، وابن عباس يصب الماء، وجبرائيل ثالثكما، وكفّني في ثلاثة أثواب بيض جدد، وضعوني في المسجد؛ فإن أول من يصلي عليّ الرب ﷻ من فوق عرشه»**[(٤)]، وقد روى في حديث خطبة علي لفاطمة أن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).
وانظر كتابي: «من قصص الماضيين» (٢٦٩ ـ ٢٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩١) بلفظ مغاير، واللفظ المذكور عند أحمد (٤/ ٤٣١ ـ ٤٣٢)، وأبي الشيخ في «العظمة» (٢/رقم ٢٠٧) **وإسناده صحيح**.

(٣) عزاه للخلال في كتاب «السنة»: أبو يعلى الفراء في «إبطال التأويلات» (١/ ١٨٧)، والذهبي في «العلو» (١/ ٥٢٤) قال: «رواته ثقات»! مع أنه عده في «الميزان» (٣/ ٣٦٥) من منكرات فليح بن سليمان، والحديث أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٦٨)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٩/رقم ١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧٦١)، وصححه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٠٧ ـ ١٠٨)! والتحقيق أنه **ضعيف**؛ إذ مداره على فليح بن سليمان عن أبيه عن سعيد بن الحارث عن عبيد بن حنين عن قتادة به.
قال البيهقي: «فهذا حديث منكر» وذكر تضعيف العلماء لفليح، وقال: «وفيه علة أخرى، وهي أن قتادة بن النعمان مات في خلافة عمر وصلى عليه عمر، وعبيد بن حنين مات سنة خمس ومئة، وله خمس وسبعون سنة في قول الواقدي وابن بكير، فتكون رواية قتادة منقطعة»، وذكر أبو موسى المديني اضطراب محمد بن فليح وأبيه، وانظر ـ لزاماً ـ: «السلسلة الضعيفة» (٢/ ١٧٧ ـ ١٧٨).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٦٣)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٧٤ ـ ٧٩) ومن طريقه ابن قدامة في «إثبات العلو» رقم (٣٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٦ ـ ٣١) وقال: «رواه الطبراني وفيه =

النبي ﷺ لما استأذنها قالت: يا أبت كأنك إنما ادخرتني لفقير قريش، فقال: **«والذي بعثني بالحق نبياً ما تكلمت بهذا حتى أذن الله فيه من السماء»** فقالت: رضيت بالله وبما رضي الله لي[١]. وفي «مسند الإمام أحمد» من حديث ابن عباس قصة الشفاعة الحديث بطوله مرفوعاً، وفيه: **«فآتي الرب ﷻ فأجده على كرسيه، أو سريره جالساً»**[٢].

وعن أنس بن مالك قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: **«يأتوني فأمشي بين أيديهم حتى آتي باب الجنة، وللباب[٣] مصراعان من ذهب، مسيرة ما بينهما خمسمائة عام»** قال معبد: فكأني أنظر إلى أصابع أنس حين فتحها، يقول: مسيرة ما بينهما خمسمائة عام: **«فأستفتح فيؤذن لي، فأدخل على ربي فأجده قاعداً على كرسي العز، فأخرّ له ساجداً»** رواه خُشَيش بن أصرم النسائي[٤] (كذا) في «كتاب السنة له». وذكر عبد الرزاق عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«إن الله ﷻ ينزل إلى سماء الدنيا، وله في كل سماء كرسي، فإذا نزل إلى سماء الدنيا، جلس على كرسيه، ثم يقول: من ذا الذي يقرض غير عديم ولا ظلوم؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ من ذا الذي يتوب فأتوب عليه؟ فإذا كان**

= عبد المنعم بن إدريس وهو **كذاب وضاع**»، وانظر: «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٢٧٧ ـ ٢٨٢).

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، وابن شاهين في «فضائل فاطمة» (ص٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ١٢٥)، وذكره الذهبي في «العلو» (١/ ٣٤٣) وقال: «هذا حديث **منكر**، لعل محمد بن كثير افتراه فإنه متهم، فإن الأوزاعي ما نطق به قط، ولم أرو هذا ونحوه إلّا **للتزييف والكشف**»، وانظر: «الواهيات» (١/ ٢٢٢) لابن الجوزي.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وللجنة».

(٤) خُشَيش هذا هو ابن الأسود أبو عاصم النسائي، قال عنه المزي في «تهذيب الكمال» (٨/ ٢٥١): «خُشَيْش بن أصرم بن الأسود أبو عاصم النسائي الحافظ صاحب كتاب «الاستقامة في السنة والرد على أهل البدع والأهواء»»، وقال الذهبي في «السير» (١٢/ ٢٥١): «وكان صاحب سنة واتّباع» وقال في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٥٥١): «الحافظ الحجة أبو عاصم النسائي مصنف «كتاب الاستقامة» يرد فيه على أهل البدع» وقال الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٣/ ١٢٣): «وله كتاب «الاستقامة في الرد على أهل الأهواء»».



عند الصبح، ارتفع فجلس على كرسيه»[١] رواه أبو عبد الله في «مسنده»، وروي عن سعيد مرسلاً وموصلاً، قال الشافعي رحمه الله تعالى: «مرسل سعيد عندنا حسن»[٢].

---

(١) أخرجه ابن منده في «الرد على الجهمية» (ص٨٠).

(٢) انظر: «مختصر المزني» (ص٧٨).

ومعنى قول الإمام الشافعي هذا هو أن مراسيل كبار التابعين ـ كسعيد بن المسيب ـ لها نظرة خاصة، وذلك لما لهم من منزلة في الدين ومكانة بين العلماء، حتى ظنّ البعض ـ وهو واهم بذلك ـ أن الإمام الشافعي يقبل مراسيل سعيد بن المسيب دون قيد أو شرط، والأمر ليس كذلك ومذهبه في هذا كمذهب غيره.

قال الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٥٤٦):

«ذكر بعض الفقهاء أن الشافعي جعل مرسل ابن المسيب حجة؛ لأن مراسيله كلها اعتبرت فوُجِدت متصلات من غير حديثه، وهذا القول ليس بشيء لأن في مراسيل سعيد ما لم يوجد متصلاً من وجه البتّة، والذي يقتضي مذهب الشافعي أنه جعل لسعيد مزيّة في الترجيح بمراسيله خاصة؛ لأن أكثرها وجد متصلاً من غير حديثه لا أنه جعلها أصلاً يحتج به، والله أعلم».

قلت: وقد جلّى هذه المسألة أعرف الناس بالشافعي ومذهبه وهو الإمام البيهقي، فقال كلاماً مختصراً فيه تحقيق بليغ. وهذا نص كلامه في «مناقب الشافعي» (٢/ ٣٢):

«فالشافعي رحمه الله، يقبل مراسيل كبار التابعين إذا انضم إليها ما يؤكدها، وقد ذكرنا في «كتاب المدخل» من أمثلتها بعضها، وإذا لم ينضم إليها ما يؤكدها لم يقبله سواء، كان مرسل ابن المسيَّب أو غيره».

قلت: وقد ذكر ذلك البيهقي أيضاً في «رسالته إلى الشيخ أبي محمد الجويني» فقرر أن الشافعي لم يخص مرسل ابن المسيب بالقبول، بل يقبل مرسله ومرسل غيره من كبار التابعين كالحسن وابن سيرين وعطاء إذا اقترن بها ما يؤكدها.

قال (ق٧/ أ): «وإنما ترك الشافعي مراسيل من بعد كبار التابعين، كالزهري ومكحول والنخعي ومن في طبقتهم، ورجح به قول بعض أصحاب النبي ﷺ إذا اختلفوا، وترك مراسيل كبار التابعين، ما لم يقترن به ما يشده من الأسباب التي ذكرها في «الرسالة»، أو وجد من الحجج ما هو أقوى منها».

وقال (ق٧/ ب): «وعلى هذا فتخصيص مرسل ابن المسيب بالقبول دون من كان في مثل حاله من كبار التابعين على أصل الشافعي لا معنى له، والله أعلم».

الخلاصة: إن مرسل سعيد ما لم يوجد مسنداً بحال من وجه يصح، فإنه لا فرق بين مرسل سعيد وغيره من كبار التابعين عند الشافعي، وإنما رجح الشافعي وغيره بمرسل سعيد، وهو ليس بانفراده حجة عنده.

وانظر تفصيل هذه المسألة تعليقي على: «تعظيم الفتيا» لابن الجوزي (ص٦١ ـ ٦٧).

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جمع الله الخلائق حاسبهم، فيميز بين أهل الجنة وأهل النار، وهو في جنته على عرشه**»(١). قال محمد بن عثمان الحافظ: هذا حديث صحيح، وعن جابر بن سليم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردين، فنظر الله إليه من فوق عرشه، فمقته فأمر الأرض فأخذته**»(٢) حديث صحيح. وروى عبد الله بن بكر السهمي وذكر سنده إلى عبد الله بن عمر ﷺ قال: كنا جلوساً ذات يوم بفناء رسول الله ﷺ، إذ مرت بنا امرأة من بنات رسول الله ﷺ، فقال رجل من القوم: هذه ابنة رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان: ما مثل محمد في بني هاشم إلا كمثل ريحانة في وسط الزبل، فسمعته تلك المرأة، فأبلغته رسول الله ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ - أحسبه قال: مغضباً - فصعد على منبره، وقال: «**ما بال أقوال تبلغني عن أقوام، إن الله خلق سبع سموات، فاختار العليا، فسكنها، وأسكن سماواته من شاء من خلقه، وخلق أرضين سبعاً، فاختار العليا، فأسكن فيها من خلقه، واختار خلقه فاختار بني آدم، فاختار العرب، فاختار مضر، فاختار قريشاً، فاختار بني هاشم، فاختارني، فلم أزل من خيار في خيار، ألا من أحب قريشاً(٣) فبحبي أحبهم، ومن أبغض قريشاً(١) فببغضي أبغضهم**»(٤).

وروى الإمام أحمد من حديث ابن أبي ذئب بسنده إلى أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله تعالى، وإذا كان الرجل السيء؛ قالوا: اخرجي أيتها النفس**

---

(١) ذكره الذهبي في «العرش» (٢/ ٩٨) وفيه يزيد الرَّقاشي وهو ضعيف.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صوابه: «العرب» كذا في الأصول.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٥٥)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٥٠١، ط. الصميعي)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٩٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ١٣٩، ٢٢٩).

وقال عنه شيخنا الألباني في «الضعيفة» (٣٣٨): «منكر».

ثم قال: «ومما ينبغي أن يُعلم أن القطعة الأخيرة من الحديث المتضمنة فضل العرب وفضل الرسول ﷺ ثابتة في أحاديث صحيحة».

الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنه لا يفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر»(١).

وروى الإمام أحمد في «مسنده» من حديث البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، وانتهينا إلى القبر ولم يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به الأرض، فرفع رأسه، فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» مرتين أو ثلاثاً ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا، حتى ينتهوا إلى سماء الدنيا، فيستفتحون له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة، فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى**».

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥ و٦/ ١٣٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٤٢)، وابن ماجه (٤٢٦٢، ٤٢٦٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» رقم (١٨)، وابن جرير (٨/ ١٧٧)، وابن منده في «الإيمان» (١٠٦٨)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢٦١)، والحاكم (١/ ٣٧ ـ ٤٠)، والآجرّي في «الشريعة» رقم (٢٩٢٣)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص٣٥)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» رقم (٤٢)، **وإسناده صحيح**.

قال أبو نعيم ـ فيما نقله شيخ الإسلام في «شرح حديث النزول» (ص٨٧) ـ: «هذا حديث متفق على عدالة ناقليه»، وقال ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٣٦): «صحيح، صححه جماعة من الحفاظ»، وانظر: «مصباح الزجاجة» للبوصيري (٤/ ٢٥٠).

قال: «فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان؛ فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت. فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر، قال: ويأتيه رجل من أحسن الناس وجهاً، حسن الثياب، طيب الرائحة، فيقول: أبشر بالذي يسرك، فهذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت؟ فوجهك وجه الذي يأتي بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي»[1]. وذكر الحديث وهو صحيح صححه جماعة من الحفاظ.

---

(١) أخرجه ابن منده في «الإيمان» (٢/ ٩٦٣) وكتاب «الروح والنفس» ـ كما في «الروح» (ص٦٥) ـ وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٧ و٢٨٨ و٢٩٥ ـ ٢٩٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٨٠)، وأبو داود في «السنن» كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (٤/ ٢٣٨) رقم (٤٧٥٣) و(٤٧٥٤)، والطيالسي في «المسند» (١/ ١٥٤ ـ مع «منحة المعبود»)، وهناد في «الزهد» (١/ ٢٠٥) رقم (٣٣٩)، والنسائي في «المجتبى» (٤/ ٧٨ ـ مختصراً)، و«السنن الكبرى» كتاب الجنائز ـ كما في «تحفة الأشراف» (٢/ ٤٦٧) ـ والآجري في «الشريعة» (ص٣٦٧ و٣٧٠)، وابن المبارك في «الزهد» رقم (١٢١٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٥٦)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (١٣٦٥ و١٣٦٦ و١٣٦٧ و١٣٦٨ و١٣٦٩)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٥٨٠)، والطبري في «جامع البيان» (٨/ ١٧٦ ـ ١٧٧ ـ مختصراً) و(١٣/ ٢١٤ ـ ٢١٥ و٢١٧ و٢١٨)، و«تهذيب الآثار» (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٩) رقم (٢٤٨٠ ـ ٢٤٨٥)، والمروزي في «زوائد الزهد» (٤٣٠ ـ ٤٣١)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» رقم (٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٢ و٣٣ و٣٤ و٣٥ و٥٥)، و«المدخل إلى السنن الكبرى» رقم (٦٥٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧ و٣٩ و٤٠)، وابن ماجه «السنن» (١/ ٤٩٤ ـ مختصراً) رقم (١٥٤٨)، والرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (١/ ٦٢ ـ ٦٤) و(٣/ ٣٠٥ و٩ و١٤٠)، وابن أبي حاتم وعبد بن حميد ـ كما في «الدر المنثور» (٤/ ٨٣)، و«شرح الصدور» (٢٣) ـ، وأبو عوانة في «صحيحه» ـ كما في «الروح» (ص٦٠) ـ، وعلي بن معبد في «الطاعة والمعصية» ـ كما قال القرطبي في «التذكرة» (ص١٤٩ ـ ١٥٠) ـ.
وقال أيضاً:
«هو حديث صحيح، له طرق كثيرة، تهمم بتخريج طرقه علي بن معبد».
وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة في «الفتاوى» (٤/ ٢٩٠): «وهو حديث حسن ثابت».
وقال البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص٣٩): «هذا حديث كبير، صحيح الإسناد». =

وقال عثمان بن سعيد الدارمي الإمام الحافظ أحد أئمة الإسلام بسنده إلى ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «**لما أسري بي مررت برائحة طيبة، فقلت: يا جبرائيل ما هذه الرائحة الطيبة؟ قال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، كانت تمشطها فوقع المشط من يدها، فقالت: بسم الله تعالى، فقالت ابنته: أبي! قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله، فقالت: أُخبر بذلك أبي. قالت: نعم، فأخبرته فدعا بها، فقال: من ربك هل لك رب غيري؟ قالت: ربي وربك الله الذي في السماء. فأمر بنقرة من نحاس فأحميت، ثم دعا بها وبولدها فألقاهما فيها**»[(١)]، وساق الحديث بطوله. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كان ملك الموت يأتي الناس عياناً؛ فأتى موسى فلطمه، فذهب بعينه، فعرج إلى ربه، فقال: بعثتني إلى موسى فلطمني، فذهب بعيني، ولولا كرامته عليك لشققت عليه، فقال: ارجع إلى عبدي فقل له: فليضع يده على ثور فله بكل شعرة توارت بيده سنة يعيشها، فأتى فبلغه ما أمره به، فقال: ما بعد ذلك، قال: الموت، قال: الآن، فشمَّه شمة قبض روحه فيها، ورد الله على ملك الموت بصره**»[(٢)] هذا حديث صحيح وشاهده في «الصحيحين»[(٣)].

= وقال ابن منده: «هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء وكذلك رواه عدة عن الأعمش».
وقال ابن القيّم في «الروح» (ص٦٥): «الحديث صحيح، لا شك فيه، رواه عن البراء جماعة».
وقال الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٩): «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» وقال أيضا: «وفي هذا الحديث فوائدُ كثيرةً لأهل السُّنَّة، وقمع للمبتدعة، ولم يخرجاه بطوله». ووافقه الذهبي في «التلخيص».
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٩): «رجاله رجال الصحيح».
وانظر: «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ و٤٠١). وللحديث شواهد من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرها.
وقد جمع الدَّارقطني طرق هذا الحديث في جزء مفرد؛ قاله ابن القيّم في «الروح» (ص٦٩).

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٠١ ـ ٣٠٢)، وابن حبان (٤/ ٤٥١ ـ ٤٥٢ ـ التعليقات الحسان)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٤٥٠ ـ ٤٥١)، والحاكم (٢/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٣) **وضعفه** شيخنا الألباني.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٣٣)، والحاكم (٢/ ٥٧٨)، والطبري في «التاريخ» (١/ ٤٣٤) **وصححه** شيخنا الألباني في «الصحيحة» (٣٢٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢) من حديث أبي هريرة.

وقال أيضاً: بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما ألقي إبراهيم في النار، قال: اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك**»[1]. وعن ابن عباس يرفعه: «**عجبت من ملكين نزلا يلتمسان عبداً في مصلاه، كان يصلي فيه فلم يجداه، فعرجا إلى الله فقالا: يا ربنا عبدك فلان كنا نكتب له من العمل، فوجدناه قد حبسته في حبالك، فقال: اكتبوا لعبدي عمله الذي كان يعمل**» رواه ابن أبي الدنيا[2]، وله شاهد في البخاري[3]. وفي حديث عبد الله بن أنيس الأنصاري الذي رحل إليه جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر حتى سمع منه، وقال له: بلغني أنك تحدث بحديث في القصاص عن رسول الله ﷺ لم أشهده وليس أحد أحفظ له منك، قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يبعثكم يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بُهماً، ثم يجمعكم ثم ينادي وهو قائم على عرشه**»[4] وذكر الحديث، احتج به أئمة أهل السنة؛ أحمد بن حنبل وغيره.

---

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٤٦)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٥٦)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) وقال: «رواه البزار وفيه عاصم بن عمر بن حفص وثقه ابن حبان وقال: يخطئ ويخالف، **وضعفه الجمهور**».

(٢) أخرجه الطيالسي (٣٤٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ١٤)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ١٨٦)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٧٥) وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٣٠٤): «رواه الطبراني في «الأوسط» والبزار ـ باختصار ـ وفيه محمد بن أبي حميد ضعيف جداً»، **وضعفه** شيخنا الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٦٨٣).

(٣) لم أجده في البخاري وإنما وجدته عند أحمد (٢/ ١٥٩)، والحاكم (١/ ٣٤٨)، وأبي نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٤٩) ولفظه:

«ما من مسلم يصاب ببلاء في جسده إلّا أمر الله الحفظة الذين يحفظونه أن اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة من الخير على ما كان يعمل، ما دام محبوساً في وثاقي» والسياق للحاكم وقال: «**صحيح** على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي وهو كما قالا، أفاده شيخنا الألباني في «الصحيحة» (١٢٣٢).

(٤) أخرجه الخطيب في «الرحلة في طلب الحديث» (٣٣)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٤٢)، وذكره الذهبي في «العرش» (٨٠)، وفي «العلو» (١٢٩) وقال: «**فهذا شبه موضوع**».

وروى الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» بسنده عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ليكره في السماء أن يخطأ أبو بكر في الأرض**»[(١)] ولا تعارض بين هذا الحديث وبين قول النبي ﷺ له في حديث الرؤيا: «**أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً**»[(٢)] لوجهين؛ **أحدهما**: إن الله سبحانه وتعالى يكره تخطئة غيره من آحاد الأمة[(٣)] لا تخطئة الرسول ﷺ له في أمر ما، فإن الحق والصواب مع رسول الله ﷺ قطعاً بخلاف غيره من الأمة، فإنه إذا أخطأ[(٤)] الصديق لم يتحقق أن الصواب معه، بل ما تنازع الصديق وغيره في أمر ما إلا وكان الصواب مع الصديق. **الثاني**: إن التخطئة هنا نسبة إلى الخطأ العمد الذي هو الإثم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] لا من الخطأ الذي هو ضد العلم والتعمد، والله أعلم.

وروى أبو نعيم بسنده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليشرف على حاجة من حاجات الدنيا، فيذكره الله من فوق سبع سموات، فيقول: ملائكتي إن عبدي هذا قد أشرف على حاجة من حاجات الدنيا، فإن فتحتها له فتحت له باباً إلى النار**»[(٥)] الحديث. وفي «مسند الإمام أحمد» من حديث أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله ما أراك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «**ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ﷻ، فأحبُّ أن يرفع عملي وأنا صائم**»[(٦)]. وقال أبو بكر بن أبي شيبة بسنده إلى حسان بن ثابت أنه أنشد النبي ﷺ:

---

(١) أخرجه الحارث في «مسنده» ـ كما في «المطالب العالية» (١٥/ ٦٧١) ـ وأحمد في «فضائل الصحابة» (٦٥٩)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٢٦)، وذكره الذهبي في «العلو» (١٢٣) وقال: «**الخبر غير صحيح**».

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤٦)، ومسلم (٢٢٦٩) من حديث ابن عباس.

(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «الأمة له».

(٤) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وفي الأصل: «خطأ».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٠٥)، وابن قدامة في «إثبات العلو» (٣٣)، وذكره الذهبي في «العلو» (٨٠) وقال: «**الحديث موضوع**».

(٦) أخرجه أحمد (٥/ ٢٠١)، والنسائي (٢٣٥٧)، وعبد الرزاق (٧٩١٧)، وابن أبي شيبة (٣/ ١٠٣)، والبزار (٢٦١٧)، وابن عدي (٢/ ٩١٥)، وأبو القاسم البغوي في «مسند =

شَهِدتُ بإذنِ اللهِ أن محمداً رسولُ الذي فوق السموات مِن عَلُ
وأن أخا الأحقافِ إذ قام فيهم[(١)] يقول بذات[(٢)] الله فيهم ويعدِلُ
وأنَّ أبا يحيى ويحيى كلاهُما له عَمَلٌ من ربه[(٣)] مُتَقَبَّلُ[(٤)]

قال شيخ الإسلام، وذكر سنده إلى ابن عباس، إن اليهود أتو النبي ﷺ فسألوه عن خلق السموات والأرض... فذكر حديثاً طويلاً قالوا: ثم ماذا يا محمد، قال: «**ثم استوى على العرش**» قالوا: أصبت يا محمد لو أتممت، ثم استراح، فغضب غضباً شديداً، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾[(٥)] [ق: ٣٨].

فصل

فيما حفظ عن أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من ذلك

قول أبي بكر الصديق: قال أبو بكر بن أبي شيبة بسنده عن ابن عمر قال: لما قبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر: «أيها الناس إن كان محمد إلهكم فإن

= أسامة» (٤٨، ٤٩)، وأبو نعيم (٩/١٨)، وفي «معرفة الصحابة» (٧٧١)، والبيهقي في «الشعب» (٣٨٢١)، والضياء (١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٥٦، ١٣٥٨) وإسناده حسن.

(١) في مطبوع «الأغاني»: «إذ يعذلونه».
(٢) في مطبوع «الأغاني»: «يقوم بدين».
(٣) في مطبوع «الأغاني» و«مصنف ابن أبي شيبة» و«مسند أبي يعلى»: «له عمل في دينه».
(٤) نسبت هذه الأبيات لحسان بن ثابت رضي الله عنه.
ذكرها عنه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٤٩٧)، وأبو يعلى (٥/ ٦١)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٣٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ١٢٩)، والأصبهاني في «الأغاني» (٤/ ١٥٢) وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٣٣٤، ط. الغرب): «وقد رُويا لحسَّان» وذكرها الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٤): «رواه أبو يعلى وهو مرسل»، وضعفه شيخنا في «تعليقه على الطحاوية» (٣١٥ ـ ٣١٦).
ونسبت لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه.
ذكرها عنه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٤٩٨)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٣٣٤).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦١) وفي «التاريخ» (١/ ٢٨)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص٢٢٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٢ ـ ١٣٦٣) رقم (٨٧٨)، والحاكم (٢/ ٥٤٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص٢٦٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧٦٥)، **وإسناده ضعيف**، فيه أبو سعد البقال، وكان يرسله مرة عن عكرمة، كما عند عبد الرزاق في «التفسير» (٢/ ٢١٠ ـ ٢١١).

محمداً قد مات، وإن كان الله إلهكم الذي في السماء، فإن إلهكم لم يمت، ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] حتى ختم الآية[١]. وقال البخاري في «تاريخه» بسنده إلى ابن عمر قال: لما قبض النبي ﷺ دخل أبو بكر فانكبَّ عليه وقبَّل جبهته، وقال: «بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت»[٢]. وفي «صحيح البخاري» من حديث سهل بن سعد الساعدي: «إن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف، ليصلح بينهم، فحانت الصلاة فجاء المؤذن إلى أبي بكر...» فذكر الحديث، وفيه: «إن رسول الله ﷺ أشار إلى أبي بكر، أن امكث مكانك، فرفع أبو بكر يديه، فحمد الله على ما أمره به رسول الله ﷺ ثم استأخر»[٣] فذكره اهـ.

قول عمر بن الخطاب: قال إسماعيل عن قيس قال: «لما قدم عمر الشام استقبله الناس، وهو على بعيره فقالوا: يا أمير المؤمنين لو ركبت برذوناً ليلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال عمر: «ألا أراكم ههنا، إن الأمر من ههنا، وأشار بيده إلى السماء»[٤]. وقال عثمان بن سعيد الدارمي بسنده إلى أبي يزيد المدني[٥]

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٤٣)، والطبري (٢١/ ٤٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٠٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٢) ومداره على أبي سعد البقال، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (ص٢٨٦، ط. ابن حزم): «**ضعيف** مدلس».

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥)، والبزار (١/ ١٨٢)، وابن حبان في «الثقات» (٢/ ١٣٤)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٨)، و«نقض الإمام أبي سعيد على بشر المريسي العنيد» (١/ ٥١٩)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٧٠)، وذكره الذهبي في «العلو» (١/ ٦٠٠) وقال: «هذا حديث **صحيح**»، وكذا قال في «الأربعين» (ص٩١ ـ ٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٤)، ومسلم (٤٢١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٥٧٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٤)، والخلال في «السنة» (٢/ ٣١٧)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» رقم (٧١)، والذهبي في «العلو» (١/ ٦٠٦) وقال: «إسناده كالشمس» وقال شيخنا الألباني في «مختصر العلو» (ص١٠٣): «**وهو إسناد صحيح على شرط الشيخين**».

وانظر: «المجالسة» (٣/ ٣٥٦ ـ ٣٥٩ ـ بتحقيقي).

(٥) كذا في مصادر التخريج، وكتب الرجال، مثل: «تهذيب الكمال» (٣٤/ ٤٠٩)، وتحرف في الأصل إلى «المزني»!

قال: لقيت امرأة عمر بن الخطاب يقال لها: خولة بنت ثعلبة، وهو يسير مع الناس، فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى لها حتى قضيت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالاً من قريش على هذه العجوز! قال: «ويلك تدري من هذه» قال: لا، قال: «هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها، إلا أن تحضرني صلاة فأصليها، ثم أرجع إليها حتى تقضى حاجتها»[١].

وقال خليد بن دعلج عن قتادة قال: خرج عمر بن الخطاب من المسجد ومعه جارود العبدي، فإذا بامرأة برزة على ظهر الطريق، فسلَّم عليها عمر فردت عليه السلام، وقالت: إيهاً يا عمر! عهدتُك يا عمر وأنت تُسمى عميراً في سوق عكاظ، تزع الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سُمِّيت عمر، ولم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، فقال الجارود: لقد اجترأتِ أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال عمر: «دعها، أما تعرفها؟! هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله شكواها من فوق سبع سموات»[٢].

وقال ابن عبد البر: «وحدثنا[٣] من وجوه عن عمر بن الخطاب: أنه خرج ومعه الناس، فمر بعجوز فاستوقفته، فوقف لها وجعل يحدّثها وتحدثه، فقال

---

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٩)، وفي «الرد على بشر المريسي» (ص٤٧، ط. القديمة)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٤٤٢) ـ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٢٢)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص١٠٢)، وذكره الذهبي في «العلو» (١/ ٦١٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١٤/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠)، وعزاه لابن أبي حاتم والبيهقي، **وإسناده ضعيف**.

قال ابن كثير: «هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب، وقد روي من غير هذا الوجه».

وقال الذهبي: «هذا إسناد صالح فيه انقطاع، أبو يزيد لم يلحق عمر».

(٢) أخرجه ابن شبه في «تاريخ المدينة» (٢/ ٣٩٤، ٧٧٣ ـ ٧٧٤)، وذكره ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٧٣)، وابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٦٢٠ ـ ٦٢١) وقال: «خليد بن دعلج **ضعيف سيئ الحفظ**».

(٣) في مطبوع «الاستيعاب»: «وروينا».

رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز، قال: ويحك تدري من هذه؛ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات...»[1] الحديث.

قول عبد الله بن مسعود: قال الدارمي بسنده إلى ابن مسعود قال: «ما بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله تعالى فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»[2].

وروى الأعمش عن خيثمة عنه: «إن العبد ليهمّ بالأمر من التجارة والإجارة، حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سموات، فيقول للمَلَك: اصرفه عنه، فيصرفه عنه»[3]. اهـ.

قول عبد الله بن عباس: ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب «السنة» من حديث سعيد[4] بن جبير [عنه] قال: «تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله، فإن بين السموات السبع إلى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك»[5].

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (ص٨٩٤).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٠٢، ٢٢٨)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٨١) وفي «الرد على بشر المريسي» (ص٧٣، ٩٠، ١٠٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٤٢، و٢/ ٨٨٥)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ١٣٩ و٧/ ١٣٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٦٥و ٣/ ١٠٤٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩٠، ٢٩٢)، وابن أبي زمنين في «السنة» (٣٩)، والهمداني في «فتيا» (٧٧)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ٨٦) وقال: «رواه الطبراني **ورجاله رجال الصحيح**»، قلت: **إسناده حسن**، من أجل عاصم بن بهدلة، وصححه ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢١٠).

(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨٠)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٤/ ٦٦٨)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٢٣)، وذكره الذهبي في «العلو» (١/ ٦٢٤) وقال: «أخرجه اللالكائي **بإسناد قوي**».

(٤) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وفي الأصل: «سعد»!

(٥) عزاه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٧٩) لعبد الله بن أحمد أيضاً ولم أجده في المطبوع، فلعله سقط من النسخ.
وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٤٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٢١٢)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١/ ٣٨٨)، وذكره الذهبي في «العلو» (١/ ٨١٢) وقال عنه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٦٨): «**موقوف وإسناده جيد**».

وفي «مسند الحسن بن سفيان» و«كتاب عثمان بن سعيد الدارمي» من حديث عبد الله بن أبي مُلَيكة أنه حدثه ذكوان قال: استأذن ابن عباس على عائشة وهي تموت، فقال: «كنتِ أحبَّ نساء النبي ﷺ ولم يكن رسول الله ﷺ يحبُّ إلا طيِّباً، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات، جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيها إلا وهو يتلى فيها آناء الليل وآناء النهار؟»[1].

وذكر الطبري[2] في «شرح السنة» من حديث سفيان عن أبي هشام، عن مجاهد قال: قيل لابن عباس: إن أناساً يكذبون بالقدر. قال: «يكذبون بالكتاب لئن أخذتُ شعر أحدهم لأنصونّه[3] إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فخلق الخلق فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه»[4].

وقال إسحاق بن راهويه أخبرنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٧] قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لم يستطع أن يقول: من فوقهم علم أن الله من فوقهم»[5]. اهـ.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٠، ٢٧٦، ٣٤٩)، وأبو يعلى (٣٢١)، والطبراني (١٠٧٨٣)، وابن حبان (١٠/ ١٩٤ ـ ١٩٥ ـ التعليقات الحسان)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٨٤)، و«النقض على بشر المريسي» (١/ ٥٢١)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ٨٩٢) وقال عنه شيخنا الألباني: «**صحيح لغيره**»، وأصله عند البخاري (٨/ ٤٨٢ ـ «الفتح»).

(٢) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «الطبري»، وهو اللالكائي صاحب «شرح أصول الاعتقاد»، وفي الأصل: «الطبراني»!!

(٣) كذا في مصادر التخريج، وهو الصواب، وفي الأصل: «أخذ... لا ينبتونه»! ومعناه: لآخذنّ بناصيته، وهي قصاص الشعر في مقدَّم الرأس.

(٤) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٤٤)، والفريابي (٧٨، ٧٩)، والبيهقي (٤٣٨) كلاهما في «القدر»، وابن جرير في «التفسير» (٢٣/ ١٤٦)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٣٩٦)، ومن طريقه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٧٧)، وذكره الذهبي في «العلو» (١/ ٤٨٣)، **وإسناده صحيح**.

(٥) أخرجه إسحاق بن راهويه في «مسنده» ـ كما في «المطالب العالية» (١٢/ ٥٦٨)، و«إتحاف الخيرة المهرة» (١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) ـ، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢/ ٣٩٦)، وابن قدامة في «العلو» (٧٨)، **وإسناده ضعيف**، فيه إبراهيم بن الحكم، وبه أعله =

قول عائشة: قال الدارمي بسنده إلى عائشة قالت: «وايم الله! إني لأخشى لو كنتُ أحبُّ قتله لقتلته ـ تعني عثمان ـ ولكن علم الله من فوق عرشه أني لم أحب قتله»[١]. اهـ.

قول زينب بنت جحش أم المؤمنين: في «الصحيحين» من حديث أنس قال: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ، وتقول: «زوّجكنَّ أهاليكنّ، وزوَّجني الله من فوق سبع سموات»[٢]. وفي لفظ غيرهما: كانت تقول: «زوجنيك الرحمن من فوق عرشه، كان جبرائيل السفير بذلك، وأنا ابنة عمتك». اهـ[٣].

قول أبي أمامة الباهلي: قال أبو أمامة الباهلي: «لعن الله إبليس وأخرجه من سمواته وأخزاه، قال: رب أخزيتني ولعنتني وطردتني عن سمواتك وجوارك! فوعزتك لأغوين خلقك ما دامت الأرواح في أجسادهم! فأجابه الرب تبارك وتعالى، فقال: «وعزتي وجلالي وارتفاعي على عرشي، لو أن عبدي أذنب حتى ملأ الأرض خطايا، ثم لم يبق من عمره إلا نفس واحد فندم على ذنوبه لغفرتها، وبدلت سيئاته كلها حسنات» وقد روى هذا المتن مرفوعاً[٤].

قول الصحابة كلهم: قال يحيى بن سعيد الأموي في «مغازيه» بسنده إلى عدي بن عميرة قال: «خرجت مهاجراً إلى النبي ﷺ...» فذكر قصة طويلة، وقال فيها: «فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم، ويزعمون أن إلٰههم في السماء، فأسلمت وتبعتُه»[٥].

= البوصيري. وأخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٠/ ١٠١) بنحوه، وفيه حفص بن عمر العدني، **مجمع على ضعفه**.

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨٣)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١/ ٨٧ ـ ٨٨)، وذكره الذهبي في «العلو» (١/ ٦٣٧)، **وصححه** شيخنا الألباني في «مختصر العلو» (ص١٠٤)، **وإسناده صحيح**، رجاله كلهم ثقات.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٢٠) ولم أجده في «صحيح مسلم».

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٥)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٣١)، وذكره الذهبي في «العلو» (١/ ٢٨٤).

(٤) أخرج المرفوع ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٦٧)، وأبو نعيم (٢/ ٣٨٦)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٣٥) ومن طريقه الذهبي في «الميزان» (٣/ ٦٠٠) وفيه محمد بن عبد الله بن زياد الأنصاري، كذاب، ولذا قال الذهبي في «العلو» (١/ ٤٤٨): **«وعداده في الموضوعات»**، وانظر: «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٠٥).

(٥) أخرجه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٢١)، والذهبي في «العلو» (١/ ٣٧٣)، وعزاه =

ذكر أقوال التابعين:

قول[١] مسروق رَحِمَهُ اللَّهُ قال علي بن الأقمر: كان مسروق إذا حدَّث عن عائشة قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق، حبيبة حبيب الله ﷺ، المبرَّأة من فوق سبع سموات. اهـ[٢].

قول عكرمة: قال سلمة بن شعيب بسنده إلى عكرمة قال: بينما رجل مستلق على متنه في الجنة، فقال في نفسه لم يحرك شفتيه: لو أن الله يأذن لي لزرعت في الجنة، فلم يعلم إلا والملائكة على أبواب جنته، قابضين على أكفهم فيقولون: سلام عليك، فاستوى قاعداً، فقالوا له: يقول لك ربك: تمنيت شيئاً في نفسك قد علمه وقد بعث معنا هذا البذر، يقول لك: ابذر فألقى يميناً وشمالاً وبين يديه وخلفه، فخرج أمثال الجبال على ما كان تمنى وزاد، فقال له الرب من فوق عرشه: كل يا ابن آدم، فإن ابن آدم لا يشبع»[٣].

قول قتادة رحمه الله تعالى: قال الدارمي بسنده إلى قتادة قال: «قالت بنو إسرائيل: يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض، فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟ قال: إذا رضيت استعملت عليكم خياركم، وإذا غضبت عليكم استعملت شراركم»[٤].

= ابن القيم في «تهذيب السنن» (٧/ ١١١) لـ«مغازي الأموي» **وإسناده مظلم**، فيه مجاهيل، ولذا قال الذهبي في «العلو» (١/ ٣٢٥): «هذا حديث غريب»، وانظر: «الإصابة» (٢/ ٤٦٣).

(١) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وفي الأصل: «قال»!

(٢) أخرجه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٨٣) وعنه الذهبي في «السير» (٢/ ١٨١)، وذكره في «العلو» (٢/ ٨٦٨) وقال: «**إسناده صحيح**».
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٤٤) ولفظه: «حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبةُ حبيب الله المبرأة في كتاب الله»، **وإسناده صحيح**.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٣٤)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٨٤)، وذكره الذهبي في «العرش» (٢/ ١٩٤)، وفي «العلو» (٢/ ٨٩٥) وقال: «**إسناده ليس بذاك**»، قلت: فيه إبراهيم بن الحكم بن أبان ضعيف، وقارنه بما في «صحيح البخاري» (٢٣٤٨، ٧٥١٩).

(٤) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨٧)، والدينوري في «المجالسة» (٢/ ٢٧٩ - ٢٨٠ - بتحقيقي) ومن طريقه ابن عربي في «المحاضرة» (١/ ٤٦٨).
وأخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص٢٧٧) ومن طريقه ابن الجوزي في «الحدائق» (٢/ ١٦). =

قول سليمان التيمي: قال ابن أبي خيثمة في «تاريخه»[١] بسنده إلى سليمان التيمي قال: «لو سئلت: أين الله؛ لقلت في: السماء»[٢].

قول كعب الأحبار: قال الليث بن سعد بسنده إلى عطاء بن يسار قال: أتى رجل كعباً وهو في نفر، فقال: يا أبا إسحاق حدثني عن الجبار، فأعظم القوم قوله، فقال كعب: «دعوا الرجل فإن كان جاهلاً تعلم، وإن كان عالماً ازداد علماً» ثم قال كعب: «أخبرك أن الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن، ثم جعل ما بين كل سماءين كما بين سماء الدنيا والأرض، وكثفهن مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه فوقه»[٣].

وقال نعيم بن حماد: بسنده عن كعب قال: قال الله في التوراة: «أنا فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي[٤] أدبر أمور عبادي، لا يخفى عليَّ شيء من أمر عبادي في سمائي ولا أرضي، وإليَّ مرجع خلقي فأنبئهم بما خفي عليهم من علمي، أغفر لمن شئت منهم بمغفرتي، وأعاقب من شئت بعقابي». اهـ[٥].

= وأخرجه النسفي في «القند» (ص٤٥١/رقم ٨٣٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ق٣٧٢)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» رقم (٣٢، ٢٧٨)، والذهبي في «السير» (٥/ ٢٨٠) ونحوه في «سراج الملوك» (٢/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨، ط. المصرية اللبنانية) وعلق عليه المحقق بكلام فيه عقيدة فاسدة فاحذره، وصححه الذهبي في «الأربعين» (ص٩٣) و«العلو» (٢/ ٨٩٣)، **وحسنه** شيخنا الألباني في «مختصر العلو» (ص١٣١).

(١) لم أجده في القسم المطبوع منه، والنقص في أصوله الخطية.

(٢) أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٠١) ومن طريقه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٩١) وعلقه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٦٤)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ٩١٩)، وقال شيخنا الألباني في «مختصر العلو» (ص١٣٣): «وصدقة هذا هو ابن المنتصر أبو شعبة الشعباني، قال أبو زرعة: لا بأس به كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ١/ ٤٣٤)، وسائر رجاله ثقات». قلت: **إسناده صحيح**، والحمد لله.

(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦٠٨) **وإسناده ضعيف**، فيه عمر مولى غفرة، ضعيف، وفي آخره نكرة ظاهرة، جعلت الذهبي يقول في «العلو» (٢/ ٨٦٥) عنه: «وذكر كلمة منكرة، لا تسوغ لنا، والإسناد نظيف، وأبو صالح ـ يريد عبد الله بن صالح كاتب الليث ـ ليّنوه، وما هو بمتَّهم»!

(٤) في الأصل: «عرش»! والتصويب من مصادر التخريج.

(٥) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٢٥) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٧)، =

قول مقاتل: ذكر البيهقي في «الأسماء والصفات» عن بكر بن معروف عن مقاتل: «بلغنا ـ والله أعلم ـ في قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ الأول: قبل كل شيء، والآخر: بعد كل شيء، والظاهر: فوق كل شيء، والباطن: أقرب من كل شيء، وإنما يعني القرب بعلمه وقدرته، وهو فوق عرشه، وهو بكل شيء عليم»(١).

وبهذا الإسناد عنه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ﴾ يقول بعلمه وذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ فيعلم نجواهم ويسمع كلامهم ثم ينبئهم يوم القيامة بكل شيء وهو فوق عرشه وعلمه معهم»(٢). اهـ.

قول الضحاك: روى بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان عنه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ﴾ قال: «هو الله على العرش وعلمه معهم»(٣).

قول التابعين جملة:

روى البيهقي بإسناد صحيح إلى الأوزاعي قال: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى جل ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من

= وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ٨٦٣) وقال: «رواته ثقات» وقال في «الأربعين» له (ص٤٥): «صح عن كعب الأحبار قال: ... فذكره»، وصححه ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٣٧٣) وعزاه لابن بطة، قلت: ونقله عنه أبو يعلى في «إبطال التأويلات» (١/ ٣١٠ ـ ٣١١).

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٤٢)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ٩٤٥) وقال: «مقاتل هذا ثقة إمام معاصر للأوزاعي ما هو بابن سليمان، ذلك مبتدع ليس بثقة».
قال أبو عبيدة: انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٢٣٧).

(٢) انظر التخريج الآتي.

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٠٠) عن مقاتل قوله، وذكره هكذا الذهبي في «العلو» (٢/ ٩٤٤)، وأخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٣٠٤)، وأبو داود في «مسائله عن الإمام أحمد» (١٦٩٨، ط. ابن تيمية)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ١٠٧٨ ـ ١٠٧٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٢) عن مقاتل بن حيان عن الضحاك به، وحسنه شيخنا الألباني في «مختصر العلو» (ص١٣٨).

صفاته»[١] قال شيخ الإسلام: «وإنما قال الأوزاعي ذلك بعد ظهور جهم المنكِر لكون الله ﷻ فوق عرشه والنافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف كان بخلاف قوله»[٢] وقال أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد»: «وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾: هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم أحد في ذلك يحتج به»[٣].

قول الحسن: روى أبو بكر الهذيلي عن الحسن رحمه الله تعالى قال: «ليس شيء عند ربك من الخلق أقرب إليه من إسرافيل وبينه وبين ربه سبعة حجب، كل حجاب مسيرة خمسمائة عام، وإسرافيل، دون هؤلاء ورأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم السابعة»[٤]. اهـ.

قول مالك بن دينار: ذكر أبو العباس السراج بسنده إلى جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: «إنَّ الصدِّيقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة، ثم يقول: خذوا فيقرؤون، ويقول: اسمعوا إلى قوله الصادق من فوق عرشه»[٥] وكان مالك بن دينار وغيره من السلف يذكرون هذا الأثر: «ابن آدم خيري إليك نازل، وشرُّك إليَّ صاعد، أتحبَّب إليك بالنِّعم، وتتبغض إليَّ بالمعاصي، ولا يزال مَلَك كريم قد عرج إليَّ منك بعمل قبيح»[٦]. اهـ.

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٤)، وعنه الجورقاني في «الأباطيل والمناكير» رقم (٧٤) ومن طريقه الذهبي في «السير» (٧/ ١٢٠ - ١٢١)، وفي «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٨١ - ١٨٢)، وذكره **وصححه** ابن تيمية في «درء تعارض العقل» (٦/ ٢٦٢) وفي «الحموية» (ص٢٩٩)، وابن القيم في «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٢١١)، والذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٨٢) **وجوده** ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٥٠٠).

(٢) انظر: «الحموية» (٣٠٤) بتصرف يسير.

(٣) انظر: «التمهيد» (٧/ ١٣٨ - ١٣٩) بتصرف يسير.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٨٦)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٨٥)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ٨٧٠) وقال: «**أبو بكر واهٍ**».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٥٨)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٨٦)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ٩٠٥) **وصححه**.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» رقم (٤٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧٧) وعنه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٨٧)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ١٤٠)، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٩٤)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ٩٠٦) وقال: «**إسنادها مظلم**». =

قول ربيعة بن عبد الرحمن شيخ مالك بن أنس: قال يحيى بن آدم عن أبيه عن ابن عيينة قال: سئل ربيعة عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله تعالى الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعلينا التصديق». اهـ[(١)].

قول عبد الله بن الكَوَّاء: ذكر الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في «تاريخه» عن هشام بن سعد قال: قدم عبد الله بن الكواء على معاوية، فقال له: أخبرني عن أهل البصرة قال: يقاتلون معاً ويدبرون شتى، قال: فأخبرني عن أهل الكوفة قال: أنظر الناس في صغيرة، وأوقعهم في كبيرة، قال: فأخبرني عن أهل المدينة قال: أحرص الناس على الفتنة وأعجزهم عنها، قال: فأخبرني عن أهل الموصل قال: قلادة وليدة فيها من كل شيء خرزة، قال: فأخبرني عن أهل مصر قال: لقمة آكل، قال: فأخبرني عن أهل الجزيرة قال: كناسة بين مدينتين، قال: فأخبرني عن أهل الشام قال: جند أمير المؤمنين لا أقول فيهم شيئاً، قال: لتقولن. قال: أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم لخالق ولا يحسبون للسماء ساكناً[(٢)]. اهـ.

= وانظر: «المجالسة» رقم (١٨١) وتعليقي عليه.

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٦)، والعجلي في «تاريخ الثقات» (ص١٥٨)، وابن بطة في «الإبانة» رقم (١٢١)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٩٠)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ٩١١) كلهم من طرق عنه به.

وهذا الأثر **صححه** غير واحد من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي وشيخنا الألباني.

فقال شيخ الإسلام رحمه الله في «الحموية» (ص٣٠٦): «وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة...» فذكره، ونحوه في «درء التعارض» (٦/ ٢٦٤)، و«شرح حديث النزول» (ص١٣٣).

وقال في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٥): «هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك».

وقال الذهبي رحمه الله في «العلو» (٢/ ٩١١) «صح عن ابن عيينة قال: سئل ربيعة...» فذكره، وصححه ابن القيم في «الصواعق» (٤/ ١٣٠٤) أيضاً.

وقال شيخنا الألباني في «مختصر العلو» (ص١٣٢) عنه: «وهو صحيح»، وقد روي هذا الجواب عن الإمام مالك. وقد سبق تخريجه.

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» (١/ ٣٥٩).

قول تابعي التابعين:

ذكر قول عبد الله بن المبارك: روى الدارمي والحاكم والبيهقي وغيرهم بأصح إسناد إلى علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: «نعرف ربنا بأنه فوق سبع سموات، على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية». وفي لفظ آخر: «قلت: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما قالت الجهمية»(١).

وقال الدارمي: بسنده إلى ابن المبارك قال: قيل له: كيف نعرف ربنا قال: «بأنه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه»(٢).

قول الإمام عثمان بن سعيد الدارمي: قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي «ومما يحقق قول ابن المبارك قول رسول الله ﷺ للجارية: «**أين الله**» ليمتحن بذلك إيمانها، فلما قالت: «في السماء» قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»(٣). والآثار في ذلك عن رسول الله ﷺ كثيرة، والحجج متظاهرة، والحمد لله على ذلك»(٤). ثم ساقها الدارمي.

وذكر ابن خزيمة: عن ابن المبارك: أنه قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن قد خفت من كثرة ما أدعو على الجهمية، قال: «لا تخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء»(٥)، وصح عن ابن المبارك أنه قال: «إنا نستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية». اهـ(٦).

---

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٦٧)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١١١)، وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» (٢٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٣٦)، وذكره ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٩٩)، والذهبي في «العلو» (١/ ٣٦١).

(٢) انظر الحديث السابق.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: «الرد على الجهمية» (ص٤٠).

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١١٢)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٩٥ ـ الرد على الجهمية)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ٩٩١)، و«السير» (٨/ ٤٠٣).

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١١١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٨٧)، والآجري في «الشريعة» (٢/ ٩٨٧)، وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» (١٦)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٣٩٣).

قول الأوزاعي: قال أبو عبد الله الحاكم: أخبرني محمد بن علي الجوهري وذكر سنده إلى الأوزاعي أنه قال: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق العرش ونؤمن بما وردت به السنة»[(١)] وهذا الأثر يدخل في حكاية مذهبه ومذهب التابعين فلذلك ذكرناه في الموضعين.اهـ.

قول حماد بن زيد: قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة بسنده إلى حماد بن زيد أنه قال: «الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء»[(٢)].

قال شيخ الإسلام: «وهو[(٣)] الذي كانت الجهمية يحاولونه[(٤)] قد صرح به المتأخرون منهم، وكان ظهور السنة وكثرة الأئمة في عصر أولئك يحول بينهم وبين التصريح به، فلما بَعُد العهد وخفيت السنة وانقرضت الأئمة صرحت الجهمية النفاة بما كان سلفهم يحاولونه، ولا يتمكّنون من إظهاره»[(٥)].اهـ.

قول سفيان الثوري: قال معدان سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ قال: «علمه»[(٦)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) لم أجده في مطبوع «التوحيد» له وإنما أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٧٥) وابنه عبد الله في «السنة» (١/ ١١٨)، والخلال في «السنة» (٥/ ٩١، ١٢٧)، وابن بطة في الإبانة (رقم ٣٢٩). وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» (١٠)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (١٠٢)، والذهبي في «العلو» (٢/ ٩٧٠)، **وصححه** شيخ الإسلام ابن تيمية في «الحموية» (ص٣٣٧)، و«مجموع الفتاوى» (٥/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، وشيخنا الألباني في «مختصر العلو» (ص١٤٧).

(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وهذا».

(٤) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وفي الأصل: «يحاولون»!

(٥) نحوه في «نقض التأسيس» (٢/ ٨١).

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧)، وابن بطة في «الإبانة» رقم (١١١)، والآجري في «الشريعة» (٢٨٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٤٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٤١)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٠١)، وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» (٢٩)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٩٤)، والذهبي في «العلو» (٢/ ٩٤٦)، و«السير» (٧/ ٢٧٤)، ونقل شيخنا الألباني عن الذهبي في «مختصر العلو» (ص١٣٩) قال: «وقال المؤلف ـ أي الذهبي ـ في «مختصره»: «وهذا الأثر ثابت عن معدان».

ملاحظة: سقط من مطبوع «التمهيد» ذكر معدان، والصواب إثباته.

قول وهب بن جرير: قال الأثرم بسنده إلى وهب بن جرير يقول: «إنما تريد الجهمية إنه ليس في السماء شيء»[١]، قال: وقلت لسليمان بن حرب: أي شيء كان يقول حماد بن زيد في الجهمية؟ فقال: «كان يقول إنما يريدون أنه ليس في السماء شيء»[٢]اهـ.

ذكر أقوال الأئمة الأربعة:

قول الإمام أبي حنيفة: قال البيهقي بسنده إلى نوح بن أبي مريم؛ أبي عصمة يقول: كنا عند أبي حنيفة أول ما ظهر إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهماً، فدخلت الكوفة فقيل لها: إن ههنا رجلاً قد نظر في المعقول، يقال له: أبو حنيفة، فأتته فقالت: أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك؛ أين إلهك الذي تعبده؟ فسكت عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ثم خرج إلينا وقد وضع كتاباً: «إن الله تبارك وتعالى في السماء دون الأرض» فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ قال: «هو كما تكتب للرجل: إني معك وأنت عنه غائب»[٣] قال البيهقي: «لقد أصاب أبو حنيفة فيما نفى عن الله تعالى وتقدس من الكون في الأرض وفيما ذكر من تأويل الآية، وتبع مطلق السمع في قوله: إن الله عز وجل في السماء»[٤].

قال شيخ الإسلام: وفي كتاب «الفقه الأكبر» المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذي رواه بإسناده عن أبي مطيع البلخي الحكم بن عبد الله قال: سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر؟ قال: «لا تكفر أحداً بذنب ولا تنف أحداً من[٥] الإيمان وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا توالِ أحداً دون أحد وأن ترد أمر عثمان وعلي إلى الله تعالى». قال أبو حنيفة: «الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم، ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه عز وجل

---

(١) ذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» (٦)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (١٠١)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١٠٣٩)، وشيخنا الألباني في «مختصر العلو» (ص١٧٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨)، والذهبي في «العلو» (٢/ ٩٣١).

(٤) انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٣٣٨) بتصرف يسير.

(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «أحداً به».

خير من أن يجمع العلم الكثير. قال أبو مطيع. قلت: فأخبرني عن فضل الفقه[١] قال: يتعلم الرجل الإيمان والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأئمة».

وذكر مسائل في الإيمان، ثم ذكر مسائل في القدر، ثم قال: فقلت: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك ناس فيخرج عن الجماعة هل ترى ذلك؟ قال: «لا» قلت: ولم وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضة واجبة؟

فقال: «كذلك[٢] لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء واستحلال الحرام وذكر الكلام في قتال الخوارج والبغاة» إلى أن قال: قال أبو حنيفة: «ومن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ فقد كفر لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ وعرشه فوق سبع سموات»[٣].

قلت: فإن قال: إنه على العرش ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أن يكون في السماء، لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل. وفي لفظ سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض! قال: فقد كفر لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ وعرشه فوق سبع سموات، قال: فإنه يقول: على العرش استوى ولكنه لا يدري العرش في الأرض أو في السماء، قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر. ورُوي هذا عن شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري في كتابه: «الفاروق» بإسناده[٤]. قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد[٥] رحمه الله تعالى: «ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة رحمه الله عند أصحابه أنه كفَّر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السماء ولا في الأرض. واحتج على كفره بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ وقال: وعرشه فوق سبع سموات وبيّن بهذا أن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ بيّن في أن الله ﷻ[٦]

---

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «أفضل الفقه».
(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «هو كذلك».
(٣) انظر: «الفقه الأكبر» المنسوب لأبي حنيفة (ص٤٠ ـ ٤٤).
(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/٤٦ ـ ٤٧، ٤٩) بتصرف.
(٥) أي شيخ الإسلام ابن تيمية.
(٦) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «دلّ على أن الله».

فوق السموات فوق العرش وأن الاستواء على العرش»[١].

ثم أردف ذلك بكفر من توقف في كون العرش في السماء أو في الأرض قال: لأنه أنكر أن يكون في السماء وأن الله في أعلى عليين، وأن الله يدعى من أعلى لا من أسفل واحتج بأن الله في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وكل من هاتين الحجتين فطرية[٢] عقلية، فإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله ﷻ في العلو، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وكذلك أصحابه من بعده كأبي يوسف وهشام بن عبيد الله الرازي كما روى ابن أبي حاتم وشيخ الإسلام بأسانيدهما أن هشام بن عبيد الله الرازي صاحب محمد بن الحسن قاضي الري حبس رجلاً في التجهم فتاب، فجيء به إلى هشام؛ ليمتحنه، فقال: الحمد لله على التوبة، فامتحنه هشام، فقال: «أتشهد[٣] أن الله على عرشه بائن من خلقه؟» فقال: أشهد أن الله على عرشه، ولا أدري ما بائن من خلقه، فقال: «ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب»[٤]. وسيأتي قول الطحاوي عند أقوال أهل الحديث.

قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس: ذكر أبو عمر ابن عبد البر في كتاب «التمهيد» بسنده إلى مالك بن أنس أنه قال: «الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان» قال: وقيل لمالك: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ فقال مالك رحمه الله تعالى: «الاستواء معقول، وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجل سوء»[٥].

وكذلك أئمة أصحاب مالك من بعده، قال يحيى بن إبراهيم الطليطلي في كتاب «سير الفقهاء» ـ وهو كتاب جليل غزير العلم[٦] ـ بسنده إلى إبراهيم، قال:

---

(١) بعدها في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «دلّ على أن الله تعالى بنفسه فوق العرش»، وانظر: «مجموع الفتاوى»، (٥/ ١٨٣)، و«درء التعارض» (٦/ ٢٦٣)، و«شرح الطحاوية» (٢/ ٣٨٧).

(٢) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وفي الأصل: «نظرية»!

(٣) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وفي الأصل: «أشهد»!

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٨ ـ ٤٩) بتصرف.

(٥) انظر: «التمهيد» (٧/ ١٣٨) وقد سبق تخريج (القسم الثاني) من هذا الأثر عن مالك وغيره.

(٦) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «عزيز العلم»!

«كانوا يكرهون قول الرجل: يا خيبة الدهر، وكانوا يقولون: الله هو الدهر. وكانوا يكرهون قول الرجل: رغم أنفي لله، وإنما يرغم أنف الكافر، وكانوا يكرهون قول: لا والذي خاتمه على فمي، وإنما يختم على فم الكافر، وكانوا يكرهون قول الرجل: والله حيث كان أو إن الله بكل مكان، قال أصبغ: وهو مستوٍ على عرشه وبكل مكان علمه وإحاطته، وأصبغ من أجل أصحاب مالك وأفقههم». اهـ.

ذكر قول أبي عمرو الطَّلَمَنْكي: قال في «كتابه في الأصول»[1]: «أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله على عرشه بذاته»[2] وقال في هذا الكتاب أيضاً: «أجمع أهل السنة على أنه تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز»[3] ثم ساق بسنده عن مالك قوله: «الله في السماء وعلمه في كل مكان»[4] ثم قال في هذا الكتاب: «وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء»[5] وهذا لفظه[6] في كتابه. اهـ.

قول الإمام الحافظ أبي عمر بن عبد البر إمام السنة في زمانه: قال في كتاب «التمهيد» في شرح (الحديث الثامن) لابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ينزل ربنا في كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له**»[7]. هذا الحديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد لا يختلف أهل

---

(١) المسمى بـ«الوصول إلى معرفة الأصول»، قال عنه الذهبي في «السير» (١٦/ ٥٦٩): «في مجلدين، عامّته جيد» وذكر أنه رآه، وهو من مرويات ابن خير، كما في «فهرسته» (ص٢٥٩)، ويجمعه الآن بعض طلبة العلم، لنيل الماجستير.

(٢) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١).

(٣) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٥١)، و«العلو» (٢/ ١٣١٥).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١)، و«شرح حديث النزول» (ص٨٥)، و«مجموع الفتاوى» (٥/ ١٨٩)، و«العلو» (٢/ ١٣١٥).

(٦) في الأصل: «وهذه القصة»! والمثبت من «اجتماع الجيوش» (ص١٤٢).

(٧) سبق تخريجه.

الحديث في صحته، وفيه دليل: على أن الله ﷻ في السماء على عرشه من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله في كل مكان وليس على العرش، والدليل على صحة ما قال أهل الحق في ذلك: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾، وقوله تبارك اسمه: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾، وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾، وقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ وهذا من العلو، وكذلك قوله: ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ و﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ و﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ و﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ والجهمي يقول: إنه أسفل، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾، وقوله: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ والعروج هو الصعود، وقوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ والعروج هو الصعود، وأما قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ فمعناه من على السماء يعني على العرش، وقد يكون «في» بمعنى «على» ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: على الأرض، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾، وقوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾.

وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب وهذه الآيات كلها واضحات في بطلان أقوال المعتزلة. وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى فلا معنى له؛ لأنه غير ظاهر في اللغة؛ ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة والله تعالى لا يغالبه أحد وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا تعالى إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله ﷻ على الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك، ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكلِّ مدع ما ثبت شيء من العبادات[1]، وجل الله أن يخاطب إلا بما

---

(١) في مطبوع «التمهيد»: «العبارات».

تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة مفهوم، وهو: العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه، قال أبو عبيدة في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ قال: «علا، قال: وتقول العرب: استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت، وقال غيره: استوى أي: استقر واحتج بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾. انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد»[1]. قال ابن عبد البر: «الاستواء الاستقرار في العلو، وبهذا خاطبنا الله تعالى في كتابه فقال: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ وقال الشاعر:

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة   وقد حلق النجم اليماني فاستوى[2]

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد: «استولى» لأن النجم لا يستولي، وقد ذكر النضر بن شميل - وكان ثقة مأموناً جليلاً في علم الديانة واللغة - قال: حدثني الخليل - وحسبك بالخليل -، قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي - وكان من أعلم ما رأيت - فإذا هو على سطح، فسلّمنا، فردَّ علينا السلام، وقال: استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال، فقال لنا أعرابي إلى جانبه: إنه أمركم أن ترتفعوا، فقال الخليل: هو من قول الله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ فصعدنا إليه» قال: وأما من نازع منهم بحديث يرويه عبد الله بن داود[3] الواسطي بسنده إلى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ قال: [استولى][4] على جميع بريته فلا يخلو منه مكان»، فالجواب: أن هذا الحديث منكر، ونقلته مجهولون وضعفاء. فأما عبد الله بن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف، وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا وأنصفوا؟! أما سمعوا الله سبحانه حيث يقول: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٧٣) و(٢/ ١٥، ٥٧ ـ ٥٨، ٩٩).

(٢) ذكره الفراهيدي في «العين» (٣/ ١٢٦ ـ صبح)، والأزهري في «التهذيب» (٤/ ٢٦٥ ـ صبح)، وابن المنظور في «لسان العرب» (٢/ ٥٠٥ ـ صبح)، والزَّبيدي في «تاج العروس» (٦/ ٥٢٥ ـ صبح)، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢٥٤) ولم يُعز لأحد.

(٣) في مطبوع «التمهيد»: «واقد».

(٤) غير موجود في مطبوع «التمهيد».

كَذِبًا﴾، فدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول: إلهي في السماء، وفرعون يظنه كاذباً.

وقال الشاعر:

فسبحان مَن لا يقدر الخلق قدره ... ومن هو فوق العرش فرد موحَّدُ

مليك على عرش السَّماء مُهيمنٌ ... لعزته تَعنو[1] الوجوه وتسجُدُ

وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت، وفيه يقول في وصف الملائكة:

[وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه ... يعظم رباً فوقه ويمجد][2]

قال: فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ وبقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ وبقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ وزعموا أن الله سبحانه في كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى جده. قيل: لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته، فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذا قال أهل العلم بالتفسير، وظاهر هذا التنزيل[3] يشهد أنه على العرش، فالاختلاف في ذلك ساقط[4]، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر وأما قوله في الآية الأخرى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ فالإجماع والاتفاق قد بين أن المراد أنه معبود من أهل الأرض، **فتدبَّر هذا فإنه قاطع!**

ومن الحُجَّة أيضاً في أنه ﷻ على العرش فوق السموات السبع: أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم[5] أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء، ونصبوا أيديهم رافعين مشيرين بها إلى السماء،

---

(١) في مطبوع «التمهيد»: «تعنو».

(٢) في مطبوع «التمهيد»:

فمن حاملٍ إحدى قوائم عرشه ... ولولا إله الخلق كلُّوا وأبلدوا

قيام على الأقدام عانون تحته ... فرائصهم من شدة الخوف ترعد

بدلاً من المذكور.

(٣) في مطبوع «التمهيد»: «فظاهر التنزيل».

(٤) في مطبوع «التمهيد»: «بيننا فقط».

(٥) في مطبوع «التمهيد»: «إذا كربهم أمر».

ويستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته اضطراري[(١)]، وقد قال النبي ﷺ للأمة التي أراد مولاها عتقها إنْ كانت مؤمنة، فاختبرها رسولُ الله ﷺ بأن قال لها: «**أين الله؟**» فأشارت إلى السماء، ثم قال لها: «**من أنا**» قالت: «أنت رسول الله» قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»[(٢)] فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفع رأسها إلى السماء، واستغنى بذلك عما سواه».

قال: «وأما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾؛ فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية؛ لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملوا عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: «هو على العرش، وعلمه في كل مكان»، وما خالفهم في ذلك أحدٌ يحتجّ بقوله. وذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾. قال: هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا[(٢)]، قال: وبلغني عن سفيان الثوري مثله[(٢)].

قال سنيد بسنده عن ابن مسعود قال: «الله فوق العرش، وعلمه في كل مكان لا يخفى عليه شيء من أعمالكم»[(٣)] ثم ساق من طريق يزيد بن هارون بسنده إلى ابن مسعود قال: «ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماء إلى الأخرى خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله فوق العرش ويعلم أعمالكم»[(٤)]»[(٥)] وذكر هذا الكلام أو قريباً منه في كتاب «الاستذكار»[(٦)]. اهـ.

قول الإمام مالك الصغير أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، قال في خطبته بـ«رسالته المشهورة»: **(باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب**

---

(١) في مطبوع «التمهيد»: «لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم».
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٢٨)، والدارمي في «النقض على بشر المريسي» (١/ ٤٢٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٨٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٤٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢) كلهم دون لفظة: «وعلمه في كل مكان»، وجوّد إسناده شيخنا الألباني في «مختصر العلو» (١٠٣ ـ ١٠٤).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) انظر: «التمهيد» (٧/ ١٢٨ ـ ١٣٩).
(٦) انظر منه (٨/ ١٤٨ ـ ١٥١)، وينظر: «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٤٤).

أمور الديانات): «ومن[١] ذلك الإيمان بالقلب والنطقُ باللسان: أنَّ الله إلهٌ واحدٌ، لا إله غيره، ولا شبيهَ لهُ، ولا نظيرَ له، ولا وَلَدَ له[٢]، ولا صاحبة له ولا شريك له، ليس لأوَّليَّتِهِ ابتداءٌ، ولا لآخريَّته انقِضاءٌ، ولا يبلُغُ كُنْهَ صفتِهِ الواصفون، ولا يُحيط بأمرِهِ المتفكرون، يعتبِر المتفكِّرون بآياته، ولا يتفكرون في ماهية[٣] ذاته ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [وهو][٤] العليم[٥] الخبير المُدبِّر القدير السميع البصير العلي الكبير، وأنه فوق عرشه المجيد بذاتِهِ[٦]، وهو بكل[٧] مكان بعلمه»[٨].

وكذلك ذكر مثل هذا في «نوادره»[٩] وغيرها من كتبه[١٠]، وذكر في كتابه المفرد في السنة[١١] تقرير العلو واستواء الرب تعالى على عرشه بذاته أتم تقرير، فقال:

«فصل
فيما اجتمعت عليه الأمة من أمور الديانة
من السنن التي خلافها بدعة وضلالة

إن الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، لم يزل موصوفاً بجميع

---

(١) في مطبوع «مقدمة الرسالة»: «من» دون الواو.
(٢) في مطبوع «مقدمة الرسالة» زيادة: «ولا والد له».
(٣) في مطبوع «مقدمة الرسالة»: «مائية»!
(٤) غير موجود في مطبوع «مقدمة الرسالة».
(٥) في مطبوع «مقدمة الرسالة»: «العالم».
(٦) يلحظ أن هذه اللفظة تورد في معرض الرد على النفاة، بخلاف ما يكتبونه عند التأصيل والتقرير، وهي مستخدمة قبل ابن أبي زيد، وقال الذهبي في «العلو» (٢/ ١٢٩٢) عنه بعد مدحه والثناء عليه: «وقد نقموا عليه في قوله (بذاته)، فليته تركها»، ونحوه في «السير» (١٩/ ٦٠٦ و٢٠/ ٣٣١)، وانظر في استخدامها: «فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم» (١/ ٢٠٩ ـ ٢١٠) وما كتبه الشيخ بكر أبو زيد من تمهيد على «رسالة ابن أبي زيد» (ص٢٢، ٢٥)، و«جلاء العينين» (ص٣٥٤) وتعليق الشيخ العلامة ابن باز على «فتح الباري» (١/ ٥٠٨)، ومقدمة شيخنا الألباني على «مختصر العلو» (١٨ ـ ١٩).
(٧) في مطبوع «مقدمة الرسالة»: «في كل».
(٨) انظر: «مقدمة الرسالة» (ص٥٦).
(٩) انظر منه ـ لزاماً ـ (١٤/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣).
(١٠) مثل «الجامع في السنن والآداب»، ينظر منه (ص١٠٧ ـ ١٠٨).
(١١) نسبه له القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٦/ ٢١٨)، والذهبي في «السير» (١٧/ ١١)، ومحمد مخلوف في «شجرة النور الزكية» (٢٢٧).

صفاته[١]، وهو سبحانه موصوف بأن له علماً وقدرة وإرادة ومشيئة، أحاط علماً بجميع ما بدأ قبل كونه، وفطر الأشياء بإرادته، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢]، وإن كلامه صفة من صفاته، ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد، وأن الله ﷻ كلّم موسى عليه السلام بذاته وأسمعه كلامه لا كلاماً قام في غيره، وأنه يسمع ويرى ويقبض ويبسط، وأن يديه مبسوطتان: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وأن يديه غير نعمته في ذلك، وفي قوله سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، وأنه يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائياً والملك صفاً صفاً؛ لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء، ويعذّب[٢] من يشاء، وأنه يرضى[٣] ويحب التوابين، ويسخط على من كفر به ويغضب، فلا يقوم شيء لغضبه، وأنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه، وأن لله سبحانه كرسياً؛ كما قال ﷻ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكما جاءت به الأحاديث أن الله سبحانه يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء، وقال مجاهد: «كانوا يقولون ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض»[٤]. وأن الله سبحانه يراه أولياؤه في المعاد بأبصارهم، ولا يضامون في رؤيته كما قال ﷻ في كتابه وعلى لسانه رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] وقال رسول الله ﷺ في قول الله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]: **«وهو النظر إلى وجهه الكريم»**[٥] وأنه يكلم عباده يوم القيامة ليس بينه وبينهم واسطة ولا ترجمان، وأن الجنة والنار داران قد خلقتا، أعدت الجنة للمؤمنين، والنار

---

(١) بعدها في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «قائم».

(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ويعذب منهم».

(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «يرضى عن الطائعين».

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٤٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٣٢)، وابن أبي شيبة في «العرش» (٤٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢) وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٥٠٦): «أخرجه سعيد بن منصور في «التفسير» بسند صحيح».

(٥) سبق تخريجه.

للكافرين، الجاحدين، ولا يفنيان[١].

والإيمان بالقدر خيره وشره، وكل ذلك قد قدره ربنا سبحانه وتعالى وأحصاه علمه، وأن مقادير الأمور بيده، ومصدرها عن قضائه، تفضَّل على من أطاعه فوفقه وحبَّب الإيمان إليه، وزيَّنه في قلبه، فيسَّره له، وشرح له صدره، ونور له قلبه[٢] ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الزمر: ٣٧]، وخذل من عصاه وكفر به فأسلمه[٣]، وأضله: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وكل ينتهي إلى سابق علمه، لا تخصيص[٤] لأحد عنه، وأنَّ الإيمان قول باللسان[٥] وعمل بالجوارح، يزيد[٦] بالطاعة، وينقص بالمعصية نقصاً عن حقائق الكمال[٧]، ولا قول إلا بعمل، ولا عمل ولا قول[٨] إلا بنية، ولا نية[٩] إلا بموافقة السنة، وأنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب وإن كان كبيراً، ولا يحبط الإيمان غير الشرك بالله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الإنفطار: ١٠ ـ ١٢]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [قٓ: ١٨].

وأن مَلَك الموت يقبض الأرواح كلها بإذن الله تعالى متى شاء، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ٣٢] وأن الخلق ميتون بآجالهم، فأرواح أهل السعادة باقية منعَّمة[١٠] إلى يوم القيامة[١١]، وأرواح أهل

---

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «لا تفنيان ولا تبيدان».
(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «به قلبه».
(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «فأسلمه ويسره لذلك فحجبه».
(٤) كذا في الأصل ولعل الصواب: «لا محيص» (منه) وهي كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية».
(٥) بعدها في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وإخلاص بالقلب».
(٦) بعدها في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ذلك».
(٧) بعدها في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «لا محبط للإيمان».
(٨) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ولا قول ولا عمل» بالعكس.
(٩) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ولا قول ولا عمل ولا نية».
(١٠) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ناعمة منعمة».
(١١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «إلى يوم يبعثون».

الشقاء في سِجِّين معذبة إلى يوم القيامة[١]، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وأن عذاب القبر حق، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويضغطون ويسئلون[٢]، ويثبِّتُ الله منطق من أحب تثبيتَه، وأنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض[٣]، والألسنة والأيدي والأرجل التي تشهد عليهم يوم القيامة على مَن تشهد عليه منهم، وينصب[٤] الموازين لوزن أعمال العباد، فأفلح من ثقلت موازينه، وخاب وخسر من خفت موازينه، ويؤتون صحائفهم، فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب[٥] حساباً يسيراً، ومن أوتي كتابه[٦] بشماله فأولئك يصلون سعيراً، وأن الصراط جسر مورود، يجوزه العباد بقدر أعمالهم، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم، وقوم أوْبَقَتهم أعمالهم فيها يتساقطون، وأنه يخرج من النار من في قلبه شيء من الإيمان، وأن الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين، ويخرج من النار بشفاعة رسول الله ﷺ قوم من أمته بعد أن صاروا فيها حمماً، يطرحون[٧] في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته لا يظمأ مَنْ شرب منه، ويذاد عنه من غَيَّر وبدَّل.

والإيمان بما جاء من خبر الإسراء بالنبي ﷺ إلى السماوات على ما صحت به الروايات، وأنه ﷺ رأى من آيات ربه الكبرى، وبما ثبت من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام حكماً عدلاً، يقتل الدجال[٨]، وبالآيات التي بين يدى الساعة من طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدابة، وغير ذلك مما صحت به الروايات، ونصدّق بما جاءت عن الله تعالى في كتابه،

---

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «يوم الدِّين».
(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ويسألون».
(٣) بعدها في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ كما بدأهم يعودون حفاةً عراة غرلاً وأن الأجساد التي أطاعت أو عصت هي التي تبعث يوم القيامة؛ لتجازى والجلود التي كانت في الدنيا»، والسياق يقتضيها.
(٤) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وتنصب».
(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «حوسب».
(٦) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «أوتيه».
(٧) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «فيطرحون».
(٨) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وقتله للدجال».

وثبت[١] عن رسول الله ﷺ من أخباره[٢]، ونوجب العمل بمحكمه[٣] ونؤمن ونقر بمشكله[٤] ومتشابهه، ونَكِلُ ما غاب[٥] من حقيقة تفسيره إلى الله تعالى، والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه، والراسخون في العلم يقولون: آمنا به، [وكل ما غاب عنا من حقيقة تفسيره][٦] ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. وقال بعض الناس: الراسخون في العلم يعلمون مشكله ولكن الأول قول أهل المدينة، وعليه يدل الكتاب، وأن أفضل القرون قرن الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، كما قال النبي ﷺ[٧]، وأن أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم

---

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وما ثبت».

(٢) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وفي الأصل: «وأخباره»!

(٣) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وفي الأصل: «بحكمه»!

(٤) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «بنص مشكله».

(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ما غاب عنا».

(٦) غير موجود في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية».

(٧) قد ثبت هذا الحديث عن جمع من الصحابة منهم أبو سعيد وابن مسعود وأبو هريرة وعائشة وعمران بن حصين، فحديث أبي سعيد: رواه البخاري في «صحيحه» (٢٨٩٧) في «الجهاد»، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، و(٣٥٩٤) في «المناقب» في «علامات النبوة»، و(٣٦٤٩) في «الفضائل»، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومسلم (٢٥٣٢) في «فضائل الصحابة»، باب فضل الصحابة.

وحديث ابن مسعود: رواه البخاري (٢٦٥٢) في «الشهادات»، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، و(٣٦٥١) في «فضائل الصحابة»، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، و(٦٤٢٩) في «الرقاق»، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس عليها، و(٦٦٥٨) في «الأيمان والنذور»، باب إذا قال: أشهد بالله أو شهدت بالله، ومسلم (٢٥٣٣) في «الفضائل»، باب فضل الصحابة.

وقد ورد في «الصحيحين» بذكر: «ثم الذين يلونهم» مرتين، ولكنه عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢/ ١٧٥) ـ ومن طريقه ابن حبان ـ (٧٢٢٧) ـ، ذكرها ثلاث مرات، وفي بعض طرق مسلم: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال: . . .

وأما حديث أبي هريرة: فرواه مسلم (٢٥٣٤) في «الفضائل»، باب فضائل الصحابة بلفظ: «خير أمتي قرني الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، والله أعلم أذكر الثالث أم لا».

وأما حديث عمران بن حصين: فرواه البخاري (٢٦٥١) في «الشهادات»، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، و(٣٦٥٠) في «فضائل الصحابة»، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ و(٦٤٢٨) في «الرقاق»، باب ما يحذر من زهرة الدنيا، و(٦٦٩٥) في «الأيمان والنذور»، باب فضل الصحابة. وفيه: «فلا أدري! أقال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثة؟!». =

عمر[١] ثم علي، وقيل: ثم عثمان وعلي، ويكف[٢] عن التفضيل بينهما، روي ذلك عن مالك، وقال: ما أدركت أحداً أقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه، فرأى الكف عنهما، ورُوي عنه القول الأول[٣] ـ وهو قول أهل

= أقول: وهو في «مصنف ابن أبي شيبة» (١٢/١٧٦)، ومن طريقه ابن حبان (٧٢٢٩)، ذكر: «ثم الذين يلونهم» ثلاث مرات، ورواه الطبراني في «الكبير» (١٨/رقم ٥٨٥)، من طريق ابن أبي شيبة، فذكر: «ثم الذين يلونهم» مرتين.

وأما حديث عائشة: رواه مسلم (٢٥٣٦)، ولفظه: **«القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث»**.

(١) بعدها في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ثم عثمان».

(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ونكف».

(٣) بعدها في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وعن سفيان وغيره».

وأما **القول الأول فهو تقديم عثمان على علي**، فإن الثوري قد رجع علياً على عثمان، ثم رجع عن ذلك ولعل تراجعه هو ما نقله ابن أبي زيد القيرواني عنه كما في ـ الأصل ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤/٤٢٦):

«فإن سفيان الثوري، وطائفة من أهل الكوفة: رجحوا علياً على عثمان، ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره. وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي، وهي إحدى الروايتين عن مالك؛ لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على عليٍّ، كما هو مذهب سائر الأئمة: كالشافعي، وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد بن حنبل، وأصحابه؛ وغير هؤلاء من أئمة الإسلام.

حتى إن هؤلاء تنازعوا فيمن يقدم علياً على عثمان، هل يعدّ من أهل البدعة؟ على قولين: هما روايتان عن أحمد. وقد قال أيوب السختياني، وأحمد بن حنبل والدارقطني: من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. وأيوب هذا إمام أهل السنة، وإمام أهل البصرة، روى عنه مالك في «الموطأ»؛ وكان لا يروي عن أهل العراق. وروى أنه سئل عن الرواية عنه: فقال: ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه. وذكره أبو حنيفة فقال: لقد رأيته قعد مقعداً في مسجد رسول الله ﷺ ما ذكرته إلا اقشعر جسمي.

والحجة لهذا ما أخرجاه في «الصحيحين» وغيرهما عن ابن عمر أنه قال: «كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ. كنا نقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان». وفي بعض الطرق: «يبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره»».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٣/١٥٣): «**استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان**، وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة عثمان وعلي ـ ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي «مسألة الخلافة»».

وقال العلامة محمد بن أحمد السفاريني في «لوائح الأنوار السَّنية» (٢/١٥) بعد أن ذكر =

الحديث[1] ـ ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر من المهاجرين ومن[2] الأنصار، ومن جميع الصحابة على قدر الهجرة والسابقة والفضيلة، وكل من صحبه ولو ساعة أو رآه ولو مرة، فهو بذلك أفضل من التابعين، والكفُّ عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ إلا بخير ما يُذكرون به، وأنهم أحق أن ننشر[3] محاسنهم، ونلتمس لهم أفضل مخارجهم[4]، ونظن بهم أحسن المذاهب. قال النبي ﷺ: **«لا تؤذوني في أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً، ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه»**[5] وقال ﷺ: **«إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»**[6]. قال أهل العلم: لا يذكرون إلا بأحسن ذكر، والسمع والطاعة لأئمة المسلمين. وكل من ولي أمر

= اتفاق علماء الأمة على تفضيل أبي بكر ثم عمر، قال: «ثم اختلفوا، فالأكثرون ومنهم الإمام: أحمد، والإمام الشافعي، وهو المشهور عن الإمام مالك رحمه الله أن الأفضل بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وجزم الكوفيون ـ ومنهم سفيان الثوري ـ بتفضيل عليّ على عثمان، وقيل بالوقف عن التفضيل بينهما، وهو رواية عن مالك، فقد حكى أبو عبد الله المازري عن «المدونة» أن مالكاً سئل: أي الناس أفضل بعد نبيهم؟ فقال: أبو بكر ثم عمر. ثم قال: أو في ذلك شك؟ فقيل له: وعلي وعثمان؟ فقال: ما أدركت أحداً ممن اقتدى به يفضل أحدهما على الآخر... نعم حكى القاضي عياض عن الإمام مالك أنه رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان. قال القرطبي: وهو الأصح إن شاء الله تعالى. وقد نقل التوقف ابن عبد البر عن جماعة من السلف منهم الإمام مالك ويحيى القطان وابن معين».

(١) قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٧٤): «وسائر أئمة السنة على تقديم عثمان، وهو مذهب جماهير أهل الحديث، **وعليه يدل النصّ والإجماع والاعتبار**. وأما ما يحكى عن بعض المتقدمين من تقديم جعفر أو تقديم طلحة أو نحو ذلك، فذلك في أمور مخصوصة لا تقديماً عاماً، وكذلك ما ينقل عن بعضهم في عليّ». وانظر التفصيل في: «معالم السنن» (٧/ ١٨ ـ مع «المختصر»)، و«السنة» للخلال (٤٠٤)، و«الاعتقاد» للبيهقي (٣٦٩)، و«السنة» للالكائي (٧/ ١٣٦٧)، و«مباحث المفاضلة في العقيدة» (ص٢٥٢ ـ ٢٦٤).

(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ثم من».

(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «أن تنشر».

(٤) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ويلتمس لهم أفضل المخارج».

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: **«لا تسبوا أصحابي...»**.

(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٠٨) وغيرهما من حديث ابن مسعود **وصححه** شيخنا الألباني. انظر: «الصحيحة» (٣٤).

المسلمين عن رضى أو غلبة واشتدت وطأته من بر أو فاجر، فلا يخرج عليه، جار أو عدل، ونغزو معه العدو، ونحج معه البيت، ودفع الصدقات إليهم مجزية إذا طلبوها، ونصلي خلفهم الجمعة والعيدين؛ قاله[١] غير واحد من العلماء[٢].

وقال مالك: لا نصلي خلف المبتدع منهم إلا أن نخافه، فنصلي، واختلف في الإعادة[٣]. ولا بأس بقتال من دافعك من الخوارج واللصوص من المسلمين وأهل الذمة عن نفسك ومالك، والتسليم لنصوص الكتاب والسنة[٤] لا تعارض برأي ولا تدافع بقياس، وما تأوله منها السلف الصالح تأوّلناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوا[٥] تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا[٦]، ونتبعهم فيما بيّنوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج من جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله، وكل ما ذكر[٧] فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث، على ما بيّناه، وكلُّه قول مالك، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه.

قال مالك: قال عمر بن عبد العزيز: سَنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله تعالى، واستكمال لطاعته، وقوة على دين الله تعالى، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر فيما خالفها، من اهتدى بها هُدِيَ، ومن استنصر بها نُصِر، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً. قال مالك: أعجبني عزم عمر رضي الله عنه في ذلك[٨].

---

(١) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش لإسلامية»، وفي الأصل: «قال»!

(٢) نحوه في «أصول السنة» للإمام أحمد (ص٦٠ ـ ٧٣، ط. ابن تيمية).

(٣) انظر: «الإشراف» (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣ ـ بتحقيقي)، و«النوادر والزيادات» (١/ ٢٨٨ ـ ٢٩٠)، و«البيان والتحصيل» (١/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤).

(٤) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «والتسليم للسنن».

(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «تركوه».

(٦) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «عن ما أمسكوا عنه».

(٧) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وكل ما قدمنا ذكره».

(٨) أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٤٨، ٦٥، ٣٠٦، ط. الفقي أو رقم ٩٢، ١٣٩، ٦٩٨، ط. الدميجي)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٨٦) ـ ومن طريقه اللالكائي في «السنة» (١/ ٩٤) رقم (١٣٤) ـ، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٧٣)، =

وقال في «مختصر المدونة»[١]: «وأنه تعالى فوق عرشه بذاته فوق سبع سماواته، دون أرضه» رَحِمَهُ اللهُ ما كانه أصلبه في السنة وأقومه بها!

قول الإمام أبي بكر محمد بن موهب:[٢] المالكي شارح «رسالة ابن أبي زيد» من المشهورين بالفقة والسُنّة، قال في «شرحه للرسالة»: «ومعنى (فوق) و(علا) واحد، عند[٣] جميع العرب، وفي كتاب الله تعالى وسنة رسوله الله ﷺ تصديق[٤] ذلك، [وهو] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقال تعالى في وصف خوف الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ۝٥٠﴾ [النحل: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] ونحو ذلك كثير. وقال رسول الله ﷺ للأعجمية: «**أين الله؟**» فأشارت إلى السماء[٥]، ووصف النبي ﷺ أنه عرج به من الأرض إلى السماء، ثم من سماء إلى سماء إلى سدرة المنتهى، ثم إلى ما فوقها، حتى لقد قال: «**سمعت صريف**

= وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) رقم (٢٣٠، ٢٣١)، وابن عبد الحكم في «سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص٤٠)، وابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ١١٧٦) رقم (٢٣٢٦)، والمروزي في «السنة» (٣١)، والهروي في «ذم الكلام» (ص١٠٧، ١٩٩)، وابن الجوزي في «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز» (٨٤)، وهو **صحيح** عنه.
قال الشاطبي في «الموافقات» (٤/ ٤٦١ ـ بتحقيقي) عقبه: «وكان مالك يعجبه كلامه جداً».
وقال القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (١/ ١٧٢، ط. بيروت): «قال مُطَرِّف: سمعتُ مالكاً إذا ذكر عنده فلان من أهل الزيغ والأهواء، يقول: قال عمر بن عبد العزيز... و(ذكره)» قال: «وكان مالك إذا حدَّث بها ارتجَّ سروراً»، وشرحه الشاطبي في «الاعتصام» (١/ ١٤٤ ـ ١٤٧ ـ بتحقيقي) شرحاً وافياً وعلَّق عليه بكلام متين، وانظر: «إعلام الموقعين» (٦/ ٢٨ ـ بتحقيقي).

(١) غير موجود في مطبوع «التهذيب في اختصار المدونة» للبراذعي القيرواني الصادر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية ـ دبي، بتحقيق: محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، ولتنظر أصول الكتاب الخطية!! فإن ذلك من المهمات.
(٢) في الأصل: «وهب»! والتصويب من كتب التراجم، مثل «ترتيب المدارك» (٣/ ٦٧٤).
(٣) في الأصل: «بيّنت»! والمثبت من مصادر التوثيق.
(٤) في الأصل: «في كتاب الله... وتصديق» فنقلنا الواو قبل «في» ليستقيم المعنى، وهو كذلك في مصادر التوثيق، وما بين المعقوفتين الآتي منها، وسقط من الأصل.
(٥) سبق تخريجه.

الأقلام». ولما فرضت الصلاة، جعل كلما هبط من مكانه تلقاه موسى عليه السلام في بعض السموات، وأمره بسؤال التخفيف عن أمته، فرجع صاعداً مرتفعاً إلى الله تعالى يسأله حتى انتهت إلى خمس صلوات»[١] وسنذكر تمام كلامه قريباً إن شاء الله تعالى. اهـ.

قول الإمام أبي القاسم عبد الله بن خلف المقرئ الأندلسي: قال في (الجزء الأول) من كتاب «الاهتداء لأهل الحق والاقتداء» من تصنيفه من «شرح الملخص» للشيخ أبي الحسن القابسي بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له**»[٢]:

«في الحديث دليل على أنه تعالى في السماء على العرش، فوق سبع سموات[٣] كما قال أهل العلم، ودليل قولهم أيضاً من القرآن: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤] وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٢ ـ ٤]، والعروج هو الصعود.

وقال مالك بن أنس: «الله ﷻ[٤] في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان» يريد ـ والله أعلم ـ بقوله: «في السماء»: على السماء، كما قال تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وكما قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] أي: مَنْ على السماء، يعني: على العرش، وكما قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: على الأرض، وقيل لمالك: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ

---

(١) سبق تخريجه، وما مضى في «مختصر الصواعق المرسلة» (١/١٠٥ ـ ١٠٦)، و«العلو» (٢/١٣٦٥ ـ ١٣٦٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) بعدها في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «من غير مماسة ولا تكييف».

(٤) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «إن الله ﷻ».

ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ قال مالك لقائله: استواؤه معقول، وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجل سوء»[١].

قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: ٥] أي: علا. قال: «وتقول العرب: استويت فوق الدابة وفوق البيت»[٢].

وكل ما قدمتُ دليلٌ واضح في إبطال قول من قال بالمجاز في الاستواء، وأن استوى بمعنى استولى؛ لأن الاستيلاء في اللغة المغالبة، وأنه لا يغالبه أحد، ومن حق الكلام أنه يحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا ﷻ إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله تعالى على الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع ذلك ما يوجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدعٍ ما ثبت شيء من العبادات، وجل الله تعالى أن يخاطب إلا بما تفهمه العربُ من معهود مخاطباتها، مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة، وهو: العلو والارتفاع والتمكن»[٣].

ومن الحجة أيضاً في أن الله ﷻ على العرش فوق السمٰوات السبع: إن الموجودين[٤] أجمعين إذا كربهم أمر رفعوا وجوههم إلى السماء، يستغيثون الله ربهم. وقوله ﷺ للأمة التي أراد مولاها أن يعتقها: «**أين الله**»؟ فأشارت إلى السماء، ثم قال لها: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، قال: «**اعتقها؛ فإنها مؤمنة**»[٥]. فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفع رأسها إلى السماء، ودل[٦] على ما قدمناه أنه على العرش[٧]، والعرش فوق السمٰوات السبع. ودليل قولنا أيضاً: قول أمية ابن أبي الصَّلت في وصف الملائكة ما نصه:

وساجدُهم لا يرفع الدّهرَ رأسَه ... يعظم رباً فوقه ويُمجِّدُ
فسبحانَ مَنْ لا يَقْدر الخلقُ قدره ... ومَنْ هو فوق العرش فردٌ موحّدُ

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٥)، و«التمهيد» (٧/ ١٣١).
(٣) بعدها في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «في الشيء»، ومضى نحوه عن ابن عبد البر.
(٤) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «الموحدين» والمثبت له وجه.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «فدلّ».
(٧) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «من أنه على العرش».

مليك على عرش السماء مهيمن   لعزّته تعنو الوجوهُ وتسجدُ(١)

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦]. فدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول: إلهي في السماء، وفرعون يظنه كاذباً، فإنْ احتجَّ أحد علينا فيما قدمناه، وقال: لو كان كذلك لأشبه المخلوقات، لأنه(٢) ما أحاطت به الأمكنة واحتوته فهو مخلوق؛ فشيء لا يلزم، ولا معنى له؛ لأنه تعالى ليس كمثله شيء من خلقه، ولا يُقاس بشيء من بريته، ولا يدرك بقياس، ولا يقاس بالناس، كان قبل الأمكنة، وكذلك يكون(٣) بعدها، لا إله إلا هو، خالق كل شيء لا شريك له.

وقد اتفق المسلمون وكل ذي لب أنه لا يعقل كائن إلا في مكان، وما ليس في مكان فهو عدم، وقد صح في العقول وثبت بالدلائل أنه كان في الأزل لا في مكان، وليس بعدم(٤)، فكيف يقاس على شيء من خلقه أو يجري بينهم وبينه(٥) تمثيل أو تشبيه؟! تعالى(٦) عما يقول الظالمون علواً كبيراً»(٧).

قول الإمام أبي عبد الله محمد بن أنيس المالكي المشهور بابن أبي زمنين:

قال في كتابه الذي صنفه في «أصول السنة»: (باب الإيمان بالعرش): ومن قول أهل السنة: «إن الله ﷻ خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلَق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥](٨)، وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤]». وذكر حديث

(١) سبق ذكرها، وتخريجها.
(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «لأن».
(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ويكون».
(٤) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «بمعدوم».
(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «بينه وبينهم».
(٦) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «تعالى الله».
(٧) انظر: «التمهيد» (٧/ ١٣٤ ـ ١٣٦).
(٨) في مطبوع «أصول السنة»: «﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾».

أبي رَزِين العقيلي وقد تقدم[١]. ثم ذكر الآثار في ذلك إلى أن قال: (باب الإيمان بالحُجب). قال: «ومن أقوال أهل السنة: إن الله تعالى بائن من خلقه، محتجب عنهم بالحجب، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾» إلى أن قال: (باب الإيمان بالنزول)، قال: «ومن قول أهل السنة: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا» وذكر حديث النزول[٢]، ثم قال: «وهذا الحديث يُبيِّن أن الله تعالى على عرشه في السماء دون الأرض، وهو أيضاً بيِّن في كتاب الله تعالى وتقدس، وفي غير ما حديث عن رسول الله ﷺ قال الله ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وساق الآيات في العلو، وذكر من طريق مالك قول النبي ﷺ: «**أين الله؟**» ثم قال: «**والحديث في مثل هذا كثير**»[٣]. اهـ.

قول القاضي عبد الوهاب: إمام المالكية بالعراق، من كبار أهل السنة، صرح بأن الله ﷻ استوى على عرشه بذاته[٤] نقله شيخ الإسلام عنه، في غير موضع من كتبه[٥]، ونقله عنه القرطبي في «شرح الأسماء والصفات»[٦]. اهـ.

ذكر قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي: قال الإمام ابن الإمام عبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرازي بسنده إلى أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي قال: «القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وإن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء»[٧].

---

(١) (ص١٠٢)، ومضى تخريجه هناك. (٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: «أصول السنة» (ص٨٨، ١٠٦، ١١٠، ١١٣، ١١٤) بتصرف يسير.

(٤) قال القاضي عبد الوهاب في «شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني» (ص١٧٨): «واعلم أن الوصف له تعالى بالاستواء اتباع للنص وتسليم للشرع وتصديق لما وصف نفسه تعالى به»، وانظر ما قدمناه في التعليق على (ص١٥٣) بخصوص لفظة (بذاته).

(٥) انظر ـ مثلاً ـ: «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

(٦) المسمى: «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (٢/ ١٢٣).

(٧) لم أجده في «آداب الشافعي ومناقبه» وإنما ذكره ابن قدامة من طريقه عنه في «إثبات صفة العلو» (١٠٨)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١٠٥٥)، و«الأربعين» رقم (١٥، ٥٧) وقال عنها: إن **إسنادها واهٍ**، والخبر في «اعتقاد الإمام الشافعي» رقم (٤) للهكاري، =

قال عبد الرحمٰن: «ثنا يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي يقول ـ وقد سئل عن صفات الله وما يؤمن به ـ»، فقال: «لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيُّه أمته، لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة ردَّها؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد، إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ونثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»[1] [الشورى: ١١]. وصح عن الشافعي أنه قال: «خلافة أبي بكر الصديق حق قضاها الله في سمائه، وجمع عليها، قلوب عباده ومعلوم أن المقضي في الأرض والقضاء فعله ﷻ المتضمن لمشيئته وقدرته»[2].

وقال في خطبة «رسالته»: «الحمد لله الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه»[3]، فجعل صفاته سبحانه إنما تتلقى بالسمع.

وقال يونس بن عبد الأعلى: قال محمد بن إدريس الشافعي: «الأصل قرآن وسنة، فإن لم يكن فقياس عليهما، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ وصح الإسناد منه فهو سنة، والإجماع أكبر من الخبر الفرد، والحديث على ظاهره. وإذا احتمل المعاني فما أشبه منها ظاهره فهو أولاها به». قال الخطيب في «الكفاية» بسنده إلى يونس بن عبد الأعلى... فذكره[4].

قول صاحبه إمام الشافعية في وقته أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني في «رسالته في السنة» التي رواها أبو طاهر السِّلفي عنه بإسناده، ونحن نسوقها كلها بلفظها:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، عصمنا الله وإياكم بالتقوى، ووفقنا وإياكم لموافقة الهدى، أما بعد:

= و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٦٤).

(١) ذكره ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (١٠٩)، والذهبي في «السير» (١٠/ ٧٩ ـ ٨٠).

(٢) ذكره ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص١٢٤ ـ ١٢٥).

(٣) انظر: «الرسالة» (ص٨).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم في «آداب الشافعي» (ص٢٣١)، والخطيب في «الكفاية» (٢/ ٥٦٤)، والبيهقي في «مناقب الشافعي» (٢/ ٣٠).

فإنك(١) سألتني أن أوضح لك من السنة أمراً تقصر(٢) نفسك على التمسك به، وتدرأ به عنك شبه الأقاويل، وزيغ محدثات الضالين، فقد(٣) شرحت لك منها منهاجاً موضحاً(٤) لم آل نفسي وإياك فيه نُصحاً، بدأتُ فيه بحمد الله ذي الرشد والتسديد: الحمد لله أحق ما بدئ به(٥) وأولى من شُكر، وعليه أثني [وهو](٦) الواحد الصمد(٧) ليس له صاحبة ولا ولد، جَلَّ عن المثل، ولا(٨) شبيه له ولا عديل، السميع البصير العليم الخبير المنيع الرفيع، عال على عرشه(٩)، وهو دان بعلمه من خلقه، أحاط علمه بالأمور وأنفذ(١٠) في خلقه سابق المقدور، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فالخلق عاملون بسابق علمه، ونافذون لما خلقهم له من خير وشر، لا يملكون لأنفسهم نفعاً من الطاعات(١١)، ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعاً، خلق الخلق بمشيئته من(١٢) غير حاجة كانت به، فخلق الملائكة جميعاً لطاعته، وجبلهم على عبادته فمنهم، ملائكة بقدرته للعرش حاملون، وطائفة منهم حول عرشه يسبحون، وآخرون بحمده يقدسون.

واصطفى منهم رسلاً إلى رسله، وبعض مدبرون لأمره، ثم خلق آدم بيده وأسكنه جنته، وقبل ذلك للأرض خلقه ونهاه عن شجرة قد نفذ قضاؤه عليه بالأكل منها(١٣)، ثم ابتلاه بما نهاه عنه منها، ثم سلَّط عليه عدوه فأغواه عليها، وجعل أكله(١٤) إلى الأرض سبباً، فما وجد إلى ترك الأكل منها(١٥) سبيلاً، ولا عنه لها مذهباً، ثم خلق للجنة من ذريته أهلاً، فهم بأعمالها بمشيئته عاملون،

(١) بعدها في مطبوع «شرح السنة»: «أصلحك الله».
(٢) في مطبوع «شرح السنة»: «تصبر». (٣) في مطبوع «شرح السنة»: «وقد».
(٤) بعدها في مطبوع «شرح السنة»: «منيراً».
(٥) في مطبوع «شرح السنة»: «أحق من ذكر».
(٦) غير موجود في مطبوع «شرح السنة». (٧) بعدها في مطبوع «شرح السنة»: «الذي».
(٨) في مطبوع «شرح السنة»: «فلا».
(٩) بعدها في مطبوع «شرح السنة»: «في مجده بذاته».
(١٠) كذا في مطبوع «شرح السنة»، وفي الأصل: «ونفذ»!
(١١) في مطبوع «شرح السنة»: «من الطاعة نفعاً».
(١٢) في مطبوع «شرح السنة»: «عن». (١٣) في مطبوع «شرح السنة»: «بأكلها».
(١٤) في مطبوع «شرح السنة»: «أكله لها». (١٥) في مطبوع «شرح السنة»: «أكلها».

وبقدرته وبإرادته ينفذون، وخلق من ذريته للنار أهلاً، فخلق لهم أعيناً لا يبصرون بها، وآذاناً لا يسمعون بها، وقلوباً لا يفقهون بها، فهم بذلك عن الهدى محجوبون، [وهم][1] بأعمال أهل النار لسابق[2] قدره يعملون، والإيمان قول وعمل[3]، وهما شيئان[4] ونظامان وقرينان لا يُفرَّق[5] بينهما؛ لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان، والمؤمنون في إيمان متفاضلون[6]، وبصالح الأعمال هم متزايدون، ولا يخرجون من الإيمان بالذنوب[7]، ولا يكفرون بركوب كبيرة ولا عصيان، ولا يوجب لمحسنهم[8] غير[9] ما أوجب له النبي ﷺ، ولا يشهد[10] على مسيئهم بالنار.

والقرآن كلام الله ﷻ ومن الله[11]، وليس بمخلوق فيبيد، [وكلمات الله][12] وقدرة الله ونعته[13] وصفاته كاملات[14] غير مخلوقات، دائمات أزليات[15] ليست بمحدثات فتبيد، ولا كان ربنا ناقصاً فيزيد، جلّت صفاته عن شبه المخلوقين[16]، وقصرت عنه أنظار[17] الواصفين، قريب بالإجابة عند السؤال، بعيد بالبعد[18] لا ينال عالٍ على عرشه، بائن من خلقه، موجود ليس بمعدوم ولا مفقود[19]، والخلق ميتون بآجالهم عند نفاد أرزاقهم وانقطاع آثارهم، ثم هم بعد الضغط[20]

---

(١) غير موجود في الأصل. (٢) في مطبوع «شرح السنة»: «بسابق».

(٣) بعدها في مطبوع «شرح السنة»: «مع اعتقاده بالجنان، قول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان».

(٤) في مطبوع «شرح السنة»: «سيان». (٥) في مطبوع «شرح السنة»: «لا نفرق».

(٦) في مطبوع «شرح السنة»: «في الإيمان يتفاضلون».

(٧) في مطبوع «شرح السنة»: «بالذنوب من الإيمان».

(٨) في مطبوع «شرح السنة»: «ولا نوجب لمحسنهم الجنان».

(٩) في مطبوع «شرح السنة»: «بعد». (١٠) في مطبوع «شرح السنة»: «نشهد».

(١١) في مطبوع «شرح السنة»: «ومن لدنه».

(١٢) من مطبوع «شرح السنة»، وسقط من الأصل.

(١٣) كذا في مطبوع «شرح السنة»، وفي الأصل: «ونعمته»!

(١٤) كذا في مطبوع «شرح السنة»، وفي الأصل: «كلها»!

(١٥) كذا في مطبوع «شرح السنة»، وفي الأصل: «أزلية».

(١٦) في مطبوع «شرح السنة»: «صفات المخلوقين».

(١٧) في مطبوع «شرح السنة»: «ظن». (١٨) في مطبوع «شرح السنة»: «بالتعزّز».

(١٩) في مطبوع «شرح السنة»: «وليس بمعدوم ولا بمفقود».

(٢٠) في مطبوع «شرح السنة»: «الضغطة».

في القبور مسؤولون[١]، وبعد البلى منشورون، ويوم القيامة إلى ربهم محشورون، وعند[٢] العرض عليه محاسبون بحضرة الموازين، ونشر صحف الدواوين، أحصاه الله ونسوه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فالله[٣] يلي الحكم بينهم بعدله بمقدار القائلة[٤] في الدنيا، وهو أسرع الحاسبين، كما بدأه لهم من شقاوة[٥] وسعادة يومئذٍ يعودون، فريق في الجنة وفريق في السعير، وأهل الجنة يومئذٍ يتنعَّمون[٦]، وبصنوف اللذات يتلذذون، وبأفضل الكرامة[٧] يحبرون، فهم حينئذٍ إلى ربهم ينظرون، لا يمارون في النظر إليه ولا يشكون، فوجوههم بكرامته ناضرة، وأعينهم بفضله إليه ناظرة في نعيم مقيم ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾ [الحجر: ٤٨] ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]. وأهل الجحد عن ربهم يومئذ لمحجوبون[٨]، وفي النار لمسجرون[٩] ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ١٠]، ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] إلا[١٠] من شاء الله إخراجه من الموحدين منها[١١].

والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله ﷻ مرضيّاً، واجتناب ما كان[١٢] مسخطاً، وترك الخروج عند تعديهم وجورهم والتوبة إلى الله ﷻ كيما يعطف بهم على رعيّتهم، والإمساك عن تكفير أهل القبلة والبراءةِ منهم فيما أحدثوا ما لم يبتدعوا ضلالة[١٣]، فمن ابتدع منهم ضلالة[٤] كان على أهل القبلة خارجاً ومن الدّين مارقاً، ويتقرّب إلى الله بالبراءة منه ويهجر ويتجنب[١٤].

---

(١) في مطبوع «شرح السنة»: «مساءلون». (٢) في مطبوع «شرح السنة»: «ولدى».
(٣) في مطبوع «شرح السنة»: «لو كان غير الله ﷻ الحاكم بين خلقه لكنه الله».
(٤) أي من الصباح إلى نصف النهار (منه).
(٥) كذا في مطبوع «شرح السنة»، وفي الأصل: «كما بدالهم شقاوة».
(٦) في مطبوع «شرح السنة»: «في الجنة يتنعمون».
(٧) في مطبوع «شرح السنة»: «الكرامات». (٨) في مطبوع «شرح السنة»: «محجوبون».
(٩) في مطبوع «شرح السنة»: «يسجرون». (١٠) في مطبوع «شرح السنة»: «خلا».
(١١) في مطبوع «شرح السنة»: «من الموحدين إخراجهم منها».
(١٢) بعدها في مطبوع «شرح السنة»: «عند الله».
(١٣) في مطبوع «شرح السنة»: «ضلالاً».
(١٤) في مطبوع «شرح السنة»: «ويحتقر وتجتنب غدّته فهي أعدى من غدة الحرب».

ويقال[١] بفضل خليفة رسول الله ﷺ[٢] ثم عمر[٣]، فهما وزيرا رسول الله ﷺ وضجيعاه[٤]، ثم عثمان ثم علي[٥] رضي الله عنهم أجمعين، ثم الباقين من العشرة، الذين أوجب لهم رسول الله ﷺ الجنة، ويخلص لكل واحد[٦] منهم من المحبة بقدر الذي أوجبه له[٧] رسول الله ﷺ من[٨] التفضيل ثم[٩] لسائر أصحابه من بعدهم رضوان الله عنهم[١٠].

ويقال بفضلهم ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ويمسك[١١] عن الخوض فيما شجر بينهم، وهم[١٢] خيار أهل الأرض بعد نبيهم، اختارهم الله ﷻ[١٣] وجعلهم[١٤] أنصاراً لدينه، فهم أئمة الدين وأعلام المسلمين[١٥]، ولا تترك[١٦] حضور صلاة الجمعة وصلاة[١٧] مع بر هذه الأمة وفاجرها[١٨] ما كان من البدعة بريّاً[١٩]، والجهاد مع كل إمام عدل أو جائر، والحج وإقصار الصلاة في الأسفار والتخيير[٢٠] فيه بين

(١) كذا في مطبوع «شرح السنة»، وفي الأصل: «ويقال»!

(٢) بعدها في مطبوع «شرح السنة»: «أبي بكر الصديق رضي الله عنه فهو أفضل الخلق وأخيرهم بعد النبي ﷺ، ونثنّي بعده بالفاروق».

(٣) في مطبوع «شرح السنة»: «وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه».

(٤) بعدها في مطبوع «شرح السنة»: «في قبره وجليساه في الجنة».

(٥) في مطبوع «شرح السنة»: «ونثلث بذي النورين عثمان بن عفان، ثم بذي الفضل والتقى علي بن أبي طالب».

(٦) في مطبوع «شرح السنة»: «ونخلص لكل رجل».

(٧) في مطبوع «شرح السنة»: «أوجب لهم».

(٨) في الأصل: «من يوم»! والمثبت من «شرح السنة».

(٩) سقط من الأصل، وأثبتُّه من مطبوع «شرح السنة».

(١٠) كذا في مطبوع «شرح السنة»، وفي الأصل: «من بعده»!.

(١١) في مطبوع «شرح السنة»: «ونمسك».

(١٢) في مطبوع «شرح السنة»: «فهم».

(١٣) في مطبوع «شرح السنة»: «ارتضاهم الله ﷻ لنبيه».

(١٤) في مطبوع «شرح السنة»: «وخلقهم».

(١٥) بعدها في مطبوع «شرح السنة»: «فرحمة الله عليهم أجمعين».

(١٦) في مطبوع «شرح السنة»: «ولا يترك».

(١٧) في مطبوع «شرح السنة»: «وصلاتها».

(١٨) بعدها في مطبوع «شرح السنة»: «لازم».

(١٩) بعدها في مطبوع «شرح السنة»: «فإن ابتدع ضلالاً فلا صلاة خلفه».

(٢٠) في مطبوع «شرح السنة»: «والاختيار».

الصيام والإفطار[١] هذه مقالات[٢] اجتمع عليه الماضون الأوّلون من أئمة الهدى، وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوة ورضاً، وجانبوا التكلف فيما كفوا، فسُدِّدوا بعون الله ووفِّقوا، لم يرغبوا عن الاتباع فيقصروا ولم يجاوزوا[٣] فيعتدوا، فنحن بالله واثقون، وعليه متوكّلون، وإليه في اتباع آثارهم راغبون»[٤]. اهـ المقصود منه بلفظه.

قول إمام الشافعية في وقته أبي العباس بن سريج: قال رحمه الله تعالى: «حرام على العقول أن تمثل الله ﷻ، وعلى الأوهام أن تحدّه، وعلى الظنون أن تقع[٥] عليه، وعلى الضمائر أن تتعمق، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الأفكار أن تحيط، وعلى الألباب أن تصف إلا ما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وقد صح وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانات والسنة والجماعة من السلف الماضين، والصحابة والتابعين من الأئمة المهديين[٦] الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا، أن جميع الآي الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ في الله وفي صفاته التي صححها أهل النقل، وقَبِلَها النُّقاد الأثبات؛ يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق[٧] الإيمان بكل واحد منها كما ورد، وتسليم أمره إلى الله ﷻ كما أمر، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥] وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] ونظائرها مما نطق به القرآن، كالفوقية، والنفس، واليدين، والسمع، والبصر، والكلام، والعين، والنظر، والإرادة، والغضب، والمحبة، والكراهة، والعناية، والقرب، والبعد، والسخط، والاستحياء، والدنو كقاب قوسين أو أدنى، وصعود الكلام الطيب إليه، وعروج

(١) بعدها في مطبوع «شرح السنة»: «في الأسفار إن شاء صام وإن شاء أفطر».
(٢) بعدها في مطبوع «شرح السنة»: «وأفعال».
(٣) في مطبوع «شرح السنة»: «ولم يجاوزوه تزيدا».
(٤) انظر: «شرح السنة» للمزني (ص٧٤ ـ ٨٩).
(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «أن تقطع».
(٦) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «المهتدين».
(٧) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «الموقن».

الملائكة والروح إليه، ونزول القرآن منه، ونداءه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقوله للملائكة، وقبضه، وبسطه، وعلمه، ووحدانيته، وقدرته، ومشيئته، وصمدانيته[١]، وفردانيته، وأوليته، وآخريته، وظاهريته، وباطنيته، وحياته، وبقائه، وأزليته، وأبديته، ونوره وتجلّيه، والوجه، وخلق آدم عليه السلام بيده، ونحو قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [الزخرف: ٨٤] وسماعه من غيره وغيره منه[٢]، وغير ذلك من صفاته المتعلقة به المذكورة في الكتاب المنزل[٣] على نبيه ﷺ، وجميع ما لفظ به المصطفى ﷺ من صفاته، كغرسه جنته[٤] الفردوس بيده، وشجرة طوبى بيده، وخط التوراة بيده، والضحك، والتعجب، ووضعه القدم[٥] على النار، فتقول: قط قط، وذكر الأصابع، والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا، وليلة الجمعة، وليلة النصف من شعبان، وليلة القدر، وكغَيْرته وفرحه بتوبة العبد، واحتجابه بالنور، وبرداء الكبرياء، وأنه ليس بأعور، وأنه يعرض عما يكره ولا ينظر إليه، وأن كلتا يديه يمين، واختيار آدم قبضة[٦] اليمنى، وحديث القبضة، وله كل يوم كذا وكذا نظرة في اللوح المحفوظ، وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثيات من جهنم، فيدخلهم الجنة، ولما خلق آدم عليه الصلاة والسلام مسح ظهره بيمينه فقبض قبضة، فقال: **«هؤلاء للجنة؟ ولا أبالي أصحاب اليمين، وقبض قبضة أخرى وقال: هذهِ للنار ولا أبالي أصحاب الشمال»**[٧]. ثم ردهم في صلب آدم وحديث القبضة التي يخرج بها من النار قوماً لم يعملوا خيراً قط، عادوا حمماً، فيلقون في نهر من الجنة يقال له: نهر الحياة[٨] وحديث: **«خلق آدم على صورته»**[٩] وقوله: **«لا تقبِّحوا الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورة**

---

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وصمديته».

(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وسماع غيره منه».

(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «كتابه المنزلة».

(٤) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «جنة».

(٥) في الأصل: «تقوم» والمثبت من مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية».

(٦) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «قبضته».

(٧) سبق تخريجه.

(٨) أخرجه مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٩) أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٦١٢، ٢٨٤١) من حديث أبي هريرة.

الرحمٰن»[١] وإثبات الكلام بالحرف والصوت وباللغات وبالكلمات وبالسور، وكلامه تعالى لجبريل، والملائكة، ولملك الأرحام، وللرحم، ولملك الموت، ولرضوان، ولمالك، ولآدم، ولموسى، ولمحمد ﷺ [وللشهداء][٢]، وللمؤمنين[٣] عند الحساب، وفي الجنة، ونزول القرآن إلى سماء الدنيا، وكون القرآن في المصاحف، وما أذن الله لشيء كإذنه لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآن، وقوله: « **الله أشد أُذناً لقارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته**»[٤]. وأن الله سبحانه يحب العطاس، ويكره التثاؤب، وفرغ الله من الرزق والأجل، وحديث ذبح الموت ومباهات الله تعالى، وصعود الأقوال والأرواح إليه، وحديث معراج الرسول ﷺ ببدنه، ونفسه[٢]، ونظره إلى الجنة والنار وبلوغه العرش[٥] إلى أن لم يكن بينه وبين الله تعالى إلا حجاب العزة، وعَرْض الأنبياء[٦] عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، وعرض أعمال الأمة عليه.

وغير هذا مما صح عنه ﷺ من الأخبار المتشابهة، الواردة في صفات الله سبحانه ما بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عنه، اعتقادنا فيه وفي الآي[٧] المتشابهة في القرآن أن نقبلها ولا نردها ولا نتأولها بتأويل المخالفين ولا نحملها على تشبيه المشبِّهين، ولا نزيد عليها، ولا ننقص منها ولا نفسرها ولا نكيفها ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية!! ولا نشير إليها بخواطر القلوب ولا بحركات الجوارح، بل نطلق ما أطلقه الله ﷻ، ونفسر ما فسره النبي ﷺ وأصحابه

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٨٥)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٣٠)، والدارقطني في «الصفات» (٤٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٦٤)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ١١٥٢) من حديث ابن عمر **وضعفه** شيخنا الألباني بلفظه: «صورة الرحمن» وصوابه «على صورته»، وانظر: «الضعيفة» (١١٧٦).

(٢) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وفي الأصل: «وبيان نفسه»!

(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وللمؤمن».

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٣٤٠)، وأحمد (٦/ ١٩ ـ ٢٠)، وابن حبان (٦٥٩)، والحاكم (١/ ٥٧١) من حديث فضالة بن عبيد، **وإسناده ضعيف**، فيه ميسرة مولى فضالة، لم يوثقه غير ابن حبان، وانظر: «الضعيفة» (٢٩٥١).

(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «إلى العرش».

(٦) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «عرض الأنبياء عليه».

(٧) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «الآيات».

والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة، ونجمع على ما أجمعوا عليه، ونمسك عن ما أمسكوا عنه، ونسلم الخبر الظاهر، والآية الظاهرة[١] تنزيلها، لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة[٢]، بل نقبلها بلا تأويل، ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب، والقول بها سنة، وابتغاء تأويلها بدعة»[٣]اهـ.

قول الإمام حجة الإسلام: أبي أحمد بن الحسين الشافعي: المعروف بابن الحداد في «عقيدته»:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنه سبحانه مستوٍ على عرشه، وفوق جميع خلقه، كما أخبر في كتابه وعلى ألسنة رسله، من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تأويل، وكذلك كل ما جاء من الصفات، نمرُّه كما جاء من غير مزيد عليه، ونقتدي في ذلك بعلماء السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين».

قول الإمام إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي صاحب كتاب «الترغيب والترهيب» وكتاب «الحجة في المحجة ومذهب أهل السنة» وكان إماماً للشافعية في وقته رحمه الله تعالى.

وجمع له أبو موسى المديني مناقب لجلالته.

قال في كتاب «الحجة»: «(باب في بيان استواء الله ﷻ على عرشه): قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقال في آية أخرى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[٤] [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] قال أهل السنة: فوق السمٰوات لا يعلوه خَلْق من خلقه، ومن الدليل على ذلك أن الخلق يشيرون إلى السماء بأصابعهم، ويدعونه ويرفعون إليه رؤسهم وأبصارهم، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦١] وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «الظاهر».

(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «الكيفية».

(٣) بنحوه في: «العلو» (٢/ ١٢٣١)، و«مختصر العلو» (ص٢٢٦ ـ ٢٢٧)، و«السير» (١٤/ ٣٩٦).

(٤) في الأصل: الحكيم!

نَذِيرِ ﴿١٧﴾ [الملك: ١٦، ١٧] والدليل على ذلك من النصوص التي فيها نزول الرحمن»[١].

فصل[٢]

في بيان أن العرش فوق السموات، وأن الله ﷻ فوق العرش.

ثم ذكر حديث أبي هريرة الذي في البخاري: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: أن رحمتي غلبت غضبي**»[٣]. وبسط الاستدلال على ذلك بالسنة ثم قال: «قال علماء السنة: إن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه، وقالت المعتزلة: هو بذاته في كل مكان، وقالت الأشعرية: الاستواء عائد إلى العرش، قال: ولو كان كما قالوا؛ لكانت القراءة برفع العرش، فلما كانت بخفض العرش دل على أنه عائد إلى الله ﷻ، قال: وقال بعضهم: استوى بمعنى استولى، قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق[٤]

والاستيلاء لا يوصف به إلا من قدر على الشيء بعد العجز عنه، والله تعالى لم يزل قادراً على الأشياء، ومستولياً عليها، ألا ترى أنه لا يوصف بشر بالاستيلاء على العراق، إلا وهو عاجز عنه قبل ذلك، ثم حكى أبو القاسم عن ذي النون المصري أنه قيل له: ما أراد الله سبحانه بخلق العرش؟ قال: أراد أن لا يتيه قلوب العارفين[٥]، قال: وروي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] قال: «هو على عرشه، وعلمه في كل مكان»[٦]، ثم ساق الاحتجاج بالآثار إلى أن قال: «وزعم هؤلاء أن معنى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥] أي: ملكه، وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأمكنة، وهذا إلغاء[٧] لتخصيص العرش وتشريفه.

---

(١) في مطبوع «الحجة في بيان المحجة»: «إنزال الوحي».
(٢) هو في «الحجة»، وهو تابع لما قبله.
(٣) سبق تخريجه. (٤) سبق ذكره.
(٥) عدّه ابن تيمية من المثبتن للعقيدة السلفية، انظر: «الاستقامة» (١/ ١٨٨)، وأسند أبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٩٨)، وأبو نعيم عنه ما يدلل على ذلك.
(٦) سبق تخريجه.
(٧) في مطبوع «الحجة في بيان المحجة»: «إلقاء»!

وقال أهل السنة: خلق الله تعالى السمٰوات، وكان عرشه مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض، ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض ما ورد به النص، وليس معناه: المماسة به، هو مستوٍ على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه».

قال: «وزعم هؤلاء أنه لا يجوز الإشارة إلى الله سبحانه بالرؤوس والأصابع إلى فوق، فإن ذلك يوجب التحديد.

وقد أجمع المسلمون أن الله هو العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن، فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى علو الغلبة لا علو الذات، وعند المسلمين أن لله ﷻ علو الغلبة والعلو من سائر وجوه العلو؛ لأن العلو صفة مدح، فنثبت أن لله تعالى علوَّ الذات وعلوَّ الصفات وعلو القهر والغلبة، وفي منعهم الإشارة إلى الله ﷻ من جهة الفوق خلاف منهم لسائر الملل؛ لأن جماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله ﷻ من جهة الفوق في الدعاء والسؤال، واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة، ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل، ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق، وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] وأخبر تعالى عن فرعون أنه قال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧] فكان فرعون قد فهم من موسى عليه الصلاة والسلام أنه يثبت إلهاً فوق السماء، حتى رام بصرحه أن يطَّلع إليه، واتهم موسى عليه الصلاة والسلام بالكذب في ذلك. والجهمية لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته فهم أعجز فهماً من فرعون بل أضل، وقد صح عن النبي ﷺ أنه سأل الجارية التي أراد مولاها عتقها: **«أين الله»**؟ قالت: في السماء، وأشارت برأسها إلى السماء، وقال: **«من أنا»**؟ فقالت: أنت رسول الله، فقال: **«اعتقها فإنها مؤمنة»**(١)، فحكم النبي ﷺ بإيمانها حين قالت: إن الله في السماء، وحكم الجهمي بكفر من يقول ذلك»(٢). هذا كله كلام أبي القاسم رحمه الله تعالى.اهـ.

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر: «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٨١ ـ ٨٣، ١٠٩ ـ ١١١، ١١٣ ـ ١١٥) بتصرف.

قول الإمام أبي عمرو عثمان بن أبي الحسن بن الحسين السَّهْرَوردي(١) الفقيه المحدث من أئمة أصحاب الشافعي من أقران البيهقي وأبي عثمان الصابوني وطبقتهما، له «كتاب في أصول الدين» قال في أوله: «الحمد لله الذي اصطفى الإسلام على الأديان، وزيَّن أهله بزينة الإيمان، وجعل السنة عصمة أهل الهداية، ومجانبتها أمارة أهل الغواية، وأعز أهلها بالاستقامة، ووصل عزَّهم بالقيامة، وصلى الله على محمد وسلم وعلى آله أجمعين، وبعده:

فإن الله تعالى لما جعل الإسلام ركن الهدى، والسنة سبب النجاة من الردى ولم يجعل لمن ابتغى غير الإسلام ديناً هادياً، ولا من انتحل غير السنة نحلة ناجياً، جمعتُ أصول السنة الناجي أهلها، التي لا يسع الجاهل نكرها ولا العالم جهلها ومن سلك غيرها من المسالك فهو في أودية البدع هالك...» إلى أن قال: «ودعاني إلى جمع هذا المختصر في اعتقاد السنة على مذهب الشافعي وأصحاب الحديث ـ إذ هم أمراء العلم وأئمة الإسلام ـ قولُ النبي ﷺ: «**تكون البدع في آخر الزمان محنة، فإذا كان كذلك فمن كان عنده علم فلْيظهره، فإن كاتم العلم يومئذٍ ككاتم ما أنزل الله على نبيِّه محمد ﷺ**»...»(٢).

ثم ساق الكلام في الصفات إلى أن قال: «**فصل**: ومن صفاته تبارك وتعالى: فوقيته واستواؤه على عرشه بذاته كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف، ودليله(٣) قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] وقوله تعالى في خمسة مواضع: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقوله تعالى في قصة عيسى عليه السلام: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]...» وساق آيات العلو ثم قال: «وعلماء الأمة وأعيان الأمة(٤) من السلف لم يختلفوا في أن الله سبحانه مستوٍ على عرشِهِ، وعرشُهُ فوق سبع سمواته»(٥). ثم ذكر كلام عبد الله بن المبارك:

---

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «الشهرزودي».
(٢) أخرجه ابن أبي عاصم (٩٩٤)، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٦٢٦)، وابن عساكر (٥٤/ ٨٠) وقال عنه شيخنا الألباني في «الضعيفة» (١٥٠٦): «**منكر**».
(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «بدليل».
(٤) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «الأئمة».
(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «سماوات».

«نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته على عرشه بائن من خلقه»[١]. وساق قول ابن خزيمة: «من لم يقر بأن الله تعالى فوق عرشه قد استوى فوق سبع سمواته فهو كافر»[٢]. اهـ. بإسناده من كتاب «معرفة علوم الحديث» ومن كتاب «تاريخ نيسابور» للحاكم.

ثم قال: «وإمامنا في الأصول والفروع أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى احتج في كتابه «المبسوط» على المخالف في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة وأن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها[٣] بخبر معاوية بن الحكم السلمي، وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة، وسأل النبي ﷺ ليعرف أنها مؤمنة أم لا؟ فقال لها: «**أين ربك**»؟ فأشارت إلى السماء - إذ كانت أعجمية -، فقال لها: «**من أنا**»؟ فأشارت إليه وإلى السماء، تعني: أنك رسول الله الذي في السماء، فقال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»[٤]، فحكم رسول الله ﷺ بإسلامها وإيمانها لما أقرت بأن ربها في السماء، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية»، هذا لفظه. اهـ.

قول إمام الشافعية في وقته الإمام أبي بكر محمد بن محمود بن سورة التميمي فقيه نيسابور: قال رحمه الله تعالى: «لا أصلي خلف من ينكر الصفات، ولا يقر بأن الله تعالى فوق عرشه بائن من خلقه». اهـ.

ذكر أقوال جماعة من أتباع الأئمة الأربعة ممن يقتدى بأقوالهم سوى ما تقدم:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص٨٤)، والجورقاني في «الأباطيل» رقم (٧٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٢٧٧)، وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» (٢٩)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (١١٢)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ١٢١٤)، وفي «تاريخ الإسلام» (ص٤٢٤ وفيات ٣١١)، وفي «السير» (١٤/ ٣٧٣)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٧٢٨)، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الحموية» (ص٣٤٠)، وذكره في «درء تعارض العقل والنقل» (٩/ ٢٦٤)، وابن القيم في «الصواعق» (٤/ ١٣٠٣)، وفي «اجتماع الجيوش» (١٩٤)، وفي «تهذيب السنن» (٧/ ١٠٧).

(٣) انظر: «الأم» (٦/ ٧٠٥ - ٧٠٦)، وانظر بسط المسألة في: «الإشراف» للقاضي عبد الوهاب، وتعليقي عليه.

(٤) سبق تخريجه.

قال أبو بكر محمد بن موهب[1] المالكي شارح «رسالة ابن أبي زيد»: قد تقدم ذكره عند ذكر أصحاب مالك، وحكينا بعض كلامه في «شرحه» ونحن نسوقه بعبارته.

قال: «وأما قوله: «أنه فوق عرشه المجيد بذاته» فإن معنى فوق وعلا عند جميع العرب واحد، وفي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ تصديق ذلك» ثم ساق الآيات في إثبات العلو، وحديث الجارية، إلى أن قال: «وقد تأتي «في» في لغة العرب بمعنى فوق، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥] يريد فوقها، وعليه كذلك[2] قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ [طه: ٧١] يريد: عليها، وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] الآيات قال أهل التأويل العالمون بلغة العرب: يريد فوقها، وهو قول مالك مما فهمه[3] عن جماعة ممن أدرك من التابعين [مما فهموه عن الصحابة][4]، مما فهموه عن النبي ﷺ أن الله في السماء بمعنى فوقها وعليها، فلذلك قال الشيخ أبو محمد: «أنه فوق عرشه المجيد بذاته» ثم[5] بيَّن أن علوه على عرشه إنما هو بذاته؛ لأنه بائن عن جميع خلقه بلا كيف، وهو في كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته، إذا لا تحويه الأماكن لأنه أعظم منها، وقد كان ولا مكان ولم يحل بصفاته عما كان، إذ لا تجري عليه الأحوال، لكن علوه في استوائه على عرشه هو عندنا بخلاف ما كان قبل أن يستوي على العرش؛ لأنه قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] و﴿ثُمَّ﴾ أبداً لا يكون إلا لاستئناف فعل يصير[6] بينه وبين ما قبله فسحة...»، إلى أن قال: «وقوله: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] عند أهل السنة على غير الاستيلاء والقهر والغلبة والملك الذي ظنته[7] المعتزلة ومن قال بقولهم أنه بمعنى الاستيلاء، وبعضهم يقول: إنه على المجاز دون الحقيقة».

---

(١) في الأصل: «وهب» وهو خطأ! والتصويب من مصادر الترجمة، مثل: «جذوة المقتبس» (٩٢ رقم ١٤٦)، و«ترتيب المدارك» (٣/ ٦٧٤ ـ ٦٧٥).

(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وعليها».

(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «فهم».

(٤) من مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وسقط من الأصل.

(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «إنه».

(٦) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «يكون».

(٧) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ظنت».

قال: «ويبيِّن سوء تأويلهم في استوائه على عرشه على غير ما تأولوه من الاستيلاء وغيره ما قد علمه أهل العقول[(١)] أنه لم يزل مستولياً على جميع مخلوقاته بعد اختراعه لها، وكان العرش وغيره في ذلك سواء، فلا معنى لتأويلهم بإفراد العرش بالاستواء الذي هو في تأويلهم الفاسد استيلاء وملك وقهر وغلبة».

قال: «وكذلك بيَّن أيضاً أنه على الحقيقة بقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]؛ فلما رأى المنصفون إفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلق سمٰواته وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء علموا أن الاستواء هنا غير الاستيلاء ونحوه، فأقروا بصفة الاستواء على عرشه وأنه على الحقيقة لا على المجاز؛ لأنه الصادق في قيله، ووقفوا عن تكييف ذلك إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ من الأشياء، وقد تقدم قول القاضي عبد الوهاب إمام المالكية بالعراق: أن الاستواء استواء الذات على العرش، وأنه قول أبي الطيب الأشعري حكاه عنه عبد الوهاب نصاً، وأنه قول الأشعري بنفسه صرح به في بعض كتبه، وأنه قول الخطابي وغيره من الفقهاء والمحدثين ذكر ذلك كله الإمام أبو بكر الحضرمي في رسالته التي سماها بـ «الإيماء إلى مسألة الاستواء» فمن أراد الوقوف عليها فليقرأها وقد تقدم قول أبي عمر بن عبد البر وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] أنه على العرش، وعلمُه في كل مكان[(٢)]، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله، وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها[(٣)] فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وهم أئمة الجماعة»[(٤)]. اهـ.

قول شيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد المقدسي الذي

---

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «المعقول».

(٢) سبق بيان ذلك مفصَّلاً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(٣) بعدها في مطبوع «التمهيد»: «ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق».

(٤) سبق ذكره وتوثيقه قريباً.

اتفقت الطوائف على قبوله وتعظيمه وإمامته، خلا جهمي أو معطل، قال في كتاب «إثبات صفة العلو»:

«أما بعد: فإن الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك رسوله خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء، والأئمة من الفقهاء، وتواترت الأخبار في ذلك على وجهٍ حصل به اليقين، وجمع الله ﷻ عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزاً في طبائع[(١)] الخلق أجمعين، فنراهم[(٢)] عند نزول الكرب يلحظون السماء بأعينهم، ويرفعون عندها[(٣)] للدعاء أيديهم، وينتظرن مجيء الفرج من ربهم سبحانه، وينطقون بذلك بألسنتهم لا ينكر ذلك إلا مبتدع غالٍ في بدعته، أو مفتون بتقليد[(٤)] واتباعه على ضلالته»[(٥)].

وقال في «عقيدته»[(٦)]: «ومن السنة قول النبي ﷺ: **«ينزل ربنا إلى سماء الدنيا»**[(٧)] وقوله ﷺ: **«لله أفرح بتوبة عبده»**[(٨)]. وقوله ﷺ: **«يعجب ربك»**»[(٩)]. إلى أن قال: «فهذا وما أشبهه مما صحَّ سنده وعُدِّلت رواته[(١٠)] نؤمن به ولا نردُّه ولا نجحده، ولا نعتقد فيه تشبيهه[(١١)] بصفات المخلوقين، ولا سمات[(١٢)]

---

(١) في مطبوع «إثبات صفة العلو»: «طباع».

(٢) في مطبوع «إثبات صفة العلو»: «فتراهم».

(٣) في مطبوع «إثبات صفة العلو»: «نحوها».

(٤) كذا في مطبوع «إثبات صفة العلو»، وفي الأصل: «بتقليده»!

(٥) انظر: «إثبات صفة العلو» (ص٤١).

(٦) المسماة «لمعة الاعتقاد» وهو مطبوع أكثر من مرة، ولغير واحد من معاصرينا من العلماء شروح عليه، وبعضها منشورة.

(٧) سبق تخريجه. (٨) سبق تخريجه.

(٩) أخرجه أحمد (٤/ ١٥١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧١)، وأبو يعلى (١٤٧٩)، والطبراني في «الكبير» (١٧/رقم ٨٥٣)، وابن عدي (٤/ ١٤٦٥ ـ ١٤٦٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٧٦) من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٧٠): «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وإسناده حسن».
وحسنه شيخنا الألباني في «الصحيحة» (٢٨٤٣)، ورجح أبو حاتم الرازي كونه موقوفاً، على عقبة. انظر: «العلل» (٢/ ١١٦) لابنه، وأخرج الموقوف: ابن المبارك في «الزهد» (٣٤٩) وفيه رشدين بن سعد، وهو ضعيف.

(١٠) كذا في مطبوع «لمعة الاعتقاد»، وفي الأصل: «روايته»!

(١١) في مطبوع «لمعة الاعتقاد»: «ولا نشبهه». (١٢) في مطبوع «لمعة الاعتقاد»: «بسمات».

المُحَدِّثين، بل نؤمن بلفظه ونترك التعرض لمعناه، قراءته تفسيره[(١)] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] وقول النبي ﷺ: **«ربنا الله الذي في السماء»**[(٢)] وقوله للجارية: **«أين الله»**؟ قالت: في السماء، قال: **«اعتقها إنها مؤمنة»**[(٣)] رواه مالك بن أنس وغيره من الأئمة، وروى أبو داود في «سننه» أن النبي ﷺ قال: **«إن بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا»** وذكر الحديث إلى أن قال: **«وفوق ذلك العرش، والله تعالى فوق ذلك»**[(٤)] نؤمن بذلك ونتلقاه بالقبول من غير رد له ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تأويل ولا نتعرض له بكيف، ولما سئل مالك بن أنس فقيل له: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». ثم أمر بالرجل، فأُخْرِج»[(٥)].اهـ.

قول إمام الشافعية في وقته ـ بل هو الشافعي الثاني ـ أبي حامد الإسفراييني، كان من كبار أئمة السنة المثبتين للصفات، قال:

«مذهبي ومذهب الشافعي وجميع علماء الأمصار: أن القرآن كلام الله، ليس بمخلوق، ومن قال: مخلوق، فهو كافر، وأن جبرائيل ﵇ سمعه من الله ﷻ وحمله إلى محمد ﷺ، وسمعه النبي ﷺ من جبرائيل، وسمعه الصحابة من محمد ﷺ، وأن كل حرف منه كالباء والتاء كلام الله ﷻ ليس بمخلوق». ذكره في كتابه في «أصول الفقه» ذكره عنه شيخ الإسلام في «الأجوبة المصرية».

---

(١) غير موجود في مطبوع «لمعة الاعتقاد».

(٢) سبق تخريجه. (٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» (١٨)، وابن طهمان في «مشيخته» (١٨)، والترمذي (٣٣٢٠)، وأبو داود (٤٧٢٣)، وابن ماجه (١٩٣)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٢)، وأبو يعلى (٦٧١٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٠١ ـ ١٠٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٧)، والحاكم (٢/ ٥٠١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٤٠) وغيرهم، **وإسناده ضعيف جداً**، فيه عبد الله بن عميرة مجهول، لم يرو عنه غير سماك، أفاده مسلم في «الوحدان» (ص١٤٠) وهو لم يسمع العباس بن عبد المطلب، فهو معضل، ومنهم من رواه عن ابن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس، والأحنف لم يسمع العباس، فهو منقطع.

(٥) سبق تخريج أثر مالك، وما سبق من «لمعة الاعتقاد» (ص١٢ ـ ١٤) بتصرف.

قال شيخ الإسلام: «وكان الشيخ أبو حامد يصرح بمخالفة القاضي أبي بكر بن الطيب في مسألة القرآن»[(١)].

قال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام السنة: «نؤمن بخبر الله سبحانه أن خالقنا مستوٍ على عرشه لا نبدل كلام الله ولا نقول غير الذي قيل لنا، كما قالت الجهمية المعطلة: إنه استولى على عرشه لا استوى، فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم»[(٢)].

وقال في كتاب «التوحيد»: «باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه وكان فوقه وفوق[(٣)] كل شيء عالياً». ثم ساق الأدلة على ذلك من القرآن والسنة ثم قال: «باب الدليل على أن الإقرار بأن الله فوق السماء من الإيمان»[(٤)] ثم ساق حديث الجارية. اهـ.

قول إمام الشافعية في وقته سعد بن علي الزَّنْجاني.

صرح بالفوقية بالذات، فقال:

«وهو على[(٥)] عرشه بوجود ذاته». هذا لفظه وهو إمام في السنة له قصيدة فيها معروفة أوّلها:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ الله واتَّبِعِ الأَثَرْ ... وَدَعْ عَنكَ رأياً لا يلائِمُه خَبَرْ[(٦)]

وقال في شرح هذه القصيدة: «والصواب عند أهل الحق أن الله تعالى خلق السمٰوات والأرض، وكان عرشه على الماء مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الأصفهانية» (ص٧٤).

(٢) انظر: «التوحيد» لابن خزيمة (١/ ٢٣٣).

(٣) كذا في مطبوع «التوحيد»، وفي الأصل: «فوق».

(٤) انظر: «التوحيد» (١/ ٢٣١، ٢٧٨).

(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «فوق».

(٦) ذكر هذا البيت بلفظه الذهبي في «العلو» (٢/ ١٣٤٩)، وذكر أبياتاً من القصيدة الذهبي في «السير» (١٨/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨)، وفي «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١١٧٨). إلّا أن مطلعها مخالف لما في «العلو».
وقال ابن الوزير اليماني في «إيثار الحق» (ص١٨٧): «ذكر الحافظ أسعد بن علي المعروف بالزنجاني أن ذلك ـ أي تعليل الأحكام الشرعية ـ مذهب أهل السنة وهو من أئمة الشافعية ذكره في شرح قصيدته الشهيرة في الحث على السنة وهي التي أولها: تمسك بحبل الله واتبع الخبر».

ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض، على ما ورد به النص ونطق به القرآن، وليس معنى استوائه أنه ملكه واستولى عليه؛ لأنه كان مستولياً عليه قبل ذلك وهو أحدثه؛ لأنه مالك جميع الخلائق ومستولٍ عليها، وليس معنى الاستواء أيضاً أنه ماس العرش أو اعتمد عليه أو طابقه، فإن كل ذلك ممتنع في صفته جل ذكره، ولكنه مستوٍ بذاته على عرشه بلا كيف، كما أخبر عن نفسه، وقد أجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن بقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] وأن لله علو الغلبة والعلو الأعلى من سائر وجوه العلو؛ لأن العلو صفة مدح عند كل عاقل، فثبت بذلك أن لله علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر والغلبة، وجماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله جل ثناؤه من جهة الفوق في الدعاء والسؤال، فاتفاقهم بأجمعهم على الإشارة إلى الله سبحانه من جهة الفوق حجة، ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق.

وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وأخبر عن فرعون أنه قال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧] وكان فرعون قد فهم من موسى أنه يثبت إلهاً فوق السماء حتى رام بصرحه أن يطلع إليه، واتُّهم موسى بالكذب في ذلك، ومخالفنا ليس يعلم أن الله فوقه بوجود ذاته فهو أعجز فهماً من فرعون، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه سأل الجارية التي أراد مولاها عتقها: «**أين الله**»؟ قالت: في السماء وأشارت برأسها، وقال: «**من أنا**»؟ قالت: أنت رسول الله. فقال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»[(١)]، فحكم النبي ﷺ بإيمانها حين قالت: إن الله في السماء، وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤] وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥] وذكر النبي ﷺ: «**ما بين كل سماء إلى سماء وما بين السماء السابعة وبين العرش**»، ثم قال: «**الله فوق ذلك**»[(٢)] وله أجوبة سئل عنها في السنة،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

فأجاب عنها بأجوبة أئمة السنة، وصدرها بجواب إمام وقته أبي العباس بن سريج(١). اهـ.

قول الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الإمام في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ واللغة والنحو والقرآن، قال في كتاب «صريح السنة»: «وحسب المرء أن يعلم أن ربه هو الذي ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فمن تجاوز إلى غير ذلك فقد خاب وخسر»(٢) وقال في «تفسيره الكبير» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٥] قال: «علا وارتفع»(٣)، وقال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] عن الربيع بن أنس أنه يعني: «ارتفع»(٤)، وقال في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: «يجلسه معه على العرش»(٥) وقال في قوله ﷻ: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] يقول: «وإني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدعي أن له رباً في السماء أرسله إلينا»(٦).

وقال في كتاب «التبصير في معالم الدين»: «القول فيما إدراكه بيان وعلمه خبر من الصفات(٧)، وذلك نحو إخباره(٨) أنه سميع بصير وأن له يَدَيْن بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له وجهاً بقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له قدماً، لقول النبي ﷺ: **«حتى يضع**

---

(١) للزنجاني رسالة فيها أجوبة أئمة السنّة، ومصدرة بجواب العلامة ابن سريج، وهي محفوظة في الجامعة الإسلامية، رقم (١٦٩٤) ضمن مجموع (ق٣٦ ـ ٤٠/أ)، وتجد قسماً منها عند الذهبي في «الأربعين» (٩٠ رقم ٩٥)، و«تذكرة الحفاظ» (٣/٨١٣)، و«العلو» (٢/١٢١٦ ـ ١٢١٨).

(٢) انظر: «صريح السنة» (ص٦٣).

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» (١/٤٥٧).

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» (١/٤٥٦).

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» (١٥/٤٧)، واعتمد في ذلك على أثر منكر لمجاهد، وهو يستلزم نسبة القعود على العرش لله، وهذا يستلزم نسبة الاستقرار عليه لله تعالى، وهذا مما لم يرد، فلا يجوز اعتقاده ونسبته إلى الله ﷻ، قاله شيخنا الألباني في «مختصر العلو» (ص١٦)، وانظر التفصيل في: «الإمام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف» (ص٢٩٣ ـ ٢٩٧).

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢٠/٣٢٧).

(٧) في مطبوع «التبصير»: «القول فيما أُدرك علمه من صفات الصانع خبراً لا استدلالاً».

(٨) بعدها في مطبوع «التبصير»: «إيّانا».

رب العزة فيها قدمه»[1]، وأنه يضحك لقوله: **«لقي الله وهو يضحك إليه»**[2]، وأنه يهبط إلى سماء الدنيا بخبر النبي ﷺ بذلك[3]، وأن له أصبعاً بقول النبي ﷺ: **«ما قلبٌ إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن»**[4]. فإنّ هذه المعاني التي وصفت[5] ونظائرها مما[6] وصف الله به نفسه ورسوله مما لا تدرك[7] حقيقة علمه بالفكر[8] والرؤية لا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهائها إليه»[9] [فيجب عليه قبولها][10]. ذكر هذا عنه أبو يعلى في كتاب: «إبطال التأويل»[11].

قال الخطيب: «كان ابن جرير[12] أحد العلماء[13] يُحكم بقوله ويرجع إلى رأيه، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان عارفاً بالقرآن[14]، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٧)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٥٦٦)، والبخاري في «تاريخه» (٨/ ٩٥)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٢٨، ٢٢٩)، وفي «الآحاد والمثاني» (١١٦٨، ١١٦٩، ١٢٧٧)، وأبو يعلى (٦٨٥٥)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١١٦٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٤١٠ ـ ٤١١) من حديث نُعيم بن هَمّار **وإسناده حسن**، وانظر: «العلل» (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) لعبد الله بن أحمد.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٣٨)، وابن ماجه (١٩٩)، وابن جرير في «التفسير» (٦٦٥٥)، وابن حبان (٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ـ التعليقات الحسان)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٨٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢١٩)، والطبراني في «الدعاء» (١١٦٢)، وفي «مسند الشاميين» (٥٨٢)، والحاكم (١/ ٥٢٥ و٢/ ٢٨٩ و٤/ ٣٢١)، والبغوي (٨٩)، وفي «التفسير» (١/ ٣٢٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٤١) من حديث النواس بن سمعان، **وإسناده صحيح**.

(٥) كذا في مطبوع «التبصير» وفي الأصل: «وضعت»!

(٦) كذا في مطبوع «التبصير»، وفي الأصل: «ما»!

(٧) كذا في مطبوع «التبصير»، وفي الأصل: «يثبت»!

(٨) كذا في مطبوع «التبصير»، وفي الأصل: «بالذكر»!

(٩) انظر: «التبصير في معالم الدين» (ص١٣٢ ـ ١٣٩) بتصرف.

(١٠) غير موجود في مطبوع «التبصير» ولا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية».

(١١) انظر: «إبطال التأويلات» (١/ ٤٨ ـ ٥٠)، و«العلو» (٢/ ١٢٠٨ ـ ١٢٠٩).

(١٢) في الأصل: «كان (ج)...».

(١٣) في مطبوع «تاريخ بغداد»: «الأئمة العلماء».

(١٤) في مطبوع «تاريخ بغداد»: «حافظاً للقرآن عارفاً بالقراءات».

وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين[1]، في الأحكام[2] والحلال والحرام»[3].

قال أبو حامد الإسفراييني: «لو سافر رجل إلى الصين، حتى يحصل له كتاب «تفسير محمد بن جرير» لم يكن كثيراً»[4].

وقال ابن خزيمة: «ما أعلم على أديم الأرض أعلم من (ج)»[5].

وقال الخطيب: «سمعت علي بن عبد الله اللغوي يحكي أن (ج) مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة»[6]. قلت: وكان له مذهب مستقل، له أصحاب عدة[7] أبو الفرج المعافى بن زكريا منهم، ومن أراد معرفة أقوال الصحابة والتابعين في هذا الباب، فلْيطالع ما قاله عنهم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: ٥] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يتبين له أي الفريقين أولى بالله ورسوله: الجهمية المعطلة أو أهل السنة والإثبات، والله المستعان. اهـ.

قول الإمام أبي القاسم الطبري اللالكائي أحد أئمة أصحاب الشافعي في كتابه في «السنة» ـ وهو من أجل الكتب ـ: «سياق ما جاء[8] في قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وأن الله ﷻ على عرشه في السماء». ثم ذكر قول من هذا قوله من الصحابة والتابعين والأئمة، قال: «هو قول عمر وعبد الله بن مسعود، وأحمد بن حنبل». وعدَّ جماعة يطول ذكرهم ثم ساق الآثار

---

(١) بعدها في مطبوع «تاريخ بغداد»: «ومن بعدهم».

(٢) في مطبوع «تاريخ بغداد»: «ومسائل». (٣) انظر: «تاريخ بغداد» (٢/ ١٦٣).

(٤) ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ١٦٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ١٩٥)، والذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٧١٢)، والصفدي في «الوافي في الوفيات» (٢/ ٢١٣) وغيرهم.

(٥) ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ١٦٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦)، وابن حجر في «لسان الميزان» (٧/ ٢٨)، والصفدي في «الوافي في الوفيات» (٢/ ٢١٣).

(٦) انظر: «تاريخ بغداد» (٢/ ١٦٣).

(٧) بعدها في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «منهم».

(٨) في مطبوع «شرح أصول الاعتقاد»: «روي».

في ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وعائشة وابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وغيرهم[١]. اهـ.

قول الإمام محيي السنة الحسين بن مسعود البغوي قال في «تفسيره» ـ الذي هو شجى في حلوق الجهمية والمعطلة ـ في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ «قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة صعد»، قال[٢]: «وأوّلت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، قال: وأمّا[٣] أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله[٤] بلا كيف يجب على الرجل أن يؤمن بذلك[٥]، ويَكِلَ العلم فيه إلى الله تعالى». ثم حكى قول مالك: «الاستواء غير مجهول»[٦]، ومراد السلف بقولهم: بلا كيف، هو نفي للتأويل[٧]، فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل، فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة، فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة، وإثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه. وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه ويقول: كيفيته كذا وكذا، حتى يكون قول السلف ـ بلا كيف ـ رداً عليه، وإنما ردوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل تحريف اللفظ وتعطيل معناه اهـ.

فصل

في ذكر قول الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه رحمهم الله تعالى

قال الخلال في «كتاب السنة» بسنده إلى عبد الله بن أحمد قال: قيل لأبي: ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه. بائن من خلقه. وقدرته وعلمه بكل مكان؟ **قال:** «نعم لا يخلو شيء من علمه»[٨].

قال الخلال: وأخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: سألت

(١) انظر: «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٣٨٧ ـ ٤٠٢).
(٢) أي البغوي.
(٣) في مطبوع «تفسير البغوي»: «فأمّا».
(٤) في مطبوع «تفسير البغوي»: «لله تعالى».
(٥) في مطبوع «تفسير البغوي»: «الإيمان به».
(٦) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٩٧).
(٧) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «التأويل».
(٨) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ١٥٩ ـ الرد على الجهمية)، وذكر اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٠١ ـ ٤٠٢)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٩٦)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١١١٣)، وأبو يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٤٢١).

أبا عبد الله أحمد عمن قال: إن الله تعالى ليس على العرش؟ **فقال**: كلامهم كله يدور على الكفر.

وروى الطبري الشافعي في كتاب: «السنة» له بإسناده عن حنبل قال: قيل لأبي عبد الله: معنى قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] **قال**: «علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة، وسع كرسيه السمٰوات والأرض»[١].

وقال أبو طالب: سألت أحمد بن حنبل قال: إن الله معنا وتلا قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] **قال**: يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها، هلا قرأت عليه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [المجادلة: ٧] بالعلم معهم، وقال في قوله تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦][٢].

وقال المروزي[٣]: **قلت: لأبي عبد الله**: إن رجلاً قال: أقول كما قال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره، **فقال أبو عبد الله**: «هذا كلام الجهمية»، فقلت له: فكيف نقول: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] **قال**: «علمه في كل مكان وعلمه معهم»، **قال**: «أول الآية يدل على أنه علمه» **وقال** في موضع آخر: «وإن الله ﷻ على فوق السماء السابعة، يعلم ما تحت الأرض السفلى، وأنه غير مماس لشيء من خلقه، هو تبارك وتعالى بائن من خلقه، وخلقه بائنون منه»[٤].

وقال في كتاب: «الرد على الجهمية» الذي رواه عنه الخلال من طريق ابنه

---

(١) ذكره اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٠٢)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٩٥)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١١١٦).

(٢) بنحوه عند أحمد في «الرد على الجهمية» (ص٢٩٦)، وذكره ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ١٥٩ ـ ١٦٠ ـ الرد على الجهمية)، وذكره ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١١١٤)، و«الأربعين» رقم (٤٩)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٠٠ ـ ٢٠١).

(٣) في مطبوع «العلو»: «المرّوذي».

(٤) ذكره ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ١٦٠ ـ ١٦١ ـ الرد على الجهمية)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١١١٥).

عبد الله قال: «باب بيان ما أنكرت الجهمية[1] أن يكون الله تعالى على العرش [وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾][2]، قلنا لهم: ما[3] أنكرتم أن يكون الله تعالى على العرش، وقد قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ فقالوا: هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش[4]، وفي السموات والأرض وفي كلِّ مكان[5] وتلا: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] **قال أحمد:** فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من ذات الرب[6] شيء، أجسامكم وأجوافكم والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها من ذات الرب تعالى[7] شيء، وقد أخبرنا الله ﷻ أنه في السماء فقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦، ١٧] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]»[8].

ذكر هذا الكلام كله أبو بكر الخلال في كتاب «السنة» الذي جمع فيه نصوص أحمد وكلامه، وعلى منواله جمع البيهقي في كتابه الذي سماه «جامع النصوص» من كلام الشافعي، وهما كتابان جليلان لا يستغني عنهما عالم، **وخطبة كتاب أحمد بن حنبل:** «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل عليهم الصلاة والسلام بقايا من أهل العلم، يدعُون من ضل إلى الهدى، ويَصبِرُون منهم على الأذى، يُحيُون بكتاب الله الموتى، ويُبَصِّرون بنورِ الله تعالى

---

(١) انظر: «الرد على الجهمية والزنادقة» (ص٣٠٨).
(٢) بعدها في «الرد على الزنادقة والجهمية»: «الضُّلّال».
(٣) غير موجود في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية».
(٤) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «لِمَ».
(٥) بعدها في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «فهو على العرش».
(٦) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «من عِظَم الرب».
(٧) بعدها في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «لا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان».
(٨) انظر: «الرد على الزنادقة والجهمية» (٢٨٧ ـ ٢٩٠) بتصرف يسير، وكلام أحمد هذا ذكره ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٥٣٤) ـ وله عليه تعليق جيد مهم ـ و«درء التعارض» (٦/ ١٣٧)، و«الفتاوى» (٥/ ٣١٠)، وابن القيم في «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٩٨).

أهل العمى، فكَمْ من قتيل لإبليسَ قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائهٍ قد هَدَوْهُ، فما أحسنَ أثرهُم على الناس، و[ما][1] أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تعالى تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطِلِين، وتأويل الجاهلين، الذين عَقَدوا أَلْوِيَة البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله تعالى وفي الله تعالى وفي كتاب الله تعالى بغير عِلْم، يتكلّمون بالمُتشابهِ من الكلام، ويخدعون الجهال[2] بما يشبِّهون عليهم، فنعوذُ بالله من فتن المضلين».

ثم **قال**: (باب بيان ما ضلَّتْ فيه [الجهمية][3] الزنادقة من متشابه القرآن) ثم تكلم على قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] **قال**: قالت الزنادقة: «فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت وأبدلهم الله جلوداً غيرها، فلا نرى إلا أن الله ﷻ يعذب جلوداً بلا ذنب يقول[4]: ﴿جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ فشكُّوا في القرآن وزعمُوا أنه متناقضٌ فقلنا[5]: إن قَوْل الله ﷻ: ﴿بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ليس يعني[6] جلوداً أخرى غير جلودهم، وإنما يعني بتبديلها[7] تجديدها لأن جلودَهم إذا نضجتْ جدَّدها الله».

ثم تكلم على آيات من مشكل القرآن، ثم **قال**: «وإن مما أنكرت الجهمية الضُّلّال أن الله ﷻ على العرش استوى، وقد قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]».

ثم ساق أدلة القرآن، ثم **قال**: «ووجدنا كل شيء أسفل مذموماً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٢٩﴾

---

(١) غير موجود في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية».
(٢) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «جُهّال الناس».
(٣) غير موجود في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية».
(٤) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «لمْ تُذنِبْ حين يقول:».
(٥) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «فقلت لهم».
(٦) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «معناه».
(٧) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «وإنما معنى ﴿بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ تبديلها».

[فصلت: ٢٩]» ثم **قال**: «ومعنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾ [الأنعام: ٣] يقول هو: إله مَن في السمٰوات وإله من في الأرض وهو على العرش، وقد أحاط عِلمُه بما دون العرش لا يخلو من علمه[1] مكان، ولا يكون عِلمُ الله تعالى في مكان دون مكان، وذلك[2] قوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]».

قال الإمام أحمد: «ومن الاعتبار في ذلك لو أن رجلاً كان في يده قدح من قوارير وفيه شيء[3] كان نظر[4] ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله سبحانه ـ وله المثل الأعلى ـ قد أحاط بجميع ما خلق[5] [وقد علم كيف هو وما هو][6] من غير أن يكون في شيء مما خلق»[7] **قال**: «وخَصلة أخرى: لو أن رجلاً بنى داراً بجميع مرافقها، ثُم أغلق بابها[8]، كان لا يخفى عليه كم بيتاً في داره، وكم سعة كُل بيت، من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار، فالله سبحانه[9] قد أحاط بجميع ما خلق، وقد عَلِمَ كيف هو وما هو، [وله المثل الأعلى][4] وليس هو في شيء مما خلق»[10].

قال الإمام أحمد: «ومما[11] تأولت الجهمية من قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، فقالوا: إن الله معنا وفينا، فقلنا لهم، لِمَ قطعتم الخبر من أوّله؟ إن الله تعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]؛ يعني:

---

(١) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «علم الله».
(٢) في الأصل بعدها «من»! وهو غير موجود في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية».
(٣) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «قوارير صافٍ وفيه شراب صافٍ».
(٤) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «بصر».
(٥) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «خلقه».
(٦) غير موجود في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية».
(٧) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «من خلقه».
(٨) بعدها في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «وخرج منها».
(٩) بعدها في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «وله المثل الأعلى».
(١٠) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «من غير أن يكون في شيء مما خلق».
(١١) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «بيان ما».

علمه فيهم، ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] ففتح الخبر بعلمه وختمه بعلمه». **قال الإمام أحمد:** «وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذبٌ على الله ﷻ حين زعم أنه في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان، فقل له: فحين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً عن نفسه، فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقاويل[١]: إن زعم أن الله تعالى خلق الخلق في نفسه كفر، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين وإبليس في نفسه، وإن قال: خلقهم خارجاً عن نفسه ثم دخل فيهم كفر أيضاً، حين زعم أنه دخل في كل مكان وَحُشٍّ وقذر[٢]، وإن قال: خلقهم خارجاً عن نفسه ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله كله أجمع وهو قول أهل السنة».

قال أحمد: «بيان ما ذكر في القرآن ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] على وجوه، قوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] يقول: في الدفع عنكما، وقال: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]؛ يعني: في الدفع عنَّا، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٩]؛ يعني: في النصرة لهم على عدوهم، وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]؛ يعني: في النصرة لكم على عدوكم، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨]؛ يعني: يقول بعلمه فيهم، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] يقول: بالعَوْنِ على فرعون.

فلما ظَهَرَت الحُجة على الجهمي بما ادّعى على الله سبحانه أنه مع خلقه قال: هو في كل شيء غير مماسّ لشيء ولا مبايناً له[٣]، فقلنا له: فإذا كان غير مباين للشيء أهو مماس له؟ قال: لا، قلنا: فكيف يكون في كل شيء غير مماس لشيء ولا مبايناً لشيء[٤]؟ فلم يُحسن الجواب، فقال: بلا كيف ليخدع الجهال بهذه الكلمة ويُمَوِّهَ عليهم، ثم قلنا لهم: إذا كان يوم القيامة أليس إنما تكون الجنة والنار والعرش والهواء؟ فقال: بلى، فقلنا: وأين يكون ربنا؟ قال: يكون

---

(١) بعدها في «الرد على الزنادقة والجهمية»: «لا بد له من واحد منها».
(٢) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «وحُشٍّ قذر رديء».
(٣) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «مباين منه».
(٤) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «مباين».

في كل شيء، كما كان حيث كانت الدنيا، قلنا: ففي مذهبكم إن ما كان من الله تعالى على العرش فهو على العرش، وما كان من الله تعالى في الجنة، فهو في الجنة وما كان من الله تعالى في النار فهو في النار، وما كان منه في الهواء، فهو في الهواء، فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله».

قال أحمد: «وقلنا للجهمية حين زعمتم أن الله تعالى في كل مكان، قلنا: أخبرونا عن قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] كان في الجبل بزعمكم؟ فلو كان فيه كما تزعمون لم يكن تجلى له، بل كان سبحانه على العرش، فتجلى لشيء لم يكن فيه، ورأى الجبل شيئاً لم يكن رآه قط قبل ذلك».

قال أحمد: «وقلنا للجهمية: الله نور، فقالوا: هو نور كله.

فقلنا لهم: قال الله ﷻ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] فقد أخبر جل ثناؤه أن له نوراً، وقلنا لهم: أخبرونا حين زعمتم أن الله سبحانه في كل مكان وهو نور، فَلِمَ لَمْ يضئ البيت المظلم بلا سراج؟ وما بال السراج إذا دخل البيت المظلم يضيء؟! فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله تعالى».

قال الإمام أحمد: «كان جهم وشيعته كذلك دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث؛ فَضَلُّوا وأضلوا بكلامهم كثيراً، وكان فيما بلغنا عن الجهم ـ عدو الله ـ أنه كان من أهل خراسان وكان صاحب خصومات وشر وكلام، وكان أكثر كلامه في الله تعالى، فلقي أُناساً من الكفار يقال لهم: السُّمَنِية فعَرَفوا الجهم فقالوا له: نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك، فكان مما كلَّموا به جهماً قالوا: ألست تزعم أن لك إلهاً؟ قال الجهم: نعم، قالوا له: فهل رأت عينك إلهك؟ قال: لا، قالوا: فهل شممت له رائحة؟ قال: لا، قالوا: فهل وجدت له حساً؟ قال: لا، قالوا: فهل وجدت له مجساً؟ قال: لا، قالوا: فما يدريك أنه إله؟ قال: فتحير الجهم ولم يدر أربعين يوماً، ثم إنه استدرك حجة من جنس حجة زنادقة النصارى ـ لعنهم الله ـ.

وذلك أن زنادقة النصارى لعنهم الله تعالى زعموا أن الروح التي في عيسى ابن مريم روح الله من ذات الله، فإذا أراد أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه فتكلم على لسانه فيأمر بما يشاء وينهى عما يشاء، وهو روح غائب عن الأبصار، فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة، فقال للسُّمَني: تزعم أن فيك روحاً،

قال: نعم، قال: فهل رأيت روحك؟ قال: لا، قال: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا، قال: فهل وجدت له مَجَساً أو حساً؟ قال: لا، قال: فكذلك الله لا يُرى له وجه ولا يُسمَع له صوت ولا يشم له رائحة وهو غائب عن الأبصار ولا يكون في مكان دون مكان.

ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] و﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فبنى أصل كلامه على هؤلاء الآيات، وتأوَّل القرآن على غير تأويله، وكذب بأحاديث النبي ﷺ، وزعم أن مَنْ وصف الله تعالى بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه النبي ﷺ كان كافراً أو كان من المُشبِّهة، فأضلَّ بشراً كثيراً، وتبعه على قوله رجال من أصحاب عمرو بن عبيد وأصحاب فلان[1]، ووضع دين الجهمية، فإذا سألهم الناس عن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]: ما تفسيره؟ يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء، هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش، لا يخلو منه مكان، ولا هو في مكان دون مكان، ولا يتكلَّم ولا يكلم[2] ولا ينظرُ إليه أحد لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة[3]، ولا له غاية ولا منتهى ولا يُدرك بعَقْل، وهو وجه كلُّه، وهو عِلْم كلُّه، وهو سمعٌ كلُّه، وهو بصرٌ كلُّه، وهو نورٌ كلّه، وهو قدرةٌ كلُّه، لا يوصف بوصفين مختلفين، وليس بمعلوم ولا معقول، وكلّ ما خطر بقلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه.

فقلنا لهم: فمن تعبدون؟ قالوا: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق: قلنا: فالذي يُدَبِّر أمر هذا الخلق لا يعرف بصفته. قالوا: نعم، قلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئاً، إنما تدفعون عن أنفسكم الشُّنْعَة بما تظهرون، ثم قلنا لهم: هذا الذي يدبِّر هو الذي كلم موسى، قالوا: لم يَتَكلَّم؛ ولا يتكلَّم لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة، والجوارح منفية عن الله سبحانه وتعالى، فإذا سمع الجاهل قولهم ظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله سبحانه، ولم يعلم أن كلامهم إنما

---

(١) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «أبي حنيفة»!!
(٢) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «ولم يتكلَّم ولا يتكلَّم».
(٣) بعدها في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «ولا بفعل».

يؤول إلى ضلالة وكفر»[١]. قال الخلال: «كتب هذا الكتاب من خط عبد الله وكتبه عبد الله من خط أبيه، وصححه شيخ الإسلام» ومضى[٢] إلى أن قال: «فإنه امتحن بالجهمية وجميع المتقدمين من أصحابه على مثل منهاجه في ذلك، وإن كان بعض المتأخرين منهم من يدخل في نوع من البدعة التي أنكرها الإمام أحمد، ولكن الرعيل الأول من أصحابه كلهم وجميع أئمة الحديث قولهم قوله.»اهـ.

أقوال أئمة أهل الحديث
الذين رفع الله تعالى منارهم في العالمين
وجعل لهم لسان صدق في الآخرين

ذكر قول إمامهم وشيخهم الذي روى له كل محدِّث (أبو هريرة).

روى الدارمي عنه في كتاب «النقض» بإسناد جيد قال: «لما ألقي إبراهيم في النار، قال: اللهم إنك في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك»[٣]. اهـ.

ذكر قول إمام الشام في وقته أحد أئمة الدنيا الأربعة أبي عمرو الأوزاعي.

روى البيهقي عنه في «الصفات» أنه قال: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله ﷻ فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته»[٤] وقد تقدم حكاية ذلك عنه.

قول إمام أهل الدنيا في وقته عبد الله بن المبارك.

وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر أنه قيل له: بماذا نعرف ربنا؟ قال: «بأنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه»[٥]. ذكره البيهقي، وقبله الحاكم، وقبله الدارمي عثمان وقد تقدم. اهـ.

قول حماد بن زيد إمام وقته.

تقدم عنه قوله: «الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء»[٦] وكان من أشد الناس على الجهمية.

---

(١) انظر: «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص٢٨٧ ـ ٣٠١، ٣٠٧ ـ ٣١٠، ٣٢٨ ـ ٣٢٩، ١٩٦ ـ ٢١٢) بتصرف.

(٢) أي ابن القيم.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

قول يزيد بن هارون: قال عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب «السنة» بسنده إلى يزيد بن هارون قال: «من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما تقرر[(١)] في قلوب العامة فهو جهمي»[(٢)]. قال شيخ الإسلام: «والذي تقرر في قلوب العامة هو ما فطر الله تعالى عليه الخليقة من توجُّهها إلى ربها تعالى عند النوازل والشدائد والدعاء والرغبات إليه تعالى نحو العلو، لا يلتفتون يمنة ولا يسرة، من غير موقف وقّفهم عليه، ولكن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وما من مولود إلا وهو يولد على هذه الفطرة، حتى يجهمه وينقله إلى التعطيل من يقيض له». اهـ.

قول عبد الرحمن بن مهدي: وروى عنه غير واحد بإسناد صحيح أنه قال: «إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن الله كلَّم موسى، وأن يكون على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم»[(٣)].

قال علي بن المديني: «لو حُلِّفتُ، لحلفت بين الركن والمقام أني ما رأيت أعلم من عبد الرحمن بن مهدي»[(٤)].

---

(١) كذا في الأصل، وفي المصادر الآتية «يَقِرُ» وضبطه الذهبي في «العلو» بقوله: «يَقِرُ: مخفف، والعامة مراده بهم جمهور الأمة وأهل العلم». وذكر كلاماً نحو كلام شيخه ابن تيمية الآتي.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١٢٣)، وأبو داود في «مسائله» (١٧٣٣)، وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» (٦٣)، وابن بطة في «الإبانة» (٣/ ١٦٥)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١٠٣١)، وغيرهم.

(٣) أخرجه أبو داود في «المسائل» (٢٦٢)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١١٩)، والنجاد في «الرد على من يقول: القرآن مخلوق» رقم (١)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٣١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٥٤٦)، وأبو نعيم (٩/ ٧)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢/ ٣١٦)، وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» (٧٥)، وابن البنا في «المختار في السنة» رقم (٤٥)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١٠٣٨)، و«السير» (٩/ ١٩٩ ـ ٢٠٠، ٢٠٤)، و«تاريخ الإسلام» (ص٢٨٧ ـ ٢٨٨ وفيات ١٩٨)، وفي «الأربعين» رقم (١١)، وصححه ابن تيمية في «الفتاوى» (٥/ ١٨٤)، وفي «الحموية» (٢٧٤).

(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم في «تقدمة الجرح والتعديل» (ص٢٥٢)، والذهبي في «السير» (٩/ ١٩٨)، وابن رجب في «شرح العلل» (١/ ١٥٨)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ١٠٣٨)، وابن حجر في «التقريب» في ترجمة ابن مهدي وهو في «سنن الترمذي» (٤/ ٤٥١)، وانظر: «الإمام علي بن المديني ومنهجه في نقد الرجال» لإكرام الله إمداد الحق (ص٢٠١).

قول سعيد بن عامر الضُّبعي إمام أهل البصرة على رأس المائتين.

روى ابن أبي حاتم عنه في كتاب «السنة» أنه ذكر عنده الجهمية فقال: «هم شر قولاً من اليهود والنصارى، وقد أجمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء»[1]. اهـ.

قول عباد بن العوام أحد أئمة الحديث بواسط قال: «كلمت بشراً المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم يقولون: ليس في السماء شيء، أرى والله أنه لا يناكحون ولا يوارثون»[2]. اهـ.

قول عبد الله بن مسلمة القعنبي: شيخ البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى

قال بيان[3] بن أحمد: كنا عند القعنبي فسمع رجلاً من الجهمية يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استولى، فقال القعنبي: «من لا يؤمن أن الرحمٰن على العرش استوى كما تقرر في قلوب العامة فهو جهمي»[4].

قال البخاري محمد بن إسماعيل في كتاب «خلق أفعال العباد» عن يزيد بن هارون مثله سواء[5] وقد تقدم. اهـ.

قول علي بن عاصم[6] شيخ الإمام أحمد رحمهما الله تعالى صح عنه أنه قال: «ما الذين قالوا: إن لله سبحانه ولداً، أكفر من الذين قالوا: إن الله سبحانه لم يتكلم». وقال: «احذروا من المريسي وأصحابه، فإن كلامهم الزندقة وأنا

---

(١) ذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» (١٨)، وابن تيمية في «الدرء» (٦/ ٢٦١)، و«الفتاوى» (٥/ ١٨٤)، وابن القيم في «تهذيب السنن» (٧/ ١٦)، و«مختصر الصواعق» (٣٧٥)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١٠٣٣).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١٢٦)، والخلال في «السنة» (٤/ ١١٣)، والخطيب في «تاريخه» (٧/ ٥٨)، وذكره ابن تيمية في «الحموية» (ص٢٧٣)، وفي «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٦١)، والذهبي في «العلو» (٢/ ٩٩٧).

(٣) كذا في الأصل، و«طبقات الحنابلة» (١/ ١١٩)، وفي بعض مصادر الخبر: «بنان»!.

(٤) ذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ١٠٦٥)، وعزاه لعبد العزيز القحيطي في «تصانيفه» وقال: «والمراد بالعامة: عامة أهل العلم».

(٥) سبق ذكره وتوثيقه.

(٦) كذا في الأصل! وصوابه «عاصم بن علي بن عاصم» وهو الواسطي، شيخ البخاري لا أحمد، قال أحمد: ما أقلّ خطأه، قد عُرض عليَّ بعضُ حديثه. انظر له: «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٤٧)، «تهذيب الكمال» (١٣/ ٥٠٩).

كلَّمْتُ أستاذهم فلم يُثبِتْ أن في السماء إلهاً»[١] حكاه عنه غير واحد ممن صنف في السنة، وقال يحيى [بن عاصم] بن علي بن عاصم: كنت عند أبي، فاستأذن عليه المريسي فقلت له: يا أبت مثل هذا يدخل عليك! فقال: وما له؟ فقلت: إنه يقول: إن القرآن مخلوق، ويزعم أن الله معه في الأرض... وكلاماً ذكرته، فما رأيته اشتد عليه ـ مثل ما اشتد عليه ـ قوله: إن القرآن مخلوق، وقوله: «إن الله معه في الأرض»[٢] ذكر هذين الأثرين عنه عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية». اهـ.

قول وهب بن جرير رحمه الله تعالى: صح عنه أنه قال: «إياكم ورأي جهم، فإنهم يحاولون أنه ليس في السماء شيء، وما هو إلا من وحي إبليس، وما هو إلا الكفر»[٣]، حكاه محمد بن عثمان الحافظ في «رسالته في السنة».

وقال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب «خلق أفعال العباد»: وقال وهب بن جرير: «الجهمية الزنادقة إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى»[٤]. اهـ.

قول عاصم بن علي: شيخ البخاري أحد الأئمة الحفاظ الثقات حدث عن شعبة وابن أبي ذئب والليث رحمهم الله تعالى قال الخطيب: «وجه المعتصم من يحزر مجلسه في جامع الرَّصافة، وكان عاصم يجلس على سطح الرَّحبة ويجلس الناس في الرحبة وما يليها، فعظُم الجمع مرة جداً حتى قال: أربع عشرة مرة حدثنا الليث بن سعد، والناس لا يسمعون لكثرتهم، فحزر المجلس فكان عشرين ومائة ألف رجل»[٥].

قال يحيى بن معين فيه: هو سيد المسلمين، قال عاصم: ناظر جهمياً فتبين

---

(١) ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٤٨)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٣/ ٥١٣)، وابن تيمية في «الحموية» (٢٧٧)، وفي «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٦١)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١٠٦٩).

(٢) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢١٧).

(٣) ذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٦)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (١٠١)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١٠٣٩)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٣٧).

(٤) ذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» (٦).

(٥) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٤٨) بتصرف وكذا «تهذيب الكمال» (١٣/ ٥١٣ ـ ٥١٤).

من كلامه أنه اعتقد أن ليس في السماء رب[١].

قال شيخ الإسلام: «كان الجهمية يدورون على ذلك[٢] ولم يكونوا يصرحون به، لوفور السلف والأئمة وكثرة أهل السنة فلما بعد العهد وانقرض الأئمة صرح أتباعهم بما كان أولئك يشيرون إليه ويدورون حوله». قال: «وهكذا ظهرت البدع كلما طال الأمر وبعد العهد اشتد أمرها وتغلظت»[٣] قال: «وأول بدعة ظهرت في الإسلام بدعة القدر والإرجاء، ثم بدعة التشيع إلى أن انتهى الأمر إلى الاتحاد والحلول وأمثالهما»[٤].

قول الإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني صاحب الشافعي رحمهما الله تعالى

له كتاب في «الرد الجهمية»، قال فيه: «باب قول الجهمية إن معنى استوى: استولى، من قول العرب: استوى الفاطمي[٥] على مصر، يريدون استولى عليها، قال: فيقال له: هل يكون خلق من خلق الله أتت عليه مدة ليس بمستول عليه؟ فإذا قال: لا، قيل له: فمن زعم ذلك فهو كافر، فيقال له: يلزمك أن تقول: إن العرش أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه، وذلك لأنه أخبر أنه سبحانه خلق العرش قبل السموات والأرض ثم استوى عليه بعد خلقهن، فيلزمك أن تقول: المدة التي كان العرش[٦] قبل خلق السمٰوات والأرض ليس الله تعالى بمستولٍ عليه فيها» ثم ذكر كلاماً طويلاً في تقرير العلو والاحتجاج عليه.اهـ.

ذكر قول جرير بن عبد الحميد شيخ إسحاق بن راهويه وغيره من الأئمة

قال: «كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إلٰه»[٧]. رواه ابن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية».اهـ.

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٤٨)، و«تهذيب الكمال» (١٣/ ٥١٣)، و«العلو» (٢/ ١٠٦٩)، وتقدم قريباً.

(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «على هذا».

(٣) انظر: «العقيدة الأصفهانية» (ص٢٣٧) نحوه.

(٤) انظر: «العقيدة الأصفهانية» (٢٣٧).

(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «فلان».

(٦) بعدها في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «فيها».

(٧) ذكره ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٦٥)، وعزاه لابن أبي حاتم في «الرد على الجهمية»، وذكره أيضاً الذهبي في «العلو» (٢/ ٩٨٥)، و«الأربعين» (ص٩٤).

ذكر قول عبد الله بن الزبير الحميدي أحد شيوخ النُّبل، شيخ البخاري إمام أهل الحديث والفقه في وقته، وهو أول رجل افتتح به البخاري «صحيحه».

قال: «وما نطق به القرآن والحديث، مثل: قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، ومثل: قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧] وما أشبه هذا من القرآن والحديث لا نزيد فيه ولا نفسِّره، ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة، ونقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ومن زعم(١) غير هذا فهو معطل(٢) جهمي»(٣).

وليس مقصود السلف بأن من أنكر لفظ القرآن يكون جهمياً مبتدعاً، فإنه يكون كافراً زنديقاً، وإنما مقصودهم من أنكر معناه وحقيقته(٤).

قول نعيم بن حماد الخزاعي أحد شيوخ النبل شيخ البخاري.

قال في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]: معناه: لا يخفى عليه خافية بعلمه»(٥)، قال البخاري: سمعته يقول: «من شبَّه الله تعالى بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله تعالى به نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيهاً»اهـ.(٦).

قول عبد الله بن أبي جعفر الرازي: قال صالح بن الضُّريس جعل عبد الله بن أبي جعفر الرازي يضرب قرابة له بالنعل على رأسه يرى رأي جهم، ويقول: «لا،

---

(١) من مطبوع «أصول السنة» وسقط من الأصل.

(٢) كذا في مطبوع «أصول السنة»، وفي الأصل: «مبطل»!

(٣) هو في «أصول السنة» للحميدي (٢/٥٤٦ ـ ٥٤٧ ـ آخر «مسنده») و(ص٤٢، ط. دار ابن الأثير)، وابن منده في «التوحيد» (٣/٤٠٩)، وابن قدامة في «ذم التأويل» رقم (٣٩)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/١٠٧٠)، وفي «إثبات اليدين لله» رقم (٦٣)، وفي «تذكرة الحفاظ» (٢/٤١٤)، وفي «الأربعين» رقم (٨٧)، وفي «تاريخ الإسلام» (ص٢١٣ وفيات ٢١٩)، وقال ابن تيمية في «الفتاوى» (٤/٦): «وثبت عن الحميدي...».

(٤) ذكره الذهبي في «العلو» (٢/١٠٩٢)، وفي «السير» (١٠/٦١١)، وفي «الأربعين» (٤٨)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٢١).

(٥) هذا قول ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٢٠) قاله على إثر قول الحميدي السابق.

(٦) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/١٦٣)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/٥٣٢)، والذهبي في «السير» (١٠/٦١٠) ـ **وصححه** ـ، وفي «العلو» (٢/١٠٩٣)، وذكره عبد الغني في «عقيدته» (ص١٥٧)، وابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/١٩٦).

حتى يقول: الرحمٰن على العرش استوى بائن من خلقه»[1] ذكره عبد الرحمٰن بن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية». اهـ.

قول الحافظ أبي معمر القَطِيعي[2] رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه قال: «آخر كلام الجهمي أنه ليس في السماء إلٰه»[3]. اهـ.

قول بشر بن الوليد وأبي يوسف رحمهما الله تعالى: روى ابن أبي حاتم قال: جاء بشر بن الوليد إلى أبي يوسف فقال له: تنهاني عن كلام بشر المريسي[4] وعلي الأحول وفلان يتكلمون، فقال: وما يقولون؟ قال: يقولون: إن الله في كل مكان، فبعث أبو يوسف، وقال: عليَّ بهم فانتهوا إليه، وقد قام[5] بشر فجيء بعَلِي الأحول والشيخ الآخَر، فنظر أبو يوسف إلى الشيخ وقال: لو أن فيك موضع أدب لأوجعتك، وأمر به إلى الحبس وضرب علي الأحول وطُوِّف به»[6] وقد استتاب أبو يوسف بشراً المريسي لما أنكر أن يكون الله فوق عرشه، وهي قصة مشهورة ذكرها عبد الرحمٰن ابن أبي حاتم وغيره، وأصحاب أبي حنيفة المتقدمون على هذا.

قال محمد بن الحسن: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن الرسول ﷺ في صفات الرب ﷻ، من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسَّر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن آمنوا[7] بما في الكتاب والسنة، ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق

---

(١) ذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ١٠٤٨)، وانظر له: «السنّة» للالكائي (٢/ ٣٠١، ٣٠٣).

(٢) كذا في مطبوع «العلو»، وهو الصواب، فهو إسماعيل بن إبراهيم بن معمر الهذلي، أبو معمر القطيعي من شيوخ البخاري ومسلم، توفي سنة ٢٣٦هـ، وكان من أئمة السنة، ترجمته في «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٦٦)، «تهذيب الكمال» (٣/ ١٩)، وفي الأصل: «القطعي»!.

(٣) ذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ١١٠٥)، وفي «تاريخ الإسلام» (ص١٠٢ وفيات ٢٣٦).

(٤) في مطبوع «العلو»: «الكلام وبشْر المريسي».

(٥) في الأصل: «قال» والتصويب من المصادر.

(٦) ذكره ابن تيمية في «نقض التأسيس» (٢/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦)، والذهبي في «العلو» (٢/ ٩٩٩)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش» (٢٢٢).

(٧) في مطبوع «شرح أصول الاعتقاد»: «أفتوا»!

الجماعة؛ لأنه وصفه بصفة لا شيء»[١].

وقال محمد رحمه الله تعالى أيضاً في الأحاديث التي جاءت أن الله تعالى يهبط إلى سماء الدنيا ونحو هذا: «هذه الأحاديث قد رواها الثقات، فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها»[٢] ذكر ذلك عنه أبو القاسم اللالكائي، وهذا تصريح منه بأن من قال بقول جهم فقد فارق جماعة المسلمين، وقد ذكر الطحاوي في اعتقاد أبي حنيفة وصاحبيه رحمهم الله تعالى ما يوافق هذا وأنهم أبرأ الناس من التعطيل والتجهم، وقال في عقيدته المعروفة: «وأنه تعالى محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه»[٣]اهـ.

قول سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى: ذكر الثعلبي عنه في «تفسيره» قال ابن عيينة: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ صعد. اهـ[٤].

قول خالد بن سليمان أبي معاذ البَلْخيّ أحد الأئمة رحمه الله تعالى.

روى عبد الرحمٰن بن أبي حاتم عنه بإسناده قال: كان جهم على معبر ترمذ، وكان فصيح اللسان لم يكن له علم ولا مجالسة أهل العلم، فكلَّمه السُّمنَية، فقالوا: صف لنا ربك الذي تعبده، فدخل البيت لا يخرج ثم خرج إليهم بعد أيام، فقال: هو هذا الهواء مع كل شيء، وفي كل شيء، ولا يخلو منه شيء، قال أبو معاذ: كذب عدو الله، إن الله في السماء على العرش، كما وصف نفسه»[٥].

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣)، وعنه الذهبي في «العلو» (٢/ ١٠٠٨)، وفي «الأربعين في صفات رب العالمين» رقم (٨٣)، وابن قدامة في «ذم التأويل» رقم (١٣)، **وصححه** ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤ ـ ٥) وقال: «فانظر ـ رحمك الله ـ إلى هذا الإمام كيف حكى الإجماع في هذه المسألة ولا خير فيما خرج عن إجماعهم»، وذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٢٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: «العقيدة الطحاوية» (ص١٩).

(٤) لم أجده من كلام ابن عيينة، وإنما وجدته من كلام أبي عبيدة وقد سبق ذكره، ولم أظفر به في تفسير الثعلبي المسمى بـ«الكشف والبيان» في جميع المواطن التي ذكر فيها الاستواء على العرش عن ابن عيينة، وفيه (٤/ ٢٣٨) عن أبي عبيد! ويغني عنه قول ابن عيينة في تفسير الآية: «كل ما وصف الله من نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه». انظر: «تفسير سفيان بن عيينة» (ص٢٤٨) لأحمد صالح محايري.

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٣٨٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٣٧) **وإسناده صحيح**.

وهذا صحيح عنه وأول من عُرِف عنه في هذه الأمة أنه نفى[1] أن يكون الله فوق[2] سماواته على عرشه هو جهم بن صفوان، وقبله الجعد بن درهم، ولكن الجهم هو الذي دعا إلى هذه المقالة وقررها وعنه أُخِذَت، فروى ابن حاتم وعبد الله بن أحمد في كتابيهما في «السنة» عن شجاع بن أبي نصر أبي نعيم البلخي ـ وكان قد أدرك جهماً ـ قال:

كان لجهم صاحب يكرمه ويقدّمه على غيره، فإذا هو قد وقع به فصيح به وبُدِرَ به، وقيل له: لقد كان يكرمك، قال: إنه قد جاء منه ما لا يُحتَمل، بينما هو يقرأ طه والمصحف في حجره، فلما أتى على هذه الآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فقال: لو وجدت السبيل إلى أن أحكّها من المصحف لفعلت، فاحتملت هذه، ثم إنه بينما هو يقرأ آية إذ قال: ما أظرف محمداً حين قالها، ثم بينما هو يقرأ ﴿طسٓمٓ ۝١﴾ القصص والمصحف في حجره إذ مر بذكر موسى عليه الصلاة والسلام، فدفع المصحف بيديه ورجليه، وقال: أي شيء هذا ذكره هاهنا؟ فلم يتم ذكره»[3].

فهذا شيخ النافين لعلوّ الربِّ على عرشه ومباينته من خلقه، وذكر ابن أبي حاتم عنه بإسناده عن الأصمعي قال: «قدمتْ امرأةُ جهم، فقال رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: محدود على محدود، فقال الأصمعي: هي كافرة بهذه المقالة»[4]. أما[5] هذا الرجل وامرأته فما أَوْلاه بأن يصلى ﴿نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾. اهـ.

قول إسحاق بن راهويه إمام أهل المشرق، نظير أحمد رحمهما الله تعالى

قال حرب بن إسماعيل الكرماني صاحب أحمد: قلت لإسحاق بن راهويه:

---

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «إنكار».

(٢) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وفي الأصل: «في»!

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١٦٧)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٧٠) وعنه المزي في «تهذيب الكمال» (١٢/ ٣٨٢)، وابن بطة في «الإبانة» رقم (٣٢٢، ٣٢٣)، وذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص٢٢٤ ـ ٢٢٥)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١٠١٥) وقال شيخنا الألباني في «مختصر العلو» (ص١٦٣): «وهذا سند **صحيح**».

(٤) ذكره ابن تيمية في «الحموية» (ص٢٧٥ ـ ٢٧٦)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص٢٢٥)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١٠٤١)، وفي «الأربعين» (١٢).

(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «فهذه المقالة إماماها».

قول الله ﷻ ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] كيف تقول فيه؟ قال: «حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه» ثم قال: «وأعلى كل شيء من ذلك وأثبته قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]»[١].

وقال الخلال في كتاب «السنة» بسنده إلى إسحاق بن راهويه قال الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] «إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كُلَّ شيء في[٢] أسفل الأرض السابعة، وفي قعور البحار ورؤوس الجبال وبطون الأودية وفي كل موضع، كما يعلم ما في السمٰوات السبع، وما دون العرش، أحاط بكل شيء علماً ولا يسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، إلا قد عرف ذلك كله وأحصاه، لا يعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره»[٣].

وقال السراج: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: «دخلت يوماً على طاهر بن عبد الله وعنده منصور بن طلحة، فقال لي منصور: يا أبا يعقوب! تقول: إن الله ينزل كل ليلة، قلت له: ونؤمن به إذا أنت لا تؤمن أن الله في السماء، لا تحتاج أن تسألني، فقال طاهر: ألم أنهك عن هذا الشيخ»[٤].

ذكر قول حافظ الإسلام يحيى بن معين رحمه الله تعالى: روى ابن بطة عنه في «الإبانة» بإسناده قال: «إذا قال لك الجهمي: كيف ينزل؟ فقل: كيف يصعد؟»[٥]. اهـ.

---

(١) ذكره الدشتي في «إثبات الحد»، وابن بطة في «الإبانة» (٣/ ١٦١)، وابن تيمية في «نقض التأسيس» (١/ ٤٣٨)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١١٢٢)، وفي «السير» (١١/ ٣٧٠)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٢٦).

(٢) من مطبوع «العلو»، وسقطت من الأصل.

(٣) ذكره ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٦٠)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص٢٢٦)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١١٢٨) ـ وعلق عليه بقوله: «اسمعوا ويحكم إلى هذا الإمام كيف نقل الإجماع على هذه المسألة الشريفة» ـ، وذكره في «السير» (١١/ ٣٧٠) أيضاً.

(٤) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٧٥) **وصححه** الذهبي في «الأربعين» رقم (٥٩)، وفي «السير» (١١/ ٣٧٦)، وذكره ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٢٥٤)، وصححه في «شرح حديث النزول» (١٥٢)، وذكره ابن المحب في «الصفات» (١١٣)، والهروي في «ذم الكلام» (ص٢٦٢).

(٥) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ٢٠٦)، وذكره أبو يعلى في «إبطال التأويلات» (١/ ٥١)، =

قول الإمام حافظ أهل المشرق وشيخ الأئمة عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله:
قال فيه أبو الفضل القرَّاب[(١)]: «ما رأيت مثل عثمان بن سعيد الدارمي ولا رأى عثمان مثل نفسه، أخذ الأدب عن ابن الأعرابي، والفقه عن البُوَيطي، والحديث عن يحيى بن معين وعلي ابن المديني»[(٢)]، وأثنى عليه أهل العلم، صاحب كتاب «الرد على الجهمية» و«النقض على بشر المريسي» وقال في كتابه: «النقض على بشر»: «وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه فوق سمواته لا ينزل قبل يوم القيامة [العقوبة أحد من خلقه][(٣)] إلى الأرض، ولم يشكُّوا أنه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده ويحاسبهم ويثيبهم وتشقق السمٰوات يومئذٍ لنزوله، وينزّل الملائكة تنزيلاً: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] كما قال الله به سبحانه ورسوله ﷺ، فلمّا لم يشكّ المسلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لشيء من أمور الدنيا، علموا يقيناً أن ما يأتي الناس من العقوبات إنما هو أمره وعذابه، فقوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦] إنما هو أمره وعذابه[(٤)]»[(٥)].

وقال: «علمه بهم [من فوق العرش][(٦)] محيط، وبصره فيهم نافذ، وهو بكماله فوق عرشه والسمٰوات، ومسافة[(٦)] بينهن[(٧)] وبينه وبين خلقه في الأرض فهو كذلك معهم، خامسهم وسادسهم، وإنما يعرف فضل الربوبية وعظم القدرة بأن الله من فوق عرشه، ومع بعد المسافة بينه وبين الأرض يعلم ما في الأرض»[(٧)]. وقال في موضع آخر من الكتاب: «والقرآن كلام الله، وصفة من

= وابن القيم في «اجتماع الجيوش» (٢٢٧ ـ ٢٢٨)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١١٠٧)، وفي «الأربعين» (٥٨) وبنحوه عند اللالكائي (٧٦٦)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٥١)، وانظر: «الحموية» (٢٩٣ ـ ٢٩٤)، «شرح حديث النزول» (١٥٥).

(١) تحرف في الأصل إلى «الفرات»!

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٦٣)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ١١٨٣) بتمامه، وفي «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٢٢) القسم الأول منه.

(٣) من مطبوع «النقض على بشر المريسي»، وسقط من الأصل.

(٤) في مطبوع «النقض على بشر المريسي»: «يعني مكره من قبل قواعد بنيانهم».

(٥) انظر: «النقض على بشر المريسي» (١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) بتصرف يسير.

(٦) من مطبوع «النقض على بشر المريسي»، وسقط من الأصل.

(٧) انظر: «النقض على بشر المريسي» (١/ ٤٤٣).

صفاته، خرج منه كما شاء أن يخرج، والله بكلامه وعلمه وقدرته وسلطانه وجميع صفاته غير مخلوق وهو بكماله على عرشه»[١] وقال في موضع آخر وذكر حديث البراء بن عازب الطويل في شأن الروح وقبضها ونعيمها وعذابها وفيه: «**فيصعد بروحه حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله ﷻ، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين في السماء السابعة، وأعيدوه إلى الأرض**». وذكر الحديث[٢] ثم قال: «وفي قوله: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] دلالة ظاهرة أن الله تعالى فوق السمٰوات؛ لأنه لو لم يكن فوق السماء لما عرج بالأرواح والأعمال إلى السماء، ولما غلقت أبواب السماء عن قوم وفتحت لآخرين»[٣].

وقال في موضع آخر: «وقد بلغنا أن حملة العرش حين حملوا العرش وفوقه الجبار جل جلاله في عزته وبهائه ضعفوا عن حمله واستكانوا وجثوا على ركبهم، حتى لقّنوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فاستقلوا به بقدرة الله وإرادته».

ثم ساق بإسناده عن معاوية بن صالح: «أول ما خلق الله حين كان عرشه على الماء حملة العرش. فقالوا: ربنا لمَ خلقتنا؟ فقال: خلقتكم لحمل عرشي، فقالوا: ربنا ومن يقوى على حمل عرشك، وعليه جلالك وعظمتك ووقارك؟ فقال لهم: إني خلقتكم لذلك، قال: فيقول ذلك مراراً، قال: فقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله»[٤].

وقال في موضع آخر: «ولكنا نقول: رب عظيم، وملك كبير، نور السمٰوات والأرض، وإلٰه السموات والأرض، على عرش عظيم مخلوق[٥] فوق السماء السابعة دون ما سواها من الأماكن، من لم يعرفه بذلك كان كافراً به وبعرشه»[٦].

وقال في موضع آخر في حديث حصين «**كم تعبد**»؟: «فلم ينكر النبي ﷺ على حصين[٧] إذ عرف أن إلٰه العالمين في السماء، كما قال[٨] النبي ﷺ،

(١) انظر: «النقض على بشر المريسي» (٢/ ٨٩٩).
(٢) سبق لفظه وتخريجه.
(٣) انظر: «الرد على الجهمية» (ص٥٨) بتصرف.
(٤) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٩) تعليقاً.
(٥) في مطبوع «النقض على بشر المريسي»: «مخلوق عظيم».
(٦) انظر: «النقض على بشر المريسي» (١/ ٤٤١ ـ ٤٤٢).
(٧) في مطبوع «النقض على بشر المريسي»: «على الكافر».
(٨) في مطبوع «النقض على بشر المريسي»: «قاله»، والحديث مضى لفظه وتخريجه.

فحصين قبل إسلامه كان أعلم بالله الجليل من المريسي وأصحابه، مع ما ينتحلون من الإسلام، إذ ميز بين الإله الخالق الذي في السماء، وبين الآلهة والأصنام المخلوقة التي في الأرض» قال: «وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله سبحانه في السماء وعرفوه[١] بذلك إلا المريسي[٢] وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث»[٣].

وقال: «في قول رسول الله ﷺ للأمة: «**أين الله**»[٤]؟: تكذيب لمن يقول: هو في كل مكان، وأن الله لا يوصف بأين، بل يستحيل أن يقال: أين هو؟ والله فوق سماواته بائن من خلقه، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلٰهه الذي يعبده»[٥].

وكتاباه من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية، ويعظمهما جداً، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما.

قول قتيبة بن سعيد الإمام الحافظ، أحد أئمة الإسلام، وحفاظ الحديث، من شيوخ الأئمة الذين تجملوا[٦] بالحديث عنه:

قال أبو العباس السراج: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: «هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة: نعرف ربنا سبحانه بأنه في السماء السابعة على عرشه، كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقال موسى بن هارون حدثنا قتيبة بن سعيد قال: «نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه، كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]»[٧]. اهـ.

---

(١) في مطبوع «النقض على بشر المريسي»: «وحدوه».
(٢) في مطبوع «النقض على بشر المريسي»: «المريسي الضال».
(٣) انظر: «النقض على بشر المريسي» (١/ ٢٢٨).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) انظر: «الرد على الجهمية» للدارمي (ص٣٩) بتصرف.
(٦) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية» بالجيم، وفي الأصل: «تحملوا» بالحاء المهملة!
(٧) أخرجه أبو أحمد الحاكم في «شعار أصحاب الحديث» (ص٤٠)، وذكره قوام السنة في «الحجة» (٢/ ٤٧٥)، وابن تيمية في «الدرء» (٦/ ٢٦٠)، وابن القيم في «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٩٤)، وفي «اجتماع الجيوش» (ص٢٣١)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١١٠٣) بتمامه، وفي «السير» (١١/ ٢٠) المقطع الأول منه.

قول عبد الوهاب(١) **الوراق أحد الأئمة الحفاظ أثنى عليه الأئمة**، وقيل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من نسأل بعدك فقال: عبد الوهاب، وهو من شيوخ النبل.

قال عبد الوهاب ـ وقد روى حديث ابن عباس «ما بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك(٢)» ـ: «ومن زعم أن الله هاهنا فهو جهمي خبيث، إن الله فوق العرش، وعلمه محيط بالدنيا والآخر»(٣) صح ذلك عنه، حكاه عنه محمد بن عثمان في رسالته في «الفوقية» وقال: «ثقة حافظ» روى عنه أبو داود والترمذي والنسائي مات سنة خمسين ومائتين. اهـ.

قول خارجة بن مصعب رحمه الله تعالى:

قال عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» بسنده إلى خارجة بن مصعب يقول: «الجهمية كفار، أبلغ نسائهم أنهم طوالق، لا يحللن لهم، لا تعودوا مرضاهم، ولا تشهدوا جنائزهم، ثم تلا ﴿طه﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: ٥]»(٤).

قول إمامي أهل الحديث أبي زرعة وأبي حاتم رحمهما الله تعالى: قال عبد الرحمٰن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه أئمة العلم في ذلك؟ فقالا: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً، فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق بجميع جهاته، والقدر خير، وشره من الله عَزَّ وَجَلَّ، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن

---

(١) كذا في مطبوع «العلو»، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» وهو الصواب، وفي الأصل: «عبد الله»!

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٢، ٢٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦١٨، ٨٨٧)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» رقم (٦٦٨)، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» رقم (١٦) عن ابن عباس قوله، **وإسناده لا بأس به**، وعزاه ابن القيم في «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٤٩) إلى أبي أحمد العسال في كتاب «المعرفة»، وقال ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٢٦٢): «موقوف وسنده جيد».

(٣) ذكره ابن تيمية في «نقض التأسيس» (ق٤١/أ)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٠٣)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش» (٢٣٢)، و«الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٤٩ ـ ١٢٥٠).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١٠٥)، وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» (٢٧).

الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب، وأن الله ﷻ على عرشه، بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وأنه سبحانه يُرىٰ في الآخرة، يراه أهل الجنة بأبصارهم ويسمعون كلامه كيف شاء كما شاء، والجنة حق والنار حق وهما مخلوقتان لا يفنيان أبداً، ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفراً ينقل عن الملة، ومن شك في كفره ممن يفهم ولا يجهله فهو كافر، ومن وقف في القرآن فهو جهمي[١]، ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي»[٢].

قال أبو حاتم: «والقرآن كلام الله، وعلمه وأسماؤه وصفاته أمره ونهيه ليس بمخلوق بجهة من الجهات، ونقول: إن الله على عرشه بائن من خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»[٣]. ثم ذكر عن أبي زرعة رحمه الله تعالى أنه سئل عن تفسير قول تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فغضب وقال: «تفسيرها كما تقرأ، هو على العرش استوى، وعلمه في كل مكان، ومن قال غير ذلك فعليه لعنة الله»[٤] وهذان الإمامان إماما أهل الدين وهما من نظراء الإمام (حم) و(خ) رحمهم الله تعالى. اهـ.

قول حرب الكرماني: صاحب أحمد وإسحاق رحمهم الله تعالى، وله مسائل جليلة عنهما.

قال يحيى بن عمار بسنده إلى حرب بن إسماعيل قال: «والماء فوق السماء السابعة، والعرش على الماء، والله على العرش»[٥].

---

(١) في مطبوع «أصل السنة»: «ومن وقف في القرآن جاهلاً عُلِّم، وبُدِّع ولم يُكفَّر».

(٢) انظر: «أصل السنة» لابن أبي حاتم (ص٩ ـ ١٤، ١٩ ـ ٢٠) بتصرف، و«شرح أصول الاعتقاد» (١/ ١٧٦ ـ ١٧٩)، و«فتيا في ذكر الاعتقاد» رقم (٣٠)، و«إثبات صفة العلو» (١١٠)، و«العلو» (٢/ ١٥٥)، و«السير» (١٣/ ٨٤).

(٣) ما بين المعقوفتين مكرر وهذا النص قد سبق في كلامه.

(٤) ذكره ابن تيمية في «الحموية» (٢٦٣)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٣٤)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١١٥٣).

(٥) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٣٤) وبنحوه في «نقض تأسيس الجهمية» (١/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠).

قلت: هذا لفظه في «مسائله»، وحكاه إجماعاً لأهل السنة من سائر أهل الأعصار. اهـ.

قول إمام أهل الحديث علي بن المديني شيخ البخاري، بل شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

قال (غ): «علي ابن المديني سيد المسلمين» قيل له: ما قول الجماعة في الاعتقاد؟ قال: «يثبتون الكلام والرؤية، ويقولون: إن الله تعالى على العرش استوى، فقيل له: ما تقول في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾؟ [المجادلة: ٧]، فقال: اقرؤوا أول الآية يعني بالعلم ـ لأن أول الآية ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[1] [المجادلة: ٧]. قال[2] (غ) في كتاب «خلق أفعال العباد»: «وقال ابن المديني: «القرآن كلام الله غير مخلوق، من قال إنه مخلوق فهو كافر لا يُصلَّى خلفه»»[3].

قول سُنَيد بن داود شيخ البخاري رحمهما الله تعالى:

قال أبو حاتم الرازي عن موسى الطرسوسي[4] قال: قلت لسنيد بن داود: وهو على عرشه بائن من خلقه؟ قال: نعم، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾[5] [الزمر: ٧٥]؟. اهـ.

قول إمام أهل الإسلام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى:

قال في كتاب التوحيد في «صحيحه» باب قول الله ﷻ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] قال أبو العالية: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ارتفع ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ خلقهن»[6]، وقال مجاهد: «﴿ٱسْتَوَىٰ﴾

---

(١) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢٣٤ ـ ٢٣٥)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١١٠٩) وبنحوه عند اللالكائي (٢/ ١٦٥).

(٢) في الأصل: «قاله» وهو خطأ، إذ القول السابق لا ذكر له في «خلق أفعال العباد» للبخاري.

(٣) انظر: «خلق أفعال العباد» (٣٢)، و«تاريخ بغداد» (١١/ ٤٧٢)، و«السير» (١١/ ٥٨).

(٤) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٣٥)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١٠٩١).

(٥) في الأصل الطرطوشي! وصوابه المثبت، ترجمته في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/ ٦١) لأبي الشيخ.

(٦) سبق تخريجه.

علا ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[(١)]» ثم ساق (خ) حديث زينب بنت جحش أنها كانت تفتخر على نساء رسول الله ﷺ فتقول: «زوجكنّ أهاليكنّ، وزوَّجني الله من فوق سبع سمٰوات»[(٢)].

ثم قال: «(باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]) ثم ذكر بعض أحاديث الفوقية، ثم قررها بترجمة أخرى، فقال: (باب قول الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]) ثم ساق في ذلك أحاديث في إثبات صفة الفوقية، ثم قال: (باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]) ثم ذكر الأحاديث الدالة على إثبات الرؤية في الآخرة، ثم قال: (باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ [سبأ: ٢٣]) قال (خ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم يقولوا[(٣)]: ماذا خلق ربكم»[(٤)]؟ ثم ذكر حديث أبي سعيد: «**فينادي بصوت**»[(٥)] وحديث عبد الله بن أنيس وعلّقه[(٦)]: «**فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان**»[(٧)] ومقصوده أن هذا النداء يستحيل أن يكون مخلوقاً، فإن المخلوق لا يقول: أنا

---

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه.

(٣) في مطبوع «صحيح البخاري»: «ولم يقل».

(٤) انظر: «صحيح البخاري» كتاب التوحيد، باب (٣٢) قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ . . .﴾.

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٨٣).

(٦) هذا هو الصواب، وفي الأصل: «وعلقمة»!!

(٧) ذكره البخاري كتاب التوحيد، باب (٣٢) قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ . . .﴾ تعليقاً، ووصله أحمد (٣/ ٤٩٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٠)، وفي «التاريخ الكبير» (٧/ ١٦٩ ـ ١٧٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٤)، و«الآحاد والمثاني» (٢٠٣٤)، والطبراني في «الأوسط» (٨٥٨٨)، وفي «مسند الشاميين» (١٥٦)، والحارث بن أبي أسامة (١/ ١٨٨ ـ بغية الباحث)، والحاكم (٢/ ٤٣٧ و٤/ ٥٧٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٧٨، ٢٧٣)، والخطيب البغدادي في «الرحلة في طلب العلم» (٣١، ٣٢)، و«الجامع لأخلاق الراوي» (١٧٤٨) من حديث عبد الله بن أنيس، وذكر حديثاً طويلاً، فيه القطعة المذكورة. وقال شيخنا الألباني في «الصحيحة» (١/ ٣٠٢): «وإسناده حسن»، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٢٢٩): «إسناده صالح»، وانظر: «تغليق التعليق» (٥/ ٣٥٥).

الملك أنا الديان، فالمنادي بذلك هو الله ﷻ القائل: أنا الملك أنا الديان.اهـ.

قول مسلم بن الحجاج: يعرف قوله في السنة من سياق الأحاديث التي ذكرها ولم يتأولها ولم يذكر لها تراجم كما فعل (خ)، ولكن سردها بلا أبواب، ولكن تعرف التراجم من ذكره للشيء مع نظيره، فذكر في (كتاب الإيمان) كثيراً من أحاديث الصفات، كحديث الإتيان يوم القيامة، وما فيه من التجلي، وكلام الرب لعباده ورؤيتهم إياه(١) وذكر حديث الجارية(٢) وأحاديث النزول(٣) وذكر حديث: «**إن الله يمسك السمٰوات على أصبع، والأرضين على أصبع**»(٤) وحديث: «**يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده**»(٥) وأحاديث الرؤية(٦)، وحديث: «**حتى وضع الجبار فيها قدمه**»(٧). وحديث: «**المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمٰن، وكلتا يديه يمين**»(٨). وحديث: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء**»(٩)؟ وغيرها من أحاديث الصفات، محتجّاً بها، وغير مؤول لها، ولو لم يكن معتقداً لمضمونها لفعل بها ما فعل المتأولون حين ذكرها(١٠).

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أخرجه مسلم (٢٧٨٦) من حديث ابن مسعود.
(٥) أخرجه مسلم (٢٧٨٨) من حديث ابن عمر.
(٦) سبق تخريجها.
(٧) أخرجه مسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس.
(٨) أخرجه مسلم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو.
(٩) سبق تخريجه.
(١٠) كان الإمام مسلم سلفيَّ العقيدة، فقد تأثر بما كان عليه شيوخه من عقيدة صافية، من أمثال شيخه البخاري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي زرعة الرازي، وغيرهم.
ولم تبق لنا إلا إشارات يسيرة في بطون الكتب عن عقيدة هذا الإمام، فذكر ـ مثلاً ـ أبو عثمان الصابوني النيسابوري (المتوفى سنة ٤٤٩هـ) في «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، وذكر فيها «علامات أهل السنة»، وإحدى علاماتهم؛ حبهم لأئمة السنَّة، وعلمائها، وأنصارها، وأوليائها، ونقل عن قتيبة بن سعيد أسماء جماعة من هؤلاء العلماء، وأن حبَّهم علامة لأهل السنَّة، ثم قال (ص٦٧، ٦٩): «وأنا ألحقت بهؤلاء الذين ذكر قتيبة رحمه الله، أن من أحبَّهم، فهو صاحب سنة من أئمة أهل الحديث الذين بهم يقتدون وبهديهم يهتدون، ومن جملتهم وشيعتهم أنفسهم يُعدّون»، وذكر من بينهم الإمام (مسلم بن الحجاج)، وقد حُفِظَتْ لنا آثار يرويها مسلم في إثبات العلوّ لله ﷻ، وكذا كلام له في مسألة اللفظ، وغيرها مما ذكره المصنف رحمه الله، وانظر: «الغنية» (١/ ٢٦٤، ط. العراقية) للجيلاني، وكتابي «الإمام مسلم ومنهجه في الصحيح» (١/ ٤٧).

قول حماد بن هناد البُوشنجي الحافظ: أحد أئمة الحديث في وقته، ذكر شيخ الإسلام الأنصاري فقال: قرأت على أحمد بن منصور: أخبركم جدكم بسنده إلى حماد بن هناد البوشنجي[1]، قال: «هذا ما رأينا عليه أهل الأمصار وما دلَّت عليه مذاهبهم فيه، وإيضاح منهاج العلماء، [وطرق الخلفاء][2]، وصفة السنة وأهلها أن الله فوق السماء السابعة على عرشه، بائن من خلقه، وعلمه وقدرته وسلطانه بكل مكان»[3] [فقال: نعم][2].

قول أبي عيسى الترمذي: قال في «جامعه» لما ذكر حديث أبي هريرة: «**لو أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله**»[4] قال: «معناه[5] لهبط على علم الله، قال: وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان، وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه»[6]. وقال في حديث أبي هريرة: «**إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه**»[7]: «قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا، قالوا: قد ثبتت[8] الروايات في هذا، ونؤمن

---

(١) كذا في الأصل! وصوابه: «قال شيخ الإسلام الهروي أنا ابن العالي أنا جدي منصور حدثني أحمد بن الأشرف نا حماد بن هناد...» به، كذا في مصادر الخبر، وحماد هذا لم أجد له ترجمة!

(٢) غير موجود في مطبوع «العلو».

(٣) ذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ١٢١٣)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٣٤٢).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٠)، والترمذي (٣٢٩٨)، والجورقاني في «الأباطيل» (١/ ٧٣ ـ ٧٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٢٠١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٨) **وإسناده ضعيف**، قتادة مدلس لم يصرح بسماعه عن الحسن، والحسن لم يسمع من أبي هريرة، وقال الترمذي: «غريب من هذا الوجه» وقال الجورقاني: «هذا حديث لا يرجع منه إلى صحة» وأعله ابن الجوزي في «الواهيات» (١/ ١٣ ـ ١٤)، وابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٧)، وابن القيم في «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٤١٥) وشيخنا الألباني ـ رحم الله تعالى الجميع ـ.

(٥) نسبه ابن القيم رحمه الله للترمذي من كلامه والصواب أنه من كلام غيره إذ إنه قال على إثر الحديث: «وفسَّر بعضُ أهل العلم هذا الحديث فقالوا: إنما هبط على علم الله...».

(٦) انظر: «الجامع» للترمذي (٣٢٩٨)، و«العلو» (٢/ ١١٩٤).

(٧) أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٤)، والترمذي (٦٦٢)، والحاكم (٢/ ٣٣٣) وأصله عند البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

(٨) في مطبوع «جامع الترمذي»: «تثبت».

به ولا نؤوّله ولا نقول: كيف، هكذا روي عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمّروها بلا كيف».

قال: «وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأمّا الجهمية فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه، وقد ذكر الله تعالى في غَيْر موضع من كتابه اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات وفسَّروها على غَيْر ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وإنما معنى اليد هٰهنا القوة، فقال[1] إسحاق بن راهويه: إنما يكون التشبيه إذا قال: يدٌ كيدي، ومثل يدي، أو سمع كسمعي فهذا تشبيه وأما إذا قال كما قال يد وسمع وبصر فلا يقول كيف، ولا يقول: مثل سمعي ولا كسمعي، فهذا لا يكون تشبيهاً عنده قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»[2].

هذا كله كلامه، وقد ذكره عنه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه «الفاروق» بإسناده وكذلك من تأمل تبويب ابن ماجه في (السنة والرد على الجهمية) في أول «كتابه» وتبويب أبي داود فيما ذكر في (الجهمية والقدرية) وسائر أئمة أهل الحديث علم مضمون قولهم، وأنهم كلهم على طريقة واحدة، وقول واحد، ولكن بعضهم بَوّب وترجم ولم يزد على الحديث غير التراجم والأبواب، وبعضهم زاد التقرير وإبطال قول المخالف، وبعضهم سرد الأحاديث ولم يترجم لها، وليس فيهم من أبطل حقائقها وحرّفها عن مواضعها، وسمَّى تحريفها تأويلاً، كما فعلته الجهمية، بل الذي بين أهل الحديث والجهمية من الحرب أعظم مما بين عسكر الكفر وعسكر الإسلام.

وابن ماجه[3] قال في أول «سننه»: (باب ما أنكرت الجهمية) ثم روى أحاديث الرؤية[4]، وحديث: «**أين كان ربنا**»[5]، وحديث جابر: «**بينما أهل الجنة**

---

(١) في مطبوع «جامع الترمذي»: «وقال». (٢) انظر: «جامع الترمذي» (٦٦٢).

(٣) في الأصل (د)! وهو خطأ، وصوابه المثبت، وكذا في المصادر، كـ«اجتماع الجيوش الإسلامية»، و«العلو» (٢/ ١١٩٦) وهو الصواب الموافق للنقل، والله الهادي.

(٤) انظر: «سنن ابن ماجه» (١٧٧ ـ ١٨١) وتقدم تخريج أحاديث الرؤية.

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ١١)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٤٦)، والترمذي (٣١٠٩)، وابن ماجه (١٨٢)، وابن حبان (٩/ ٦ ـ ٧ ـ التعليقات الحسان) من حديث أبي رزين العقيلي. **وإسناده ضعيف، وضعفه** شيخنا الألباني، وسبق تخريجه مفصلاً.

في نعيمهم إذ سطع لهم نور من فوقهم»[1]، وحديث الأوعال الذي فيه: **«والعرش فوق ذلك والله فوق العرش»**[2] وحديث: **«إن الله ليضحك إلى ثلاثة»**[3]. وغيرها من الأحاديث.اهـ.

قول الحافظ أبي بكر الآجري، إمام عصره في الحديث والفقه:

قال في كتابه «الشريعة»[4]: (باب التحذير من مذهب الحلولية): «الذي[5] يذهب إليه أهل العلم أن الله على عرشه فوق سمٰواته، وعلمُهُ محيط بكل شيء قد أحاط بجميع ما خلق في السموات العلى، وبجميع ما خلق في سبع أرضين، تُرفع إليه أعمال العباد، فإن قال قائل: فما معنى قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]؟ قيل له: عِلمه معهم، والله ﷻ على عرشه، وعلمه محيط بهم، كذا فسَّره أهل العلم، والآية تدل[6] أولها وآخرها على أنه العِلم وهو على عرشه، هذا قول المسلمين»[7].اهـ.

قول الحافظ أبي الشيخ عبيد الله بن محمد بن حيان الأصبهاني:

قال في كتاب «العظمة»: «ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه وعظمة[8] خلقهما، وعلو الرب جل جلاله فوق عرشه»[9]. ثم ساق كثيراً من أحاديث هذا الباب بإسناده.

---

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٠٠)، وأحمد (٣/ ٨٠)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٩)، وأبو يعلى (١٠٠٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٧٢)، وأحمد بن منيع ـ كما في «مصباح الزجاجة» (١/ ٨٧) وقال: «هذا إسناد فيه مقال» ـ من حديث أبي سعيد الخدري رفعه.
وإسناد ضعيف، فيه مجالد بن سعيد.
نعم، أخرجه بنحوه البزار (٥/ ٧ ـ زوائده)، ولكن فيه محمد بن أبي ليلى، وفيه كلام كثير؛ لسوء حفظه لا لِكذبه. قاله الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٥٦) وفاته الإعلال بعطية العوفي! وفيه مخالفة، فالحديث لأبي الوداك عن أبي سعيد، ومداره من رواية مجالد عن أبي الوداك.

(٤) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وهو الصواب، وفي الأصل: «الشريف»!

(٥) في مطبوع «الشريعة»: «والذي». (٦) في مطبوع «الشريعة»: «يدل».

(٧) انظر: «الشريعة» (٣/ ١٠٧٣ ـ ١٠٧٦) بتصرف.

(٨) في مطبوع «العظمة»: «وعظم». (٩) انظر: «العظمة» (٢/ ٥٤٣).

قول الحافظ زكريا بن يحيى الساجي إمام أهل البصرة:

قال أبو عبد الله بن بطة: حدثنا أبو الحسن أحمد بن زكريا بن يحيى الساجي قال: قال أبي: «القول في السنة التي رأيتُ عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم: إن الله تعالى على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، . . .»(١) ثم ذكر بقية الاعتقاد، ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في «طبقات الفقهاء» وقال: «أخذ عن الربيع والمزني، وله كتاب «اختلاف الفقهاء» وكتاب «علل الحديث» وهو شيخ أبي الحسن الأشعري في الفقه والحديث»(٢).

ذكر ما حكاه أبو نصر السِّجْزي عن أهل الحديث:

قال: «وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن زيد والفضيل وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته، وأن علمه بكل مكان»(٣).

قول الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، إمام أهل الحديث والفقه في وقته:

قال في رسالته المشهورة في «السنة»: «وإن الله فوق سماواته(٤) على عرشه [بائن من خلقه]»(٥) ثم ساق بإسناده عن ابن المبارك أنه قال: نعرف ربنا تبارك وتعالى بأنه فوق سبع سماواته على عرشه، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت

---

(١) ذكره ابن تيمية في «نقض التأسيس» (٢/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش» (٢٤٥)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١٢٠٣).

(٢) قاله ابن السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ٢٩٩) عن كتاب «اختلاف الفقهاء»: «هو عندي في مجلد ضخم» وقال الذهبي في «السير» (١٤/ ١٩٧) عن كتاب «العلل»: «يدل على تبحُّره وحفظه» وما سبق عند الشيرازي في «طبقات الفقهاء» (ص١٠٤ ـ تحقيق إحسان عباس).

(٣) انظر: «الرد على من أنكر الحرف والصوت» للسجزي (ص١٢٦ ـ ١٢٧)، وذكره ابن تيمية في «درء التعارض» (٦/ ٢٥٠)، و«نقض التأسيس» (٢/ ٣٨، ٤١٦ ـ ٤١٧، ٤٤٦)، وابن القيم في «الصواعق» (٤/ ١٢٨٤)، و«مختصره» (ص٣٧٥)، والذهبي في «السير» (١/ ٦٥٦)، وفي «العلو» (٢/ ١٣٢١)، وقال: «قلت: هذا الذي نقله عنهم مشهور محفوظ، سوى كلمة (بذاته)، فإنها من كيسه، نسبها إليهم بالمعنى؛ ليفرّق بين العرش وبين ما عداه من الأمكنة». قال أبو عبيدة: انظر ما قدمناه عنها (ص١٥٣).

(٤) في مطبوع «عقيدة السلف»: «سبع سماوات».

(٥) غير موجود في مطبوع «عقيدة السلف».

الجهمية أنه ههنا في[(١)] الأرض»[(٢)]. ثم قال بسنده إلى ابن خزيمة قال: «من لم يقر بأن الله على عرشه[(٣)] فوق سبع سمواته فهو كافر بربه حلال الدم يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابل حتى لا يتأذى به المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته، وكان ماله فيئاً، ولا يرثه أحد من المسلمين؛ إذ المسلم لا يرث الكافر ولا الكافر يرث المسلم»[(٤)]. اهـ.

قول عبد الله بن مسعود: قال (خ): في كتاب «خلق أفعال العباد» قال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤] قال: «العرش على الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»[(٥)]. اهـ.

قول مجاهد وأبي العالية: روى البيهقي من طريق شبل عن أبي نُجَيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] قال: «بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب، فما زال يقرب موسى حتى صار بينه وبينه حجاب، فلما رأى مكانه، وسمع صريف القلم، قال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾»[(٦)]. وقال (خ) في «صحيحه»: قال أبو العالية: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: ارتفع»[(٧)]، وقال مجاهد: «﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: علا على العرش»[(٨)]، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [مريم: ٥٩] قال: «هم في هذه الأمة يتراكبون كما تتراكب الحُمر والأنعام في الطرق، ولا يستحيون في الأرض، ولا يخافون الله في السماء»[(٩)] رواه ابن الهيثم بن خلف الدوري في كتاب «تحريم اللواط». اهـ.

---

(١) في مطبوع «عقيدة السلف»: «إلى». (٢) سبق تخريجه.

(٣) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف»: «قد استوى».

(٤) انظر: «عقيدة السلف» (ص٣٦، ٤٠ ـ ٤١) بتصرف يسير، وذكر الشطر الأول منه الذهبي في «العلو» (١٣١٧/٢)، وكلام ابن خزيمة تقدم مع توثيقه، وانظر ـ غير مأمور ـ: «طبقات الشافعية الكبرى» (٢٨٥/٤) حيث أورد ابن السبكي وصية للصابوني وفيها معتقده.

(٥) سبق تخريجه. (٦) سبق تخريجه.

(٧) سبق تخريجه. (٨) سبق تخريجه.

(٩) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٥٧١/١٥)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٩٧)، وعزاه لعبد بن حميد.

قول قتادة: روى عثمان الدارمي عنه في كتاب «النقض»: «**قالت بنو** إسرائيل: يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض، فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟ قال: إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم، وإذا غضبت عليكم استعملت عليكم شراركم»(١).

قول سعيد بن جبير: روي عنه من طرق قال: «قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل، فقال الملك: ليرسلنَّ الله علينا السماء أو لنؤذينَّه، فقال جلساؤه: فكيف تقدر وهو في السماء؟ فقال: أقتل أولياءه، فأرسل الله عليهم السماء»(٢).

قول الحسن البصري: ذكر الشيخ موفَّق الدين بن قدامة المقدسي في كتابه «إثبات صفة العلو» عنه بإسناد صحيح قال: «سمع يونس عليه السلام تسبيح الحصا والحيتان فجعل يسبح، وكان يقول في دعائه: «يا سيدي! في السماء مسكنك، وفي الأرض قدرتك وعجائبك، إلٰهي في الظلمات الثلاث حبستني». فلما كان تمام الأربعين وأصابه الغم ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]»(٣). اهـ.

قول بشر بن عمر شيخ إسحاق، عن جملة ممن لقيهم من المفسرين:

قال إسحاق بن راهويه: أخبرنا بشر بن عمر قال: «سمعت غير واحد من المفسرين، يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾: ارتفع»(٤). اهـ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٨٢) ومن طريقه ابن قدامة في «إثبات العلو» رقم (٦١)، وفي **إسناده محمد بن حميد الرازي ضعيف**، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ٨٦٩)، و«السير» (٤/ ٣٣٢).

(٣) أخرجه ابن قدامة في «العلو» (٥٩)، وفي إسناده أبو حذيفة إسحاق بن بشر بن محمد الهاشمي مولاهم، قال ابن المديني وابن أبي شيبة: كذاب، وقال الدرقطني: متروك. انظر: «الميزان» (١/ ١٨٤) ومع هذا فقد قال الذهبي في «الأربعين» (ص٩٢): «إسناده صحيح»! مع أنه قال في «العلو» (١/ ٥٥٤) على إثره: «**أبو حذيفة كذاب**» وهذا هو الصواب.

(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٣٩٧)، وعزاه البوصيري في «إتحاف المهرة» رقم (٣٤٠)، وابن حجر في «المطالب العالية» (٣/ ٢٩٩) رقم (٣٠٢٨) إلى إسحاق في «مسنده».

قول عباس القمي: وإن لم يكن من المشهورين بالتفسير، روى ابن أبي شيبة في كتاب «العرش» بإسناد صحيح عنه قال: بلغني أن داود كان يقول في دعائه: «اللهم أنت ربي تعاليت فوق عرشك، وجعلت خشيتك على مَن في السموات والأرض»[1]. اهـ.

قول محمد بن إسحاق الإمام في الحديث والتفسير والمغازي:

قال: «بعث الله ملكاً من الملائكة إلى بختنصر قال: هل تعلم يا عدو الله كم بين السماء والأرض؟ قال: لا، قال: بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، وغلظها مثل ذلك، وذكر الحديث، إلى أن ذكر حملة العرش قال: وفوقهم العرش عليه ملك الملوك تبارك وتعالى، أي عدو الله! فأنت تطلع إلى ذلك، ثم بعث الله عليه البعوضة؛ فقتلته»[2]. رواه أبو الشيخ في كتاب «العظمة» بإسناد جيد إلى ابن إسحاق. اهـ.

قول أبي عبد الله القرطبي المالكي: صاحب «التفسير» المشهور قال في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾: «هذه مسألة الاستواء، وللعلماء فيها كلام» وذكر قول المتكلمين الذين يقولون: إذا وجب تنزيه الباري عن الحيز فمن ضرورة ذلك تنزيهه عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم؛ لما يلزم من الحيز والمكان من الحركة والسكون والتغيير والحدوث، قال: «هذا قول المتكلمين»، ثم قال: «وقد كان السلف الأوّل لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والعامة[3] بإثباتها لله كما نطق كتابه وأخبرت به رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة[4]، وإنما جهلوا كيفية الاستواء،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «العرش» (٢٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/١٠٨)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٢/ ٢٨٠)، وزاد نسبته لأحمد في «الزهد».
وذكره الذهبي في «العرش» (٢/ ٢١٤) **وصححه**.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ١٠٥٤)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ٩٧٩) وقال: «كذا قال بخت نصّر، والمحفوظ أن صاحب القصة النمرود»، فتجويد ابن القيم إسناده في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٦٢) فيه ما فيه! لا أن تقييده بقوله: «إلى ابن إسحاق» من دقّته المعتادة رحمه الله تعالى.

(٣) في مطبوع «تفسير القرطبي»: «والكافة».

(٤) بعدها في مطبوع «تفسير القرطبي»: «وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته».

فإنه لا تعلم حقيقته كما قال مالك[1]: الاستواء معلوم ـ، يعني في اللغة ـ والكَيْف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة»[2]. هذا لفظه. اهـ.

أقوال أئمة اللغة العربية الذين يحتج بقولهم فيها:

ذكر قول أبي عبيدة معمر بن المثنى:

ذكر البغوي عنه في «معالم التنزيل» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩٠] «قال أبو عبيدة: صعد» وحكاه عنه (ج) عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩][3].

قول يحيى بن زياد الفراء إمام أهل الكوفة:

قال في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] «أي: صعد؛ قاله ابن عباس» قال: «فهو كقول الرجل كان قاعداً فاستوى قائماً، وكان قائماً فاستوى قاعداً»[4] ذكره البيهقي عنه في «الأسماء والصفات» قلت: مراد الفراء اعتدال القائم والقاعد في صعوده على الأرض. اهـ.

قول أبي العباس ثعلب: روى الدارقطني عن إسحاق الكاذّي[5] قال: سمعت أبا العباس ثعلباً يقول: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ علا: واستوى الوجه: اتصل، واستوى الفم: امتلأ، واستوى زيد وعمرو: تشابها في فعلهما[6]، هذا الذي نعرف من كلام العرب»[7]. اهـ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ٢١٩) وكلامه في تفسير [الأعراف: ٥٤].

(فائدة مهمة): ذكر القرطبي في «التذكرة» (١/ ٢٣٦، ط. المنهاج) مباحثة مع بعض القضاة النافين لـ(العلو)، واحتج عليه بكلام ابن عبد البر في الاستواء، فانظره، فإنه مفيد، ويؤكد لك صحة معتقد القرطبي في الاستواء، والله الموفق.

(٣) سبق ذكره.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٥)، «الأسماء والصفات» (٢/ ٣١٠) للبيهقي.

(٥) في الأصل: «الكلابي»! وصوابه المثبت وهو إسحاق بن أحمد بن محمد أبو الحسين الكاذي، نسبة إلى (كاذة) قرية من قرى بغداد، قال الخطيب: كان ثقة. انظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٩٩).

(٦) كذا في مصادر التخريج، وفي الأصل: «تشابها إلى السماء، أقبل»!

(٧) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٠٠)، وذكره الذهبي في «العلو» =

قول أبي عبد الله محمد بن الأعرابي:

قال ابن عرفة[١] في كتاب «الرد على الجهمية»: حدثنا داود بن علي قال: كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل، فقال: ما معنى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾؟ [طه: ٥] قال: «هو على عرشه كما أخبر»، فقال: يا أبا عبد الله إنما معناه: استولى، فقال: «اسكت، لا يقال: استولى على الشيء ويكون له مصادفاً[٢] إلا إذا غلب أحدهما[٣]، قيل: استولى، كما قال النابغة[٤]:

إلا لِمِثْلِكَ أوْ مَن أنتَ سابِقُهُ سَبْقَ الجواد إذا استولى على الأمَدِ»[٥]

قال محمد بن النضر: سمعت ابن الأعرابي صاحب اللغة يقول: أرادني ابن أبي داود أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]؛ بمعنى: استولى، فقلت له: «والله ما يكون هذا ولا وجدته»[٦].

قول الخليل بن أحمد شيخ سيبويه: ذكر أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد» قال الخليل بن أحمد: «استوى إلى السماء: ارتفع إلى السماء»[٧]. اهـ.

قول إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه: له كتاب في «الرد على الجهمية» أنكر فيه أن يكون استوى بمعنى استولى، وحكى فيه عن ابن

= (٢/ ١٢٢٧)، و«الأربعين» رقم (٥). ونحوه في «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٢٥) للأزهري، و«لسان العرب» (١٤/ ٤١٤).

(١) كذا في الأصل! وعزاه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٦٥) لنفطويه في «الرد على الجهمية»، وهو من طريقه في المصادر الآتية، فـ(ابن عرفة) هذا هو نفطويه، وانظر: «العلو» للذهبي (٢/ ١١٣٢، ١٢٣٩).

(٢) في مطبوع «العلو»: «حتى يكون له فيه مضاد».

(٣) في مطبوع «العلو»: «فأيهما غلب».

(٤) وهو الذبياني. انظر: «ديوانه» (ص٥٣)، و«لسان العرب» (١٥/ ٤١٣ ـ ولي)، و«تاج العروس» (٤٠/ ٢٥٠ ـ ولي).

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٣٩٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٨٤)، وابن قدامة في «إثبات العلو» رقم (١٠٥)، وذكره البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣١٤)، والقرطبي في «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (٢/ ٢٣٣)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١١٣٢)، و«الأربعين» رقم (٧).

(٦) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ١٦٧)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٣٩٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٨٣)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ١١٣٠).

(٧) سبق ذكره.

الأعرابي ما قدمنا حكايته عنه، ثم قال: وسمعت داود بن علي يقول: كان المريسي يقول سبحان ربي الأسفل، وهذا جعل من قائله ورد لنص الكتاب إذ يقول الله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦][(١)] وَرَحِمَهُ اللَّهُ، لقد ليَّن القول في المريسي صاحب هذا التسبيح، لقد كان جديراً بما هو أليق به من التجهم[(٢)].

أقوال الزهاد والصوفية أهل الاتباع وسلفهم:

قول ثابت البناني شيخ الزهاد:

قال محمد بن عثمان في «رسالته»: صح عنه أنه قال: «كان داود يطيل الصلاة ثم يركع، ثم يرفع رأسه إلى السماء، ثم يقول: إليك رفعت رأسي نظر العبيد إلى أربابها، يا ساكن السماء»[(٣)]. ورواه اللالكائي بإسناد صحيح عنه، ورواه الإمام «حم» أيضاً في كتاب «الزهد»، فهذا الرفع إن كان في الصلاة فهو منسوخ في شرعنا، وإن كان بعد الصلاة؛ فهو جائز كرفع اليدين في الدعاء إلى الله عَزَّوَجَلَّ. اهـ.

قول الفضيل بن عياض: قال الأثرم في كتاب «السنة» بسنده إلى الفضيل بن عياض قال: «ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف؛ لأن الله وصف نفسه فأبلغ، فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤] فلا صفة أبلغ مما وصف الله به نفسه، وكذا النزول والضحك والمباهاة والاطلاع، كما شاء أن ينزل، وكما شاء أن يباهي، وكما شاء أن يطلع، وكما شاء أن يضحك، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف، وإذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب ينزل[(٤)] عن مكانه، فقل أنت: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء». وقد ذكر هذا الكلام الأخير عن الفضيل (خ) في كتاب

---

(١) ذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ١٢٣٩)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «الجهل».

(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (١/ ١٤٠)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٠٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٢٧)، وابن قدامة في «إثبات العلو» رقم (٥٨)، والذهبي في «العلو» (١/ ٥٥٢) وقال: «**إسناده صالح**» وصححه الذهبي في «الأربعين» (ص٩٣)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية».

(٤) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «يزول».



«خلق الأفعال» فقال: وقال الفضيل بن عياض: «إذا قال لك الجهمي...»(١) (فذكره) **قول يحيى بن معاذ الرازي** قال: «الله تعالى على العرش، بائن من خلقه، قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ولا يشك في هذه المقالة إلا جهمي ردئ ضليل، وهالك مرتاب، [يقول](٢): يمزج الله بخلقه، ويخلط الذات بالأقذار والأنتان»(٣).

قول عطاء السلمي:(٤) ثبت أنه كان لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله ﷻ(٥)، ومن هذا نهي النبي ﷺ المصلي عن رفع بصره إلى السماء(٦)، تأدُّباً مع الله ﷻ وإطراقاً بين يديه وإجلالاً له، كما يقف العبيد بين يدي الملوك، ولا يرفعون رؤوسهم إليهم إجلالاً لهم، وإذا ضم هذا إلى رفع الأيدي في الرغبات والرهبات، وتوجّه القلوب إلى العلو، دون اليمنة واليسرة والخلف والأمام، أفاد العلم بأن هذا فطرة الله التي فطر الناس عليها. اهـ.

قول أبي عبيدة الخواص:(٧) ذكر أبو نعيم وابن الجوزي عنه: «أنه مكث كذا وكذا سنة، لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله»(٨). اهـ.

قول ذي النون المصري: روى أبو الشيخ في كتاب «العظمة» بإسناده عنه قال: «أشرقت لنوره السموات، وأنار بوجهه الظلمات، وحجب جلاله عن العيون، وناجاه على عرشه ألسنة الصدور»(٩).

---

(١) انظر: «خلق أفعال العباد» (٦١).

(٢) غير موجود في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية».

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٩).

(٤) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «السُّليمي».

(٥) انظر: «الحلية» (٦/ ٢٢١)، وذكره أبو السعادات ابن الأثير في «المختار من مناقب الأخيار» (٣/ ٥٧٢).

(٦) انظرها في كتابي «القول المبين» (ص١١٠ ـ ١١١).

(٧) قال أبو السعادات ابن الأثير في «المختار من مناقب الأخيار» (٣/ ٣٦٣): «اشتهر بأبي عبيدة وإنما هو أبو عتبة».

(٨) وانظر: «صفة الصفوة» (٤/ ٢٧٦)، «المختار من مناقب الأخيار» (٣/ ٣٦٥) وهو ساقط من مطبوع «الحلية» (٨/ ٢٨٢)..

(٩) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٩٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٤٩)، وذكره الذهبي في «العلو» (٢/ ١١٣٩)، وفي «العرش» (٢/ ٣١٨ ـ ٣١٩)، والسيوطي في «المكنون في مناقب ذي النون» (ص١٨٧)، وانظر مدح معتقده في: «الاستقامة» (١/ ١٨٨) لابن تيمية.

قول الحارث بن أسد المحاسبي: قال: «وأما قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦١] ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٤٢] فهذه وغيرها مثل قوله: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] توجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها متنزِّه عن الدخول في خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية؛ لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد به نفسه(١) فوق عباده، لأنه قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦]؛ يعني: فوق العرش، والعرش على السماء؛ لأن من كان فوق كل شيء على السماء في السماء، وقد قال: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾ [التوبة: ٢] أي: على الأرض لا يريد الدخول في جوفها». اهـ.

قول أبي جعفر الهَمذَاني(٢) الصوفي: ذكر محمد بن طاهر المقدسي محدث الصوفية في كتابه عنه أنه حضر مجلس أبي المعالي الجويني، وهو يقول: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان عليه، وكلاماً من هذا المعنى، فقال: يا شيخ دعنا من ذكر العرش، أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط: يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو ولا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ قال: فصرخ أبو المعالي ولطم على رأسه وقال: «حيّرني الهمذاني حيّرني الهمذاني»(٣). اهـ.

قول الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني شيخ الصوفية في أواخر المائة الرابعة: قال في «رسالته»: «أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة، وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين». قال فيها: «وإن الله استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، والاستواء معقول، والكيف مجهول، وإنه ﷻ بائن

---

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «بنفسه».

(٢) في الأصل: «الهمداني» بدال مهملة! وذلك في جميع المواطن.

(٣) أخرجه الذهبي في «السير» (١٨/ ٤٧٧)، والسبكي في «طبقات الشافعية» (٥/ ١٩٠)، وذكره ابن تيمية في «الاستقامة» (١/ ١٦٧)، و«مجموع الفتاوى» (٤/ ٦١)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١٣٤٧)، و«السير» (١٨/ ٤٧٥ و٢٠/ ١٠٢)، و«تاريخ الإسلام» (٢٣٨ - وفيات ٥٣١).

من خلقه، والخلق بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة؛ لأنه الفرد البائن من الخلق، الواحد الغني عن الخلق، وأن الله سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكاً، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء، فيقول: «هل من داع فأستجيب له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر»(١)، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال»(٢). اهـ.

قول الشيخ الإمام العارف قدوة العارفين عبد القادر الجيلاني: قال في كتاب «تحفة المتقين وسبيل العارفين» في (باب اختلاف المذاهب في صفة الله ﷻ وفي ذكر اختلاف الناس في الوقف عند قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]) إلى أن قال: «والله تعالى بذاته على العرش، علمه محيط بكل مكان، والوقف عند أهل الحق على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وقد رُوِيَ ذلك عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وهذا الوقف حسن لمن اعتقد أن الله بذاته على(٣) العرش، ويعلم ما في السموات والأرض» إلى أن قال: «ووقف جماعة من منكري استواء الرب ﷻ على قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [طه: ٥] وابتدؤوا بقوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [طه: ٦] يريدون بذلك نفي الاستواء الذي وصف به نفسه، وهذا خطأ منهم لأن الله تعالى استوى على العرش بذاته».

وقال في كتابه «الغنية»: «أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار، فهو أن تعرف وتتيقن أن الله واحد أحد». إلى أن قال: «وهو بجهة العلو مستوٍ على العرش، محتوٍ على المُلْك، محيط علمه بالأشياء، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة: ٥]، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش استوى، قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]» وساق آيات وأحاديث،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه قوّام السنة الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٢٣١ ـ ٢٣٣)، وذكره ابن تيمية في «الاستقامة» (١/ ١٦٨)، و«الدرء» (٦/ ٢٥٦)، وابن القيم في «الصواعق» (٤/ ١٢٨٩)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١٣٠٨).

(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «فوق».

ثم قال: «وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش». ثم قال: «وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف» هذا نص كلامه في «الغنية»[١]. اهـ.

قول شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله الأنصاري: صاحب كتاب «منازل السائرين» و«الفاروق» و«ذم الكلام» وغيره، صرح في كتابه بلفظ الذات في العلو وأنه استوى بذاته على عرشه، قال: «ولم تزل أئمة السلف تصرح بذلك»[٢] ومن أراد معرفة صلابته[٣] في السنة والإثبات فليطالع كتابيه «الفاروق» و«ذم الكلام» .اهـ.

قول شيخ الصوفية والمحدثين أبي نعيم صاحب كتاب «حلية الأولياء»: قال في عقيدته: «وإن الله سميع بصير عليم خبير، يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكاً، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء، فيقول: «هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر»[٤]. ونزول الرب تعالى إلى سماء الدنيا بلا كيف

---

(١) انظر: «الغنية» (٢/ ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٦٣ ـ ٢٦٤)، وانظر: «العلو» (٢/ ١٣٧٠).
(ملاحظة مهمة) أحسن طبعات «الغنية»، الطبعة التي عزوت إليها، وهي في ثلاثة مجلدات، ومطبوعة في العراق، وناقص منها سطور مهمة تخص ذم الرافضة، فتنبه لذاك تولى الله هداك.

(٢) انظر: «الأربعين» له (باب الدليل على أنه تعالى في السماء) (ص٥٣)، و(باب الدليل على أنه ﷻ على العرش) (ص٥٥)، ونقل كلامه في العلو جمع، منهم ابن تيمية في «نقض التأسيس» (٢/ ٥٣٠)، والذهبي في «السير» (١٨/ ٥١٤).

(٣) هدد بالقتل مرات ليقصر عن مبالغته في إثبات الصفات، وليكف عن مخالفيه من علماء الكلام، فلم يرعوِ لتهديدهم، ولا خاف من وعيدهم، قاله الذهبي في «العلو» (٢/ ١٣٥١) ولمحمد سعيد الأفغاني كتاب مطبوع بعنوان «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي مبادؤه وآراؤه الكلامية»، وانظر: «السير» (١٨/ ٥٠٣)، وفيه عنه: «كان سيفاً مسلولاً على المتكلمين»، و«كان جذعاً في أعين المتكلمين وسيفاً مسلولاً على المخالفين، وطوداً في السنة لا تزعزعه الرياح»، و«ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٥٠) وكتابه «ذم الكلام» مطبوع، و«الفاروق» فيه أحاديث باطلة يجب بيانها وهتكها. انظر: «السير» (١٨/ ٥٠٩، ٥١٤)، و«منازل السائرين» مطبوع في التصوف وشرحه ابن القيم في «مدارج السالكين»، قال الذهبي: «فيه أشياء مطربة، وفيه أشياء مشكلة»، وقال ابن تيمية عنه: «كان في القدر على رأي الجهمية»، وراجع «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٣٤٢ ـ ٣٥٨).

(٤) سبق تخريجه.

ولا تشبيه ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال، وسائر الصفوة العارفين على هذا». ثم قال: «وإن الله استوى بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، فالاستواء معقول والكيف مجهول، وإنه سبحانه بائن من خلقه بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة؛ لأنه البائن الفرد من الخلق والواحد الغني عن الخلق»، وقال أيضاً: «طريقنا طريق السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة» وساق ذكر اعتقادهم، ثم قال: «ومما اعتقدوه أن الله في سمائه دون أرضه»[1] وساق بقيته. اهـ.

أقوال أئمة الكلام من أهل الإثبات المخالفين للجهمية والمعتزلة والمعطلة:

قول الإمام أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب إمام الطائفة، كان من أعظم أهل الإثبات للصفات والفوقية وعلو الله على عرشه، منكراً لقول الجهمية، وهو أول من عُرف عنه إنكار قيام الأفعال الاختيارية بذات الرب تعالى، وأن القرآن معنى قائم بالذات، وهو أربع معانٍ، ونصر طريقته أبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري، وخالفه في بعض الأشياء، ولكنه على طريقته في إثبات الصفات والفوقية وعلو الله على عرشه، كما سيأتي حكاية كلامه بألفاظه.

قال ابن كُلّاب في بعض كتبه: «وأخرج من الأثر والنظر من قال: إن الله سبحانه لا داخل العالم ولا خارجه» حكاه عنه شيخ الإسلام في عامة كتبه[2]، وحكى عنه أبو الحسن الأشعري أنه كان يقول: «إن الله مستوٍ على عرشه كما قال: وإنه فوق كل شيء» هذا لفظ حكاية الأشعري عنه، وحكى عنه أبو بكر بن فورك فيما جمعه من مقالاته في كتاب «المجرد»: «وأخرج من النظر والخبر قول من قال: لا هو في العالم ولا خارجه، فنفاه نفياً مستوياً؛ لأنه لو قيل له: صِفْهُ بالعدم، ما قدر أن يقول أكثر من هذا، وردُّ أخبار الله نصاً، وقال في ذلك ما لا يجوز في نص ولا معقول، وزعم أن هذا هو التوحيد الخالص، والنفي الخالص عندهم هو الإثبات الخالص، وهم عند أنفسهم قياسيون».

---

(١) ذكره ابن تيمية في «الحموية» (٣٠٥ ـ ٣٠٦)، و«مجموع الفتاوى» (٥/ ١٩٠ ـ ١٩١)، و«درء التعارض» (٦/ ٢٥٢)، وابن القيم في «الصواعق» (٤/ ١٢٨٦)، و«تهذيب السنن» (٧/ ١١٦)، والذهبي في «العلو» (٢/ ١٣٠٥ ـ ١٣٠٦)، والسفاريني في «لوامع الأنوار» (١/ ١٩٦).

(٢) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ١١٩)، و«مجموع الفتاوى» (٥/ ٣١٧).

قال: «وإن قالوا: هذا إفصاح منكم بخلو الأماكن منه وانفراد العرش به، قيل: إن كنتم تعنون خلو الأماكن من تدبيره وأنه غير عالم بها فلا، وإن كنتم، تريدون خلوه من استوائه عليها كما استوى على العرش فنحن لا نحتشم أن نقول: استوى الله على العرش، ونحتشم أن نقول: استوى على الأرض، واستوى على الجدار، وفي صدر البيت.

قال ابن كلاب: يقال لهم أهو فوق ما خلق؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: ما تعنون بقولكم فوق ما خلق؟ فإن قالوا: بالقدرة والعزة، قيل لهم: ليس هذا سؤالنا، وإن قالوا: المسألة خطأ، قيل لهم: أفليس هو فوق؟ فإن قالوا: نعم، ليس هو فوق، قيل لهم: وليس هو تحت؟ فإن قالوا: لا فوق ولا تحت، أعدموه؛ لأن ما كان لا تحت ولا فوق عدم، وإن قالوا: هو تحت وهو فوق، قيل لهم: فيلزم أن يكون تحت وفوق» ثم بسط الكلام في استحالة نفي المباينة والمماسة عنه بالعقل، وأن ذلك يلحقه بالعدم المحض.

ثم قال: «ورسول الله ﷺ وهو صفوة الله من خلقه وخيرته من بريته أعلمهم[1] بالأين واستصوب قول القائل: إنه في السماء، وشهد[2] بالإيمان عند ذلك، وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون الأين بزعمهم ويحيلون القول به» قال: «ولو كان خطأ؛ لكان رسول الله ﷺ أحق بالإنكار له، وكان ينبغي أن يقول لها: لا تقولي ذلك فتوهمي أنه محدود، وأنه في مكان دون مكان، ولكن قولي: إنه في كل مكان؛ لأنه هو الصواب دون ما قُلْتِ، كلا؛ فلقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه، وأنه من الإيمان، بل الأمر الذي يجب به الإيمان، لقائله ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالته، وكيف يكون الحق في خلاف ذلك، والكتاب ناطق بذلك وشاهد له؟ ولو لم يشهد لصحة مذهب الجماعة في هذا خاصة إلا ما ذكرناه من هذه الأمور، لكان فيه ما يكفي، كيف وقد غُرِس في بنية[3] الفطرة ومعارف الأميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ولا أوكد؛ لأنك لا تسأل أحداً من الناس عربياً ولا عجمياً ولا مؤمناً ولا كافراً فتقول: أين ربك؟ إلا قال: في

---

(١) بعدها في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «جميعاً به يجني السؤال».

(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وشهد له».

(٣) كذا في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وفي الأصل: «نيته»!

السماء إن[1] أفصح، أو أومأ بيده أو أشار بطَرْفه إن كان لا يُفصح، ولا يشير إلى غير ذلك من أرض ولا سهل ولا جبل، ولا رأينا أحداً إذا عَنَّ له دعاء إلا رافعاً يديه إلى السماء، ولا وجدنا أحداً غير الجهمية يُسأل عن ربه فيقول: في كل مكان كما يقولون، وهم يدعون أنهم أفضل الناس كلهم، فتاهت العقول، وسقطت الأخبار، واهتدى جهم وخمسون رجلاً معه! نعوذ بالله من مضلات الفتن» هذا آخر كلامه. اهـ.

قول أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، إمام الطائفة الأشعرية:

نذكر كلامه فيما وقفنا عليه من كتبه كـ «الموجز»[2] «والإبانة» «والمقالات» وما نقله عنه أعظم الناس انتصاراً له الحافظ أبو القاسم بن عساكر في الكتاب الذي سماه «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري».

ذكر قوله في كتاب «الإبانة في أصول الديانة»:

قال أبو القاسم ابن عساكر: «إذا كان أبو الحسن[3] مستصوب[4] المذهب عند أهل العلم بالمعرفة والانتقاد فوافقه[5] في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد، ولا يقدح في معتقده غير أهل الجهل والعناد، فلا بدّ أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونجتنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركاً للخيانة، لتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في كتابه[6] الذي سماه «بالإبانة»، فإنه قال: «الحمد لله [الأوحد][7] الواحد، العزيز الماجد، المتفرد بالتوحيد، المتمجِّد بالتمجيد، الذي لا تبلغُهُ صفات العبيد، وليس له مثل[8] ولا

---

(١) من مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وسقط من الأصل.

(٢) قال ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» (ص١٢٩) عنه:
«وذلك أنه يشتمل على اثني عشر كتاباً على حسب تنوع مقالات المخالفين من الخارجين عن الملة والداخلين فيها، وآخره كتاب الإمامة تكلم في إثبات إمامة الصدِّيق ﷺ وأبطل قول من قال بالنص، وأنه لا بد من إمام معصوم في كل عصر».

(٣) بعدها في مطبوع «تبيين كذب المفتري»: «ﷺ كما ذكر عنه من حسن الاعتقاد».

(٤) في مطبوع «تبيين كذب المفتري»: «مستوصب».

(٥) في مطبوع «تبيين كذب المفتري»: «يوافقه».

(٦) في مطبوع «تبيين كذب المفتري»: «في أول كتابه».

(٧) غير موجود في مطبوع «الإبانة».

(٨) في مطبوع «الإبانة»: «منازع».

نديد، وهو المبدئ المعيد[١]، جلَّ عن اتخاذ الصاحبة والأبناء[٢]، وتقدَّس عن ملامسة النساء[٣]، فليس له عزة تنال، ولا حد تضرب فيه الأمثال[٤]، لم يزل بصفاته أولاً قديراً، ولا يزال عالماً خبيراً، سبق[٥] الأشياء عِلمُه، ونفذت فيها إرادته، فلم تعزُب عنه خفيّات الأمور، ولم يغيِّره سوالفُ وصرف[٦] الدهور، ولم يلْحَقْه في خلق شيء مما خلق كَلال ولا تعب، ولا مسَّه لغوب ولا نصب، خلَق الأشياء بقدرته، ودبَّرها بمشيئته، وقهرها بجبروته، وذلّلها بعزته، فذلَّ لعظمته المتكبِّرون، واستكان لعظمِ[٧] ربوبيته المتعظِّمون، وانقطع دون الرسوخ في علمه الممترون[٨]، وذلت له الرقاب، وحارت في ملكوته فطر[٩] ذوي الألباب، وقامت بكلمته السمٰاوات السبع، واستقرت الأرض المهاد، وثبتت الجبال الرواسي، وجرت الرياح اللواقح، وسار في جو السماء السحاب، وقامت على حدودها البحار، وهو إله قاهر[١٠] يخضع له المتعزِّزون، ويخشع له المترُفِّعون، ويَدِين طوعاً وكرهاً له العالمون، نحمدُه كما حمِدَ نفسه، وكما هو عند ربنا له أهل[١١]، ونستعينه استعانة من فوَّض إليه أمره[١٢]، وأقرَّ أنه لا ملجأ ولا منجى منه[١٣] إلا إليه، ونستغفره استغفار مُقرٍ بذنبه معترف بخطيئته، ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إقراراً بوحدانيته، وإخلاصاً لربوبيته، وأنه العالِمُ بما تُبطِنهُ الضمائر، وتنطوي عليه السرائر، وما تخفيه النفوس، وما تجري به البحار[١٤] وما تواري الأسرار[١٥] ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

(١) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «الفعّال لما يريد».
(٢) في مطبوع «الإبانة»: «الصواحب والأولاد».
(٣) في مطبوع «الإبانة»: «عن ملابسة الأجناس والأرجاس».
(٤) في مطبوع «الإبانة»: «ليست له صورة تقال، ولا حدٌّ يُضربَ له المثال».
(٥) في مطبوع «الإبانة»: «استوفى».
(٦) في مطبوع «الإبانة»: «صروف».
(٧) في مطبوع «الإبانة»: «العز».
(٨) في مطبوع «الإبانة»: «العالمون».
(٩) في مطبوع «الإبانة»: «فِطَن».
(١٠) في مطبوع «الإبانة»: «الله الواحد القهّار».
(١١) في مطبوع «الإبانة»: «وكما هو أهله ومستحقه، وكما حمد الحامدون من جميع خلقه».
(١٢) في مطبوع «الإبانة»: «أمره إليه».
(١٣) في مطبوع «الإبانة»: «لا منجا ولا ملجأ منه».
(١٤) في مطبوع «الإبانة»: «وما تجن البحار».
(١٥) في مطبوع «الإبانة»: «الأسراب».

وساق خطبته الطويلة، بيّن فيها مخالفة المعتزلة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصحابة، إلى أن قال فيها: «ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأنكروا أن يكون لله يدان[1] مع قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وأنكروا أن يكون لله عينان[2] مع قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] وكقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] ونفوا ما روى عن النبي[3] ﷺ من قوله: **«إن الله ينزل إلى السماء الدنيا»**[4] إلخ. وأنا ذاكر ذلك [إن شاء الله تعالى][5] باباً باباً[6]، وبه المعونة والتأييد، ومنه التوفيق والتسديد، فإن قال[7] قائل: قد أنكرتم قولَ المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرِّفونا قولكم الذي تقولون[8]، وديانتكم التي بها تدينون؟ قيل له: قولنا الذي به نقول[9] وديانتنا التي بها ندين:[10] التمسك بكتاب الله وسنة نبيه[11] ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه[12] أحمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولمن خالف قوله مخالفون[13]؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، عند ظهور الضلال[14]، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم، وكبير[15] معظم[16]، وعلى جميع أئمة المسلمين».

وجملة قولنا أن[17] نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما

---

(١) في مطبوع «الإبانة»: «له يدان».
(٢) في مطبوع «الإبانة»: «له عينان».
(٣) كذا في مطبوع «الإبانة»، وفي الأصل: «عنه النبي»!
(٤) سبق تخريجه.
(٥) غير موجود في مطبوع «الإبانة».
(٦) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «وشيئاً شيئاً إن شاء الله».
(٧) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «لنا».
(٨) في مطبوع «الإبانة»: «به تقولون».
(٩) في مطبوع «الإبانة»: «نقول به».
(١٠) في مطبوع «الإبانة»: «ندين بها».
(١١) في مطبوع «الإبانة»: «بكتاب ربنا ﷻ وبسنة نبينا».
(١٢) في مطبوع «الإبانة»: «يقول به أبو عبد الله».
(١٣) في مطبوع «الإبانة»: «مجانبون».
(١٤) في مطبوع «الإبانة»: «ودفع به الضلال».
(١٥) في مطبوع «الإبانة»: «وجليل».
(١٦) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «وكبير مفخّم».
(١٧) في مطبوع «الإبانة»: «أنّا».

رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئاً، وأن الله سبحانه وتعالى إله واحد أحد[١]، فرد صمد [لا إله غيره][٢] لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله[٣]، وأن الجنة حق والنار حق ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج: ٧] وأن الله تعالى مستو[٤] على عرشه كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وأن له وجهاً[٥] كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٧] وأن له يدين[٥] كما قال تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وكما قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأن له عينين[٦] بلا كيف، كما قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] وأن من زعم أن اسم[٧] الله غيره كان ضالاً، وأن لله عِلْماً كما قال تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦] وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١] [ونثبت لله قوة كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾][٨] [فصلت: ١٥]، ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية[٩]، ونقول: إن [القرآن][٢] كلام الله غير مخلوق، وإنه لم يخلق شيئاً، إلا وقد قال له: كن فيكون[١٠].

وإنه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله سبحانه، وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله، وأن

(١) في مطبوع «الإبانة»: «واحد لا إله إلّا هو».
(٢) غير موجود في مطبوع «الإبانة».
(٣) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «أرسله بالهدى ودين الحق».
(٤) في مطبوع «الإبانة»: «استوى».
(ملاحظة): جاء في «الإبانة» (ص٢١ ـ تحقيق فوقية حسين): «استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده» وهذا من **العبث** في الكتب. انظر تفصيل ذلك في كتاب: «ابن تيمية وموقفه من الأشاعرة» (١/ ٣٥٤) لعبد الرحمٰن المحمود.
(٥) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «بلا كيف».
(٦) في مطبوع «الإبانة»: «عيناً».
(٧) في مطبوع «الإبانة»: «أسماء».
(٨) في مطبوع «الإبانة»: ما بين المعقوفتين يكون بعد قوله: «المعتزلة والجهمية».
(٩) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «والخوارج».
(١٠) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «كما قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠].

لا يستغني[١] عن الله، ولا نقدر عن الخروج من علم الله، وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد[٢] مخلوقة لله، مقدورة [له][٣] كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون، كما قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] وكما قال تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠] وكما قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] وكما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦] وهذا في كتاب الله كثير.

وأن الله وفَّق المؤمنين لطاعته، ولطف بهم، ونظر لهم[٤] وأصلحهم وهداهم، وأضل الكافرين ولم يهدهم، ولم يلطف بهم بالإيمان، كما زعم أهل الزيغ والطغيان، ولو لطف بهم وأصلح كانوا صالحين[٥]، ولو هداهم كانوا[٦] مهتدين، كما قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف: ١٧٨].

وأن الله يَقْدِر أن يُصلِح الكافرين، ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وأنه خذلهم وطبع على قلوبهم، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، وأنّا نؤمن بقضاء الله وقدره، [و][٣] خيره وشره، [و][٣] حلوه ومره، ونعلم إن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا[٧]، وأنا لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً[٨]، إلا ما شاء الله[٩]، وإنا لنلجئ أمورنا[١٠] إلى الله، ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه.

---

(١) في مطبوع «الإبانة»: «ولا نستغني».
(٢) في مطبوع «الإبانة»: «العبد».
(٣) غير موجود في مطبوع «الإبانة».
(٤) في مطبوع «الإبانة»: «إليهم».
(٥) في مطبوع «الإبانة»: «وأصلحهم لكانوا صالحين».
(٦) في مطبوع «الإبانة»: «لكانوا».
(٧) في مطبوع «الإبانة»: «ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وأن ما أصابنا لمن يكن ليخطئنا».
(٨) في مطبوع «الإبانة»: «وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً».
(٩) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «كما قال ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾».
(١٠) في مطبوع «الإبانة»: «وأنا نلجأُ في أمورنا».

ونقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإن من قال بخلق القرآن كان كافراً[(١)]، ونَدِين أن الله[(٢)] يُرى بالأبصار يوم القيامة[(٣)]، كما يُرى القمر ليلة البدر، ويراه المؤمنون كما جاءت [به][(٤)] الروايات عن رسول الله ﷺ[(٥)]، ونقول إن الكافرين[(٦)] إذا رآه المؤمنون محجوبون[(٧)]، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

وأن موسى عليه السلام، سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا.

وأن الله تجلى للجبل فجعله دكّاً، [وخر موسى صعقاً][(٣)]، وأعلم[(٨)] بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا، ونرى[(٩)] أن لا نُكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه، كالزنا والسرقة وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج، وزعموا أنهم بذلك كافرون[(١٠)] ونقول: إن من عمل كبيرة من الكبائر[(١١)] وما أشبهها مستحلاً لها[(١٢)] كان كافراً، [إذا كان غير معتقد لتحريمها][(١٣)]، ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيماناً، وندين[(١٤)] بأن الله تعالى يقلب القلوب **«وأن القلوب بين أصبعين[(١٥)] من أصابعه»**[(١٦)]، وأنه **«يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع»**[(١٧)] كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ[(١٨)].

وندين بأن لا نُنْزِل أحداً من الموحدين[(١٩)] المتمسكين بالإيمان جنةً ولا

---

(١) في مطبوع «الإبانة»: «فهو كافر».
(٢) في مطبوع «الإبانة»: «بأن الله تعالى».
(٣) غير موجود في مطبوع «الإبانة».
(٤) في مطبوع «الإبانة»: «يُرى في الآخرة بالأبصار».
(٥) سبق تخريجها جميعاً.
(٦) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «محجوبون عنه».
(٧) في مطبوع «الإبانة»: «رآه المؤمنون في الجنة» دون وجود لفظة محجوبون.
(٨) في مطبوع «الإبانة»: «فأَعْلَمَ».
(٩) في مطبوع «الإبانة»: «وندين».
(١٠) في مطبوع «الإبانة»: «وزعمت أنهم كافرون».
(١١) في مطبوع «الإبانة»: «من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة».
(١٢) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «غير معتقد لتحريمها».
(١٣) غير موجود في مطبوع «الإبانة».
(١٤) في مطبوع «الإبانة»: «وندي».
(١٥) كذا في مطبوع «الإبانة»، وفي الأصل: «الأصبعين»!
(١٦) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو.
(١٧) سبق تخريجه.
(١٨) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «من غير تكييف».
(١٩) في مطبوع «الإبانة»: «أهل التوحيد».

ناراً، إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، ونرجو الجنة للمذنبين، ونخاف عليهم أن يكونوا من أهل النار معذبين، ونقول: إن الله يخرج من النار قوماً بعد ما امتحشوا[1] بشفاعة محمد ﷺ[2]، ونؤمن بعذاب القبر، ونقول: إن الحوض والميزان حق[3]، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله يوقف العباد بالموقف[4]، ويحاسب المؤمنين، وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ونسلم للروايات[5] الصحيحة في ذلك عن رسول الله ﷺ التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى تنتهي[6] الرواية إلى رسول الله ﷺ.

ونَدين بحب السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونثني عليهم بما أثنى الله عليهم ونتولاهم[7]، ونقول: إن الإمام[8] بعد رسول الله أبو بكر[9]، وأن الله أعزَّ به الدين، وأظهره على المرتدين، وقدَّمه المسلمون للإمامة كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة[10]، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ـ نضر الله وجهه ـ، [وأن الذين قتلوه][11] قتلوه ظلماً وعدواناً، ثم علي ابن أبي طالب، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ خلافتهم خلافة النبوة، ونشهد للعشرة بالجنة[12]، الذين شهد لهم رسول الله ﷺ[13]، ونتولّى سائر أصحاب رسول الله ﷺ[14]، ونكفّ عما شجر بينهم، وندين الله أن الأئمة الأربعة راشدون[15] مهديون فضلاء، لا يوازيهم غيرهم في الفضل[16].

---

(١) في مطبوع «الإبانة»: «يخرج قوماً من النار بعد أن امتحشوا».
(٢) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «تصديقاً لما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ».
(٣) في مطبوع «الإبانة»: «ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض وأن الميزان حق».
(٤) في مطبوع «الإبانة»: «في الموقف». (٥) في مطبوع «الإبانة»: «الروايات».
(٦) كذا في مطبوع «الإبانة»، وفي الأصل: «انتهى»!
(٧) في مطبوع «الإبانة»: «ونتولّاهم أجمعين».
(٨) في مطبوع «الإبانة»: «الإمام الفاضل».
(٩) في مطبوع «الإبانة»: «الصديق رضوان الله عليه».
(١٠) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله ﷺ».
(١١) من مطبوع «الإبانة»، وسقط من الأصل.
(١٢) في مطبوع «الإبانة»: «ونشهد بالجنة للعشرة».
(١٣) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «بها». (١٤) في مطبوع «الإبانة»: «النبي».
(١٥) في مطبوع «الإبانة»: «بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون».
(١٦) في مطبوع «الإبانة»: «في الفضل غيرهم».

ونصدِّق جميع الروايات التي رواها[١] أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب تعالى يقول: «**هل من سائل؟ هل من مستغفر**»؟[٢] وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قاله أهل الزيغ والتعطيل[٣]، ونعوِّل فيما اختلفنا فيه على كتاب الله وسنة رسوله[٤] ﷺ وإجماع المسلمين، وما كان في معناه، فلا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها، ولا نقول على الله ما لا نعلم، ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] وأن الله يقرُب من عباده كيف شاء، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٨، ٩].

ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد[٥]، خلف كل بر وفاجر [وغيره، وكذلك بشروط الصلوات الخمس بالجماعات][٦]، كما روي عن عبد الله بن عمر أنه كان يصلي خلف الحجاج[٧]، وأن المسح على الخفين[٨] في الحضر والسفر خلافاً لمن أنكر ذلك. ونرى الدعاء للأئمة[٩] المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم، إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بترك[١٠] الخروج عليهم[١١] وترك القتال في الفتنة، ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ[١٢]، ونؤمن بعذاب القبر، ومنكر ونكير ومساءلتهما للمدفونين[١٣] في قبورهم. ونصدق بحديث

(١) في مطبوع «الإبانة»: «ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها».
(٢) سبق تخريجه.
(٣) في مطبوع «الإبانة»: «والتضليل».
(٤) في مطبوع «الإبانة»: «كتاب ربنا وسنة نبيِّنا».
(٥) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «وسائر الصلوات والجماعات».
(٦) غير موجود في مطبوع «الإبانة».
(٧) أخرجه الشافعي في «مسنده» (١/ ٢٥١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣٥٤)، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١٣٩)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢) من طرق عن ابن عمر، وهو **صحيح**.
وصححه شيخنا الألباني. انظر: «الإرواء» (٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤).
(٨) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «سنة».
(٩) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «لأئمة».
(١٠) في مطبوع «الإبانة»: «بإنكار».
(١١) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «بالسيف».
(١٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٠)، ومسلم (١٦٩) من حديث ابن عمر.
(١٣) في مطبوع «الإبانة»: «المدفونين».

المعراج[١]، ونصحح كثيراً من الروايات في المنام، وأن لذلك تأثيراً.

ونرى الصدقة عن موتى المسلمين [المؤمنين][٢] والدعاء لهم، ونؤمن أن[٣] الله ينفعهم بذلك، ونصدق بأن في الدنيا سحرة[٤]، وأن السحر كائن موجود في الدنيا. وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة: مؤمنهم[٥] وفاجرهم وتوارثهم. ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن من مات أو قتل، فبأجله مات أو قتل، وأن الأرزاق من قِبَل الله ﷻ يرزقها الله عباده حلالاً وحراماً، وأن الشيطان يوسوس للإنسان، ويشككه ويخبطه[٦]، خلافاً لقول المعتزلة والجهمية، كما قال الله ﷻ ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] وكما قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ٤ ـ ٦].

ونقول: إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله بآيات يظهرها عليهم. وقولنا في أطفال المشركين أن الله يؤجج ناراً في الآخرة[٧] ثم يقول لهم: اقتحموها كما جاءت الرواية بذلك[٨]. وندين بأن الله تعالى يعلم ما العباد عاملوه[٩]، وإلى ما هم صائرون، وما يكون[١٠] وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين. ونرى مفارقة كل داعية لبدعة[١١]، ومجانبة أهل

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (٦١٢) من حديث أنس.

(٢) في مطبوع «الإبانة»: «ونقر أن لذلك تفسيراً».

(٣) في مطبوع «الإبانة»: «بأن».

(٤) في مطبوع «الإبانة»: «سحراً وسحرة».

(٥) في مطبوع «الإبانة»: «برّهم».

(٦) في مطبوع «الإبانة»: «ويتخبّطه».

(٧) في مطبوع «الإبانة»: «يؤجج لهم في الآخرة ناراً».

(٨) أخرجه أحمد (٤/ ٢٤)، وإسحاق بن راهويه (٤١)، والطبراني في «الكبير» (٨٤١)، وابن حبان (١٠/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ـ التعليقات الحسان)، والبزار (٢١٧٤ ـ زوائده)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص١١١)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٩٠٠)، وفي «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٥٥)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٤٥٤ ـ ١٤٥٦) من حديث الأسود بن سريع، وهو حسن.

وفي الباب عن جمع من الصحابة يصح بها، كاد أن يستوعبها ابن القيم في آخر «طريق الهجرتين»، وانظر تفصيل تخريجه: «الصحيحة» (٢٤٦٨).

(٩) في مطبوع «الإبانة»: «بأنه يعلم ما العباد عاملون».

(١٠) في مطبوع «الإبانة»: «وما كان وما يكون».

(١١) في مطبوع «الإبانة»: «إلى بدعة».

الأهواء، وسنحتج لما ذكرناه من قولنا، وما بقي منه، وما[(١)] لم نذكره باباً باباً[(٢)].

قلت[(٣)]: ثم ذكر الأبواب إلى أن قال: (باب الاستواء)[(٤)]؟ وإن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: إن الله مستو[(٥)] على عرشه[(٦)] كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝٣٦ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] كذب[(٧)] موسى في قوله: إن الله فوق السموات، وقال الله ﷻ: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] فالسموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات[(٨)] وكان كل ما علا فهو سماء[(٩)]، وليس إذا قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ يعني جميع السمٰوات، وإنما أراد العرش الذي هو على[(١٠)] السمٰوات، [ألا ترى][(١١)] أنه ذكر السمٰوات فقال: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦] ولم يُرد أنه يملأهن جميعاً[(١٢)]، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله تعالى على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش».

(١) في مطبوع «الإبانة»: «منه مما».
(٢) انظر: «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر (ص١٥٢ ـ ١٦٣).
(٣) أي ابن القيم.
(٤) في مطبوع «الإبانة»: «ذكر الاستواء على العرش».
(٥) في مطبوع «الإبانة»: «يستوي».
(٦) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «كما يليق به من غير طول الاستقرار».
(٧) في مطبوع «الإبانة»: «فكذب فرعون نبي الله».
(٨) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] لأنه مستوٍ على العرش الذي فوق السمٰوات».
(٩) في مطبوع «الإبانة»: «وكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السماوات».
(١٠) في مطبوع «الإبانة»: «أعلى».
(١١) من مطبوع «الإبانة»، وسقط من الأصل.
(١٢) في مطبوع «الإبانة»: «ولم يُرد يملأهن جميعاً وأنه فيهن جميعاً».

ثم قال: «ومن دعاء أهل الإسلام[١] إذا هم رغبوا إلى الله تعالى[٢] يقولون[٣]: يا ساكن العرش، ومن خلفهم يقولون[٤]: لا والذي احتجب بسبع، وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: أن معنى استوى استولى[٥] وملك وقهر، وأن الله في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما قالوا[٦] كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ [لأن الله قادر على كل شيء والأرض][٧]، فالله قادر عليها وعلى الحشوش[٨]، فلو كان[٩] مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء [لجاز أن يقال: إن الله][٧] مستوٍ[١٠] على الأشياء كلها[١١] ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستوٍ على الحشوش والأخلية[١٢]، فبطل أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء[١٣]»[١٤] ثم بسط الأدلة على هذه المسألة من الكتاب والسنة والعقل، ولولا خشية الإطالة لسقناها بألفاظها[١٥].

---

(١) في مطبوع «الإبانة»: «أهل الإسلام جميعاً».

(٢) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «في الأمر النازل بهم».

(٣) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «جميعاً».

(٤) في مطبوع «الإبانة»: «ومن حلفهم جميعاً».

(٥) في مطبوع «الإبانة»: «إن قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] أنه استولى».

(٦) في مطبوع «الإبانة»: «فلو كان هذا ما ذكروه».

(٧) غير موجود في مطبوع «الإبانة».

(٨) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «وعلى كل ما في العالم».

(٩) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «الله». (١٠) في مطبوع «الإبانة»: «وهو مستوٍ».

(١١) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها».

(١٢) بعدها في مطبوع «الإبانة»: «لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها».

(١٣) في مطبوع «الإبانة»: «ووجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الأشياء كلها».

(١٤) انظر: «الإبانة» (ص٤٠ ـ ٤١، ٤٩ ـ ٦٤، ١١٩ ـ ١٢٠، ١٢٤ ـ ١٢٥، ١٢٠ ـ ١٢١) بلفظه.

(١٥) انظر كلامه أيضاً في: «المقالات» (٢٩٧) وما نقله عنه: ابن درباس في «الذب عن أبي الحسن الأشعري» (ص١١١ ـ ١١٢، ١١٧ ـ ١٢١)، والقشيري في «شكاية أهل السنة» =

وقال الأشعري في كتاب «الأمالي»: (باب القول في الأماكن): زعمت المعطلة[1] أن الله بكل مكان، على معنى الصنع والتدبير، واختلف أصحاب الصفات في ذلك، فقال أبو محمد عبد الله بن كلاب: إن الله لم يزل لا في مكان، وهو اليوم لا في مكان، وقال آخرون منهم: إنه مستوٍ على عرشه، بمعنى أنه عالٍ عليه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦١] وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فامتدح نفسه بأنه على العرش استوى، بمعنى أنه علا عليه، وعلَّمنا أنه لم يزل عالياً رفيعاً، قبل خلق الأشياء، وقبل خلق العرش الذي هو عالٍ عليه سبحانه وبحمده».

ذكر كلامه في كتابه الكبير في إثبات الصفات: وقد ذكر ترجمة هذا الكتاب في كتابه الذي سماه «العمدة في الرؤية»[2] فقال: وألفنا كتاباً كبيراً في الصفات، تكلمنا على أصناف المعتزلة والجهمية المخالفين لنا في نفيهم علم الله تعالى وقدرته، وسائر صفاته، وعلى أبي الهذيل، ومعمر النظام، وفي فنون كثيرة من فنون الصفات في إثبات الوجه، واليدين، وفي إثبات استواء الرب سبحانه على العرش». ثم ساق مضمونه. اهـ.

قول القاضي أبي بكر الطيب الباقلاني الأشعري: قال في كتاب «التمهيد في أصول الدين» وهو من أشهر كتبه: «فإن قال قائل: فهل تقولون: إن الله في كل مكان، قيل: معاذ الله، بل هو مستوٍ على العرش كما أخبر في كتابه فقال ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] ولو كان في كل مكان، لكان في جوف الإنسان، وفي فمه، وفي الحشوش، وفي المواضع التي يرغب عن ذكرها تعالى[3] عن ذلك.

ولو كان في كل مكان، لوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم

= (ص٩)، وابن السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ٣٩٩)، وابن تيمية في «الحموية» (ص٤٢٩)، والذهبي في «العلو» (١٢٤٠ ـ ١٢٥٥).

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «النجارية».

(٢) لم أجد من تكلم عما يتضمنه غير ما قاله ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» (ص١٢٨): «ذكر في كتابه الذي سماه «العمد في الرؤية» أسامي أكثر كتبه» وأفاد أنه جمع فيه ما صنفه إلى سنة عشرين وثلاث مئة.

(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «تعالى الله».

يكن خلقه، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان واضحاً[(١)]»، وأن يُرغب إليه نحو الأرض وإلى وراء ظهورنا عن أيماننا وعن شمائلنا، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله».

ثم قال في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]: «المراد أنه إله عند أهل السماء، وإله عند أهل الأرض، كما تقول العرب: فلان نبيل مطاع في المصرين، أي: عند أهلهما، وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز والعراق موجودة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]؛ يعني: بالحفظ والنصر والتأييد، ولم يرد أن ذاته معهم تعالى، وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] محمول على هذا التأويل، وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]؛ يعني: أنه عالم بهم وبما خفي من سرهم ونجواهم، وهذا إنما يستعمل كما ورد به القرآن، فلذلك لا يجوز أن يقاس[(٢)] على هذا أن الله بمدينة السلام ودمشق[(٣)]، وأنه مع الثور والحمار، وأنه مع الفساق ومع المتوجهين إلى حلوان[(٤)] قياساً على قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [النحل: ١٢٨]، فوجب أن يكون التأويل على ما وصفناه، ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه، كما قال الشاعر: قد استوى بشر على العراق[(٥)]؛ لأن الاستيلاء: القدرة[(٦)]، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً مقتدراً، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ [الفرقان: ٥٩] يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن قبل[(٧)] ما قالوه».

ثم قال: «باب فإن قال قائل: ففصّلوا لي صفات ذاته من صفات أفعاله

---

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ولصحّ».
(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «أن يقال قياساً».
(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «إن الله بالبردين مدينة السلام ودمشق».
(٤) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «مع الفساق والمجان ومع المصعدين إلى صلوات».
(٥) سبق تخريجه.
(٦) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «هو القدرة والقهر».
(٧) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «فبطل».

لأعرف ذلك. قيل له: صفات ذاته هي التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها، وهي: الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام، والإرادة والبقاء والوجه واليدان والعينان والغضب والرضى، وصفات أفعاله[١]، هي: الخلق والرزق والعدل والإحسان والفضل[٢] والإنعام والثواب والعقاب والحشر والنشر، وكل صفة لم تكن قبل فعله لها موجودة»[٣] ثم ساق الكلام في الصفات. اهـ.

قول الحسين بن أحمد الأشعري المتكلم من متكلمي أهل الحديث صاحب «جامع الكبير» و«الصغير» في أصول الدين. قال في «جامعه الصغير»: «فإن قيل: ما الدليل على أن الله على العرش بذاته؟ قلنا: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]؛ فإن قالوا: فإن العرب يقولون: استوى فلان على بلد كذا وكذا استولى عليه وقهر هنا[٤]، قلنا: لأصحابنا عن هذا أجوبة:

أحدها: لو كان استوى بمعنى استولى، لم يكن لتخصيصه العرش بالاستواء معنى؛ لأنه مستول على كل شيء غيره، فكان يجوز أن يقال: الرحمٰن على الجبل استوى، وهذا باطل.

الثاني: أن العرب لا تدخل ثُم إلا لمستقبل[٥] سيكون، والله تعالى لم يزل قاهراً قادراً مستولياً على الأشياء، فلم يكن بزعمهم لقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] معنى.

الثالث: أن الاستواء بمعنى الاستيلاء لا يكون عند العرب إلا بعد أن يكون ثم مغالب يغالبه، فإذا غلبه وقهره، قيل: قد استولى عليه، فلمّا لم يكن مع الله مغالب لم يكن معنى استوائه على العرش استيلاء وغلبة[٦]، وصح أن استواءه عليه هو علوه وارتفاعه عليه بلا حد ولا كيف ولا تشبيه».

ثم ذكر الخليل بن أحمد وابن الأعرابي أن الاستواء في اللغة هو العلو والرفعة؛ لأنهم يقولون: استوت الشمس إذا تعالت، واستوى الرجل على ظهر

---

(١) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «فعله».
(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «والتفضل».
(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «وكل صفة كان موجوداً قبل فعله لها».
(٤) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «إذا استولى عليه وقهر؟».
(٥) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «لأمر مستقبل».
(٦) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «عليه وغلبته».

دابته، إذا علا عليها، وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤] أي: ارتفعت عليه، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] ارتفع عن حال النقصان إلى حال الكمال، وقولهم: استوى أمر فلان أي: ارتفع وعلا عن الحال التي كان عليها من الضعف وسوء الحال، وساق الكلام. اهـ.

ذكر قول الإمام فخر الدين الرازي في آخر كتابه وهو كتاب «أقسام اللذات»(١) الذي صنفه في آخر عمره، وهو كتاب مفيد، ذكر فيه أقسام اللذات وبين أنها ثلاثة أقسام: الحسية(٢)، كالأكل والشرب والنكاح واللباس، واللذة الحالية الوهمية: كلذة الرئاسة والأمر والنهي والترفع ونحوها، واللذة العقلية كلذة العلوم والمعارف، وتكلم على كل واحد من هذه الأقسام إلى أن قال: «وأما اللذة العقلية فلا سبيل إلى الوصول إليها والتعلق بها، فلهذا السبب نقول: يا ليتنا بقينا على العدم الأول، وليتنا ما شهدنا هذا العالم، وليت النفس لم تتعلق بهذا البدن، وفي هذا المعنى قلت:

نهاية إقدامِ العقولِ عقالُ ... وأكثرُ سعي العالمين ضلالُ
وأرواحُنا في وحشةٍ من جسومِنا ... وحاصلُ دُنيانا أذًى ووبالُ
ولم نستفدْ من بحثِنا طولَ عُمرنا ... سوى أنْ جَمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجالٍ ودولةٍ ... فبادُوا جميعاً مُسْرعين وزالوا
وكم مِنْ جِبال قد عَلَتْ شرفاتِها ... رجالٌ فزالوا والجبالُ جبالُ

واعلم أن بعد التوغل في المضايق، والتعمق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق، رأيت الأصوب الأصح(٣) في هذا الباب طريقة القرآن العظيم والفرقان الكريم، وهو ترك التعمق، والاستدلال بأقسام أجسام السمٰوات والأرضين على وجود رب العالمين، ثم المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل، فاقرأ في التنزيل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ

(١) وهو مخطوط بالهند، ولم يذكره بروكلمان ضمن مؤلفات الرازي أفاده محقق «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٦٠) هامش (٤).

(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «ثلاثة: الحِسِّية»، وسقطت «الحسيّة» من الأصل.

(٣) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «الأصلح».

ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] وأقرأ في الإثبات قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وعلى هذا القانون فقس»[1]. وختم الكتاب. اهـ.

قول متكلم السنة إمام الصوفية في وقته أبي العباس أحمد بن محمد المظفري المختار الرازي، صاحب كتاب «فرع الصفات في تقريع نفاة الصفات»، وهو على صغر حجمه، كتاب جليل، غزير العلم.

قال فيه بعد حكاية مذاهب الناس: «وقالت الحنابلة وأصحاب الظواهر والسلف من أهل الحديث: إن الله على العرش» ثم قال: «أما حجة المثبتين؛ فمن حيث الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والمعقول». ثم ذكر حجج القرآن والسنة، ثم حكى كلام الصحابة إلى أن قال: «ثم إن الصحابة اختلفوا في النبي ﷺ: هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا؟ واختلافهم في الرؤية في تلك الليلة، اتفاق منهم على أن الله على العرش؛ لأن المخالفين لا يفرقون بين الأرض والسماء بالنسبة إلى ذاته، وهم فرقوا حيث اختلفوا في إحداهما دون الأخرى».

قلت: مراده أنهم إنما اختلفوا في رؤيته لربه ليلة أسري به، فجاوز السبع الطباق، ولولا أنه على العرش لكان لا فرق في الرؤية نفياً ولا إثباتاً بين تلك الليلة وغيرها، ثم قال: «وأما المعقول فمن وجوه خمسة: **أحدها**: إطباق الناس كافة، وإجماع الخلق عامة من الماضين والغابرين والمؤمنين والكافرين على رفع الأيدي إلى السماء عند السؤال والدعاء، بخلاف السجود، فإنه تواضع متعارف، بخلاف التوجه إلى الكعبة فإنه تعبد غير معقول، أما رفع الأيدي بالسؤال نحو المسؤول فأمر معقول متعارف». قال: «ومن نظر في قصص الأنبياء وأخبار الأوائل القدماء وأبناء الأمم الماضية والقرون الخالية اتضحت له هذه المعاني واستحكمت له هذه المباني» ثم أقرّ[2] العلو وساق شبه النفاة ونقضها نقض من يقلع غروسها كل القلع رحمه الله تعالى. اهـ.

---

(١) لم أقف على هذا النص في مطبوع كتب الرازي، وقد وجدت شيخ الإسلام ابن تيمية ينقل عنه من الكتاب نفسه مستشهداً به في غير موضع. انظر مثلاً: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٧٢ ـ ٧٣)، و«درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٥٩ ـ ١٦٠).

(٢) في مطبوع «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «قرر».

قول ابن رشد الحفيد في علو الله تعالى: قال ابن القيم في «الجيوش الإسلامية» (ص١٣٠) ما نصه:

قال في كتابه «منهاج الأدلة»: «(القول في الجهمية): وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة في أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية، كأبي المعالي، ومن اقتدى بقوله، فظواهر[1] الشرع كلها تقتضي إثباتها لله تعالى[2] مثل قوله سبحانه: [﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالى][3]: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥] وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] إلى غير ذلك من الآيات التي إن سُلِّط التأويل عليها عاد الشرع كله متأولاً[4]، وإن قيل فيها: إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابهاً؛ لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منها تنزيل[5] الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ حتى قرب من سدرة المنتهى».

قال: «وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك، والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها هي أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان وإثبات المكان، يوجب إثبات الجسمية».

قال: «ونحن نقول: إن هذا كله غير لازم فالجهة[6] غير المكان»[7].

قال محمد تقي الدين: ثم شرح ابن رشد ذلك بكلام طويل، لا يفهمه عامة القراء، ثم قال: «فهذا كله يظهر للعلماء الراسخين في العلم».

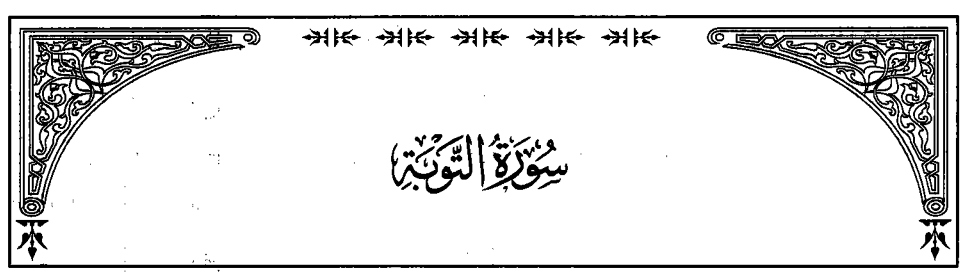
---

(١) في مطبوع «مناهج الأدلة»: «وظواهر».
(٢) في مطبوع «مناهج الأدلة»: «إثبات الجهة».
(٣) غير موجود في مطبوع «مناهج الأدلة». (٤) في مطبوع «مناهج الأدلة»: «مؤولاً».
(٥) في مطبوع «مناهج الأدلة»: «تنزل». (٦) في مطبوع «مناهج الأدلة»: «فإن الجهة».
(٧) انظر: «مناهج الأدلة» (ص٨٥ ـ ٨٦)، وما سبق في هذا الباب منقول من «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٩٥ ـ ٣٢٤) بتصرف، وذكرتُ الفرق بين ما فيه وما نقله المصنف عنه في الهوامش، فاقتضى التنويه والتنبيه، والله الموفق لا رب سواه.

قال: «فقد ظهر لك من هذا، أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل، وأنه الذي جاء به الشرع، وأثنى عليه، فإن إبطال هذه القاعدة إبطال للشرائع، . . .» ثم ساق تقرير ذلك إلى آخره، فهذا كلام فيلسوف الإسلام الذي هو أَخْبَرُ بمقالات الفلاسفة والحكماء، وأكثر اطلاعاً عليها من ابن سينا، ونقلاً لمذاهب الحكماء، وكان لا يرضى بنقل ابن سينا ويخالفه نقلاً وبحثاً.

فصل

قال محمد تقي الدين: قد أطلت في هذا الباب؛ **لأنه أهم أبواب آيات الصفات**، فإن كل من اعتقد علو الله تعالى واستواءه على عرشه وبينونته من خلقه لا يرد شيئاً من الصفات، **ومن سوء الحظ أن نفي هذه الصفة الكريمة قد شاع في بلاد المسلمين منذ أزمنة متطاولة**، فعامتهم يقولون: الله في كل مكان بذاته، وخاصتهم تقول: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا في أي جهة من الجهات الست؛ **لأن المعتزلة والخوارج والمتأخرين من الأشعرية نجحوا في تضليل الناس وإبعادهم عن الإيمان بعلو الله تعالى وكونه فوق خلقه**. فالحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.



سُورَةُ التَّوْبَةِ

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التوبة: ٦]

قال (ك): «يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [من][1] الذين أمرتك بقتالهم وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم، و﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ أي: استأمنك، فأجبه إلى طلبه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، أي: القرآن تقرأه عليه، وتذكر له شيئاً من [أمر][1] الدين تقيم به عليه حجة الله ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ أي: وهو آمن مستمر الأمان، حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء، ليعلموا دين الله وتنتشر دعوة الله في عباده.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في تفسير هذه الآية قال: «إنسان يأتيك ليسمع[2] ما تقول، وما أنزل عليك، فهو آمن حتى يأتيك فتسمعه[3] كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء»[4].

ولهذا[5] كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان مَن جاءه مسترشداً أو في رسالة،

---

(١) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

(٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يسمع». (٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فيسمع».

(٤) ذكره البخاري تعليقاً في «صحيحه» كتاب التوحيد، باب ذكر الله بالأمر وذكر العباد بالدعاء والتضرع والرسالة والإبلاغ.
ووصله ابن جرير في «التفسير» (١١/ ٣٤٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٧٥٥)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» (٥/ ٣٦٠).

(٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ومن هذا».

كما جاء يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش، منهم: عروة بن مسعود، ومكرز بن حفص، وسهيل بن عمرو وغيرهم[١]، واحداً بعد واحد، يتردّدون في القضية بينه وبين المشركين، فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله ﷺ ما بهرهم، وما لم يشاهدونه[١] عند ملك ولا قيصر، فرجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم[٢]، ولهذا أيضاً لما قدم رسولُ مسيلمة الكذاب على رسول الله ﷺ قال[٣]: **«أتشهد أن مسيلمة رسول الله»**؟ قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: **«لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقك»**[٤].

وقد قيض الله له ضرب العنق في إمارة ابن مسعود على الكوفة، وكان يقال له: ابن النواحة، ظهر عنه في زمان ابن مسعود أنه يشهد لمسيلمة بالرسالة، فأرسل إليه ابن مسعود، فقال له: «إنك الآن لست في رسالة، وأمر به فضربت عنقُه»[٥] لا رحمه الله ولعنه.

والغرض أن مَن قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام، في أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب، وطلب من الإمام أو نائبه أماناً، أعطي أماناً ما دام متردّداً في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه؛ لكن قال العلماء: لا يجوز أن يمكّن من الإقامة في دار الإسلام سنة، ويجوز أن يمكَّن من إقامة أربعة أشهر، وفيما بين ذلك فيما زاد على أربعة أشهر ونقص عن سنة قولان عن الإمام الشافعي وغيره من العلماء رحمهم الله»[٦]. اهـ.

قال القاسمي في «تفسيره»:

«استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن كلام الله بحرف وصوت قديمين، وهم الحنابلة ومن وافقهم[٧] قالوا: لأن منطوق الآية يدل على أن كلام الله يسمعه الكافر والمؤمن والزنديق والصديق، والذي يسمعه جمهور الخلق ليس إلا هذه الحروف والأصوات، فدلَّ ذلك على أن كلام الله ليس إلا هذه الحروف

---

(١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «يشاهده»!
(٢) سبق تخريجه.
(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قال له».
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٥١ ـ ١٥٢).
(٧) بعدها في مطبوع «تفسير القاسمي»: «كالعضد».

والأصوات، والقول بأن كلام الله شيء مغاير لها باطل؛ لأن رسول الله ﷺ ما كان يشير بقوله: ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ إلا لها، وقد اعترف الرازي بقوة هذا، لإلزام من خالف فيه، وقد مضى لنا في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]»[١].

وقال في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤] أي: في السور المكية ﴿وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ﴾[٢] أي: لم نسمِّهم[٣] لك في القرآن، وقد أحصى بعض المدققين أنبياء اليهود والنصارى ورسلهم فوجد عددهم لا يتجاوز الخمسين، وروي في عدتهم أحاديث تُكلِّم في أسانيدها، منها حديث أبي ذر: «إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر»[٤]، صححه ابن حبان، وخالفه ابن الجوزي فذكره في «موضوعاته» واتهم به إبراهيم بن هشام، وقد تكلم فيه غير واحد ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾؛ يعني: خاطبه مخاطبة من غير واسطة؛ لأن تأكيد (كلَّم) بالمصدر يدل على تحقيق الكلام، وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك؛ لأن أفعال المجاز لا تؤكد بالمصادر، فلا يقال: أراد الحائط[٥] إرادة، قال الفراء: «العرب تسمي كل ما يوصل إلى الإنسان كلاماً، بأي طريق وصل، لكن لا تحققه بالمصدر، وإذا حقق بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام»[٦]، فدل قوله تعالى: ﴿تَكۡلِيمٗا﴾ على أن موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة، قال بعضهم: «كما أن الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به، ولم يكن ذلك قادحاً في نبوة غيره من الأنبياء، فكذلك إنزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحاً في نبوة من أنزل عليه كتابه منجماً من الأنبياء»، كذا في «اللباب»[٧].

---

(١) انظر: «تفسير القاسمي» (٨/ ١٣٨). (٢) غير موجود في «تفسير القاسمي».

(٣) كذا في مطبوع «تفسير القاسمي»، وفي الأصل: «نسمعهم»!

(٤) سبق تخريجه.

(٥) وهذا ردّ على من يقول: إن الله خلق كلاماً في محل فسمع موسى ذلك الكلام. (منه).

(٦) لم أجده من كلام الفراء، وإنما وجدته بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠)، وانظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ٣٩٨).

(٧) انظر: «اللباب في علوم الكتاب» لابن عادل الحنبلي (٧/ ١٣٦).

تنبيه: يحسن في هذا المقام **إيراد عقيدة السلف الكرام في مسألة الكلام** فإنها من أعظم مسائل الدين، وقد تحيرت فيها آراء أهل الأهواء من المتقدمين والمتأخرين، واضطربت فيها الأقوال، وكثرت بسببها الأهواء، وأثارت فتناً وجلبت محناً، وكم سجنت إماماً، وبكت أقواماً، وتشعبت فيها المذاهب، واختلفت فيها المشارب، **ولم يثبت إلا قول أهل السنة والجماعة، المقتفون**[1] **لأثر الرسول ﷺ وصحابته الكرام**، فنقول: قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية عليه رحمة الرحيم السلام في كتابه إلى جماعة العارف عدي بن مسافر ما نصه:

«**فصل**

ومن ذلك الاقتصاد في السنة واتباعها كما جاءت بلا زيادة ولا نقصان، مثل الكلام في القرآن وسائر الصفات، فإن مذهب سلف الأمة وأهل السنة: أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، هكذا قال غير واحد من السلف، روي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ـ وكان من التابعين الأعيان ـ، قال: ما زلت أسمع الناس يقولون ذلك، القرآن الذي أنزله الله على رسوله هو هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون، ويكتبونه في مصاحفهم، وهو كلام الله لا كلام غيره، وإن تلاه العباد وبلّغوه بحركاتهم وأصواتهم، فإن الكلام لمن قاله مبتدئاً، لا لمن قاله مبلغاً مؤدياً، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وهو القرآن في المصاحف، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ [البينة: ٢ ـ ٣]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٨]، والقرآن كلام الله بحروفه ونظمه ومعانيه، كل ذلك يدخل في القرآن وفي كلام الله، وإعراب الحروف هو من تمام الحروف، كما قال النبي ﷺ: «**من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات**»[2]، وقال أبو بكر وعمر: «حفظ إعراب القرآن أحب

---

(١) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «المقتفين».

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٣٠٧) من حديث ابن مسعود، وفيه نهشل بن سعيد الورداني، متروك، ويروي عن الضحاك الموضوعات، وهذا من روايته عنه، وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٦٠)، وابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» =

إلينا من حفظ بعض حروفه»[١].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتصديق بما ثبت عن النبي ﷺ أن الله يتكلم بصوت[٢] وينادي آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بصوت[٣]، إلى أمثال ذلك من الأحاديث[٤]، فهذه الجملة كان عليها سلف الأمة وأئمة السنة، وقال أئمة السنة: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، حيث تلي، وحيث كُتب، فلا يقال لتلاوة العبد بالقرآن: إنها مخلوقة[٥]؛ لأن ذلك يدخل فيه القرآن المنزل، ولا يقال: غير مخلوقة؛ لأن ذلك يدخل فيه أفعال العباد، ولم يقل قط أحد من أئمة السلف: إن أصوات العباد بالقرآن قديمة، وبه أنكروا على من قال: «لفظ العبد بالقرآن غير مخلوق» وأما من قال: إن المداد قديم - فهذا من أجهل الناس وأبعدهم عن السنة. قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩]، فأخبر أن المداد يكتب به كلماته، وكذلك من قال: «ليس القرآن في المصحف، وإنما في المصحف مداد وورق وحكاية وعبارة». فهو مبتدع ضال، بل القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ هو ما بين الدفتين، والكلام في المصحف على الوجه الذي يعرفه الناس، له خاصة يمتاز بها عن سائر الأشياء.

= (١/ ١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٢٨) من حديث ابن عمر وفيه تدليس بقية، ويمكن أن يكون تلقاه عن أبي الطيب المروزي الذي صرح به عند ابن حبان وابن الأنباري، وساق له الذهبي في «الميزان» هذا الحديث من منكراته، ونقل عن ابن معين قوله فيه: «كذاب خبيث»، **وحكم عليه شيخنا الألباني بالوضع** في «الضعيفة» (٢٣٤٨) وقال: «وقد روي الحديث من طرق أخرى عن ابن مسعود وغيره بألفاظ قريبة من هذا ويزيد بعضهم على بعض **ولا يصح شيء منها، وبعضها أشد ضعفاً من بعض**»، وانظرها أيضاً (١٣٤٤ - ١٣٤٧ و٥٦٨٢ - ٦٥٨٤).

(١) أخرجه ابن الأنباري في «الإيضاح» كما في «كنز العمال» (٢/ ٣٣٦)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (٢/ ١٧٧)، وابن شاهين كما في «لمحات الأنوار» (١/ ٣٠١) للغافقي.
ويغني عنه ما أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٥٧) بسندٍ صحيح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «لأن أقرأ آية بإعرابٍ أحبُّ إليّ من أن أقرأ كذا وكذا آية بغير إعراب».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) كذا في مطبوع «تفسير القاسمي»، وفي الأصل: «الحديث».

(٥) كذا في مطبوع «تفسير القاسمي»، وفي الأصل: «مخلقة»!

وكذلك من زاد على السنة، فقال: إن ألفاظ العباد وأصواتهم قديمة، فهو مبتدع ضال، كمن قال: إن الله لا يتكلم بحرف ولا صوت، فإنه أيضاً مبتدع منكر للسنة، وكذلك من زاد وقال: إن المداد قديم ـ فهو ضال، كمن قال: ليس في المصاحف كلام الله، وأما من زاد على ذلك من الجهال الذين يقولون: إن الورق والجلد والوتد وقطعة من الحائط كلام الله، فهو بمنزلة من يقول: ما تكلم الله بالقرآن ولا هو كلامه، هذا الغلو من جانب الإثبات يقابل التكذيب من جانب النفي، وكلاهما خارج عن[1] السنة والجماعة.

وكذلك إفراد الكلام في النقطة والشكلة[2] بدعة، نفياً وإثباتاً، وإنما حدثت هذه البدعة من مائة سنة أو أكثر بقليل، فإن من قال: إن المداد الذي تنقط به الحروف وتشكل به قديم، فهو ضال جاهل. ومن قال: إن إعراب حروف القرآن ليس من القرآن فهو ضال مبتدع، بل الواجب أن يقال: هذا القرآن العربي هو كلام الله، وقد دخل في ذلك حروفه وإعرابه[3]، كما دخلت معانيه، ويقال: وما بين اللوحين جميعه كلام الله، فإن كان المصحف منقوطاً مشكولاً أطلق على ما بين اللوحين جميعه إنه كلام الله، وإن كان غير منقوط ولا مشكول، كالمصاحف القديمة التي كتبها الصحابة، كان أيضاً ما بين اللوحين هو كلام الله، فلا يجوز أن تلقى الفتنة بين المسلمين بأمر محدث ونزاع لفظي لا حقيقة له، ولا يجوز أن يحدث في الدين ما ليس منه»[4].

وسئل رحمه الله تعالى عن رجلين تباحثا فقال أحدهما: القرآن حروف وصوت[5]، وقال الآخر: ليس ذلك من القرآن. فما الصواب في ذلك؟ فأجاب:

«الحمد لله رب العالمين، هذه المسألة يتنازع فيها كثير من الناس، ويخلطون الحق بالباطل، فالذي قال: إن القرآن حرف وصوت، إن[6] أراد بذلك

---

(١) كذا في مطبوع «تفسير القاسمي»، وفي الأصل: «من».

(٢) كذا في مطبوع «تفسير القاسمي»، وفي الأصل: «والشكل».

(٣) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «بإعرابها».

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٠١ ـ ٤٠٤).

(٥) بعدها في مطبوع «تفسير القاسمي»: «وقال الآخر: ليس هو بحرف وصوت، وقال أحدهما: النقط التي في المصحف والشكل من القرآن».

(٦) كذا في مطبوع «تفسير القاسمي»، وفي الأصل: «أي».

أن هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون[1] هو كلام الله، الذي نزل به الروح الأمين على محمد خاتم النبيين والمرسلين، وأن جبرائيل سمعه من الله، والنبي ﷺ سمعه من جبرائيل، والمسلمون سمعوه من النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤] فقد أصاب في ذلك.

فإن هذا مذهب سلف الأمة وأئمتها، والدلائل على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع، ومن قال: إن القرآن العربي لم يتكلم الله به وإنما هو كلام جبرائيل أو غيره، عبر به عن المعنى القائم بذات الله، كما يقول ذلك ابن كلّاب والأشعري ومن وافقهما، فهو قول باطل من وجوه كثيرة، فإن هؤلاء يقولون: إنه معنى واحد قائم بالذات، وإن معنى التوراة والإنجيل والقرآن واحد، وإنه لا يتعدد ولا يتبعض، وإنه إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وبالعبرانية كان توراة، وبالسريانية كان إنجيلاً، فيجعلون معنى آية الكرسي، وآية الدين، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، و﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، والتوراة والإنجيل وغيرهما معنى واحداً، وهذا قول فاسد بالعقل والشرع، وهو قول أحدثه ابن كلاب لم يسبقه إليه غيره من السلف، وإن أراد قائل بالحرف والصوت، أن الأصوات المسموعة من القرآن[2]، والمداد الذي في المصاحف قديم أزلي أخطأ وابتدع، وقال ما يخالف العقل والشرع، فإن النبي ﷺ قال: «**زينوا القرآن بأصواتكم**»[3].

فبيَّن أن الصوت صوت القارئ والكلام كلام الباري، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فالقرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله لا كلام غيره، كما ذكر الله ذلك. وفي «السنن» عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ كان يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال: «**ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي**»[4].

وقالوا لأبي بكر الصديق لما قرأ عليهم: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [الروم: ١، ٢]: هذا كلامك أم كلام صاحبك؟ فقال: «ليس بكلامي ولا كلام صاحبي،

(١) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «يُقرأ للمسلمين».
(٢) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «القراء».
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سيأتي تخريجه (ص٢٧٥).

ولكنه كلام الله تعالى»[١].

والناس إذا بلّغوا كلام النبي ﷺ، كقوله: **«إنما الأعمال بالنيات»**[٢] يعلمون أن الحديث الذي يسمعونه حديث النبي ﷺ تكلم به بصوته وبحروفه ومعانيه، والمحدِّث بلّغه عنه بصوت نفسه لا بصوت النبي ﷺ، فالقرآن أولى أن يكون كلام الله، إذ بلّغته الرسل عنه، وقرأه الناس بأصواتهم، والله تكلم بالقرآن، بحروفه ومعانيه بصوت نفسه، ونادىٰ موسى بصوت نفسه، كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف، وصوت العبد ليس هو صوت الرب، ولا مثل صوته، فإن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومَنْ قبله من الأئمة، على ما نطق به الكتاب والسنة: من أن الله ينادي بصوت، وأن القرآن كلامه، تكلم بحرف[٣] وصوت، ليس منه شيء كلاماً لغيره لا جبرائيل ولا غيره، وأن العباد يقولونه بأصوات أنفسهم وأفعالهم، فالصوت المسموع من العبد صوت القارئ. والكلام كلام البارئ، وكثير من[٤] الخائضين في هذه المسألة لا يميز بين صوت العبد وصوت الرب، بل يجعل هذا هو هذا، فينفيهما جميعاً ويثبتهما جميعاً، فإذا نفى الحرف والصوت، نفى أن يكون القرآن العربي كلام الله، وأن يكون منادياً لعباده بصوته، وأن يكون القرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله، كما نفى أن يكون صوت العبد صفة الله، ثم جعل كلام الله المتنوع شيئاً واحداً، لا فرق بين القديم والحادث وهذا مصيب في هذا الفرق دون ذلك[٥] الثاني، الذي فيه نوع من الإلحاد والتعطيل؛ حيث جعل كلام الله المتنوع شيئاً واحداً لا حقيقة له عند التحقيق، وإذا أثبت جعل صوت الرب هو صوت العبد أو سكت عن التمييز بينهما، مع قوله: إن الحروف متعاقبة في الوجود مقترنة في الذات، قديمة أزلية الأعيان. فجعل عين صفة الرب تحل في العبد، ويتحد بصفته. فقال في نوع من الحلول

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١٤٤)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص١٠٧ - ١٠٨)، وذكره البخاري تعليقاً في «خلق أفعال العباد» (ص٩٢).
(٢) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب.
(٣) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «بحروف».
(٤) سقطت من الأصل، وهي في مطبوع «تفسير القاسمي».
(٥) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «ذاك».

والاتحاد، يفضي إلى نوع من التعطيل، وقد علم أن نفي الفرق والمباينة بين الخالق وصفاته، والمخلوق وصفاته خطأ وضلال لم يذهب إليه أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هم متفقون على التمييز بين صوت الرب وصوت العبد، ومتّفقون [على] أن الله تكلم بالقرآن الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ حروفه ومعانيه، وأنه ينادي عباده بصوته، ومتفقون على أن الأصوات المسموعة من القرآن أصوات العباد، وعلى أن مداد المصاحف ليس قديماً[1]، بل القرآن مكتوب في مصاحف المسلمين، مقروء بألسنتهم، محفوظ بقلوبهم، وهو كلام الله.

والصحابة كتبوا المصاحف لما كتبوها بغير شكل ولا نقط؛ لأنهم كانوا عرباً لا يلحنون، ثم لما حدث اللحن نقط الناس المصاحف وشكلوها، فإن كتبت بلا شكل ولا نقط جاز، وإن كتبت بنقط وشكل جاز، ولم يكره، في أظهر قولي العلماء وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وحكم النَّقط والشكل حكم الحروف فإن الشكل يبيِّن إعراب القرآن، كما يبين النقط الحروف، والمداد الذي يكتب به الحروف، ويكتب به الشكل والنَّقط، مخلوق.

وكلام الله العربي الذي أنزله وكتب في المصاحف بالشكل والنقط، وبغير شكل ونقط، ليس بمخلوق، وحكم الإعراب حكم الحروف، لكن الإعراب لا يستقل بنفسه، بل هو تابع للحروف المنقوطة، والشكل والنقط لا يستقل بنفسه، بل هو تابع للحروف المرسومة، فلهذا لا يحتاج لتجريدهما وإفرادهما بالكلام، بل القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله، معانيه وحروفه وإعرابه، والله تكلم بالقرآن العربي الذي أنزله على محمد ﷺ والناس يقرؤونه بأفواههم[2] وأصواتهم، والمكتوب في مصاحف المسلمين هو كلام الله، وهو القرآن العربي الذي أنزله على نبيه؛ سواء كتب بشكل ونقط، أو بغير شكل ونقط، والمداد الذي كتب به القرآن ليس بقديم بل هو مخلوق.

والقرآن الذي كتب في المصحف بالمداد هو كلام الله منزَّل، غير مخلوق، والمصاحف يجب احترامها باتفاق المسلمين؛ لأن كلام الله مكتوب فيها،

---

(١) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «وعلى أنه ليس بشيء من أصوات العباد ولا مداد المصاحف قديماً».

(٢) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «بأفعالهم».

واحترام النقط والشكل، إذا كتب في المصاحف مشكلاً منقوطاً، كاحترام الحروف باتفاق علماء المسلمين، كما أن حرمة إعراب القرآن كحرمة حروفه المنقوطة باتفاق المسلمين، ولهذا قال أبو بكر وعمر: «حفظ إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه»[١].

والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه فجميعه كلام الله، فلا يقال: بعضه كلام الله وبعضه ليس بكلام الله، وهو سبحانه نادى موسى بصوت سمعه موسى، فإنه أخبر أنه نادى موسى في غير موضع من القرآن، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ [النازعات: ١٥ ـ ١٦]، والنداء لا يكون إلا صوتاً باتفاق أهل اللغة، وقد قال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٣، ١٦٤].

فقد فرق الله بين إيحائه إلى النبيين وبين تكليمه لموسى، فمن قال: إن موسى لم يسمع صوتاً، بل أُلهم معناه ـ لم يفرق بين موسى وغيره»[٢] اهـ. المقصود نقله منه.

قال الإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني في كتاب «الحيدة» حين ناظر بشراً المريسيّ ومن معه من المبتدعة القائلين بخلق القرآن: «وناديت بأعلى صوتي مخاطباً لابني وكنت قد أقمته بحيالي عند الأسطوانة الأخرى، وقلت: يا بني ما تقول في القرآن؟ فقال: أي أبت! كلام الله منزل غير مخلوق، فلما سمع الناس مقالتي وكلامي لابني وجوابه لي هربوا على وجوههم خارجين من المسجد إلا اليسير من الناس خوفاً على أنفسهم، وذلك أنهم سمعوا ما لم يكونوا يسمعونه من قبل، وظهر لهم ما كانوا يكتمونه، فلم يستتم من ابني الجواب حتى جاء أصحاب السلطان، فاحتملوني وابني، فأوقفونا بين يدي عمرو بن مسعدة، وكان جاء[٣] ليصلي الجمعة، فلما نظر إلى وجهي، وكان قد سمع كلامي

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: «تفسير القاسمي» (٥/ ٦٣٥ ـ ٦٤٢)، و«مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥٨٢ ـ ٥٨٨).

(٣) في مطبوع «الحيدة»: «قد جاء».

ومُسَألتني لابني وجواب ابني إياي، فلم يحتج أن يسألني عن كلامي.

فقال لي: أمجنون أنت؟ قلت: لا، قال: فموسوس أنت؟ قلت: لا، قال: فمعتوه أنت؟ قلت: لا، والحمد لله وإني لصحيح العقل جيد الفهم ثابت المعرفة، قال: فمظلوم أنت؟ قلت: لا، فقال لأصحابه: مروا بهما سحباً إلى منزلي.

قال عبد العزيز: فحملنا على أيدي الرجال حتى أخرجنا من المسجد الجامع، ثم جعل الرجال يتعادون بنا سحباً شديداً وأيدينا في أيديهم يمنة ويسرة، وسائر أصحابه قُدَّامنا وخلفنا، حتى صرنا إلى منزل عمرو بن مسعدة من الجانب الغربي على تلك الحالة الغليظة، فأوقفنا على بابه، حتى دخل، فأمر بنا فأدخلنا عليه وهو جالس في صحن داره على كرسي من حديد، فلما صرنا بين يديه أقبل عليَّ فقال: من أين أنت؟ قلت: من أهل مكة، قال: ما حملك على ما صنعت بنفسك؟ قلت: طلبت القربة إلى الله ﷻ ورجاء الزلفة لديه، قال: فهلا فعلت ذلك سراً من غير نداء ولا إظهار المخالفة لأمير المؤمنين؟ ولكن أردت الشهرة والرياء والسوء ولتأخذ أموال الناس. فقلت: ما أردت إلا الوصول إلى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه لا غير ذلك؟ قال: أو تفعل ذلك؟ قلت: نعم، ولذلك قصدتُ وبلغت بنفسي ما ترى، وتغريري بنفسي، وسلوك البراري أنا وولدي رجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في كتابه، وما أخذه علي وعلى العلماء من البيان.

فقال: إن كنتَ إنما جعلتَ هذا سبباً لغيره إذا وصلت إلى أمير المؤمنين، فقد حلَّ دمك لمخالفتك أمير المؤمنين، فقلت له: إنْ تكلمتُ في شيء غير هذا وجعلتُ هذا ذريعة إلى غيره فدمي حلال لأمير المؤمنين. فوثب عمرو قائماً على رجليه، وقال: أخرجوه بين يدي[1]، فأُخرجت بين يديه، وركب من الجانب الغربي وأنا وابني بين يديه يعدى بنا على وجوهنا وأيدينا في أيدي الرجال، حتى صاروا إلى دار أمير المؤمنين من الجانب الشرقي، فدخل ونحن في الدهليز قياماً على أرجلنا فأطال عند أمير المؤمنين، ثم خرج وقعد في حجرة له، وأمر بي فأدخلت عليه، فقال: أخبرتُ أمير المؤمنين بخبرك، وما فعلتَ، وما سألتَ من

(١) في مطبوع «الحيدة»: «بين يدي إلى أمير المؤمنين».

الجمع بينك وبين مخالفيك للمناظرة بين يديه، وقد أمر ـ أطال الله بقاءه، وأعلى أمره ـ بإجابتك إلى ما سألت، وجمع المناظرين على هذه المقالة إلى مجلسه أعلاه الله في يوم الاثنين الأدنى[1]. ويحضر معهم ليناظروا بين يديه ويكون هو الحاكم بينكم.

قال عبد العزيز: فأكثرتُ حمد الله وشكره على ذلك، وأظهرت الدعاء والشكر لأمير المؤمنين، فقال[2] عمرو: أعطنا كفيلاً بنفسك حتى تحضر معهم يوم الاثنين، وليس بنا حاجة إلى حبسك. فقلت له: أدام الله عزك أنا رجل غريب ولست أعرف في هذا البلد أحداً، ولا يعرفني من أهلها أحد، فمن أين لي من يكفلني؟ خاصة مع إظهاري مقالتي، لو كان الخلق يعرفونني حق معرفتي لتبرؤوا مني، وهربوا من قُربي وأنكروني، قال: فنوكل بك من يكون معك حتى يحضرك في ذلك اليوم وتنصرف فتصلح من شأنك، وتتفكر في أمرك، لعلك أن ترجعَ عن غيِّك، وتتوب من فعلك، فيصفح أمير المؤمنين عنك.

فقلت: ذلك إليك ـ أعزك الله ـ فافعل ما رأيتَ. فوكَّل من يكون معي في منزلي وانصرف، قال عبد العزيز: فلما صليت الغداة في يوم الاثنين في المسجد الذي على باب بيتي، إذا خليفة عمرو بن مسعدة قد جاءني، ومعه جمع كثير من الفرسان والرجال، فحملني مكرماً على دابة حتى صار بي إلى دار أمير المؤمنين، فأوقفني هناك حتى جاء عمرو بن مسعدة، فجلس في حجرته التي كان يجلس فيها، ثم أذن لي بالدخول، فدخلت، فلما صرت بين يديه أجلسني، ثم قال: أنت مقيم على ما كنت عليه أم رجعت عنه؟ قلتُ: بل مقيم على ما كنت عليه، وقد ازددتُ ـ بتوفيق الله ـ بصيرة ورُشْداً. فقال عمرو: يا أيها الرجل قد حملت نفسك على أمر عظيم، وبلغت الغاية في مكروهها، وتعرضت لما لا قِوام لك به من مخالفة أمير المؤمنين، وادَّعيتَ ما لا يثبت لك به حجة على مخالفيك، وليس إلا السيف بعد ظهور الحجة عليك، فانظر لنفسك، وبادر أمرك قبل أن تقع المناظرة، وتظهر عليك الحجة فلا ينفعك الندامة ولا يقبل لك معذرة، ولا يُقالُ لك عثرة، فقد رحمتُكَ وأشفقتُ عليكَ مما هو بكَ نازل، وأنا أستقيل لك أمير المؤمنين وأسأله الصفح عن رجمك، وعظيم ما كان منك إن أظهرت الرجوع

---

(١) في مطبوع «الحيدة»: «الآتي».

(٢) في مطبوع «الحيدة»: «فقال لي».

عنه، والندم على ما كان منك، وآخذ لك الأمان منه ـ أيده الله ـ والجائزة، وإن كان بك مظلمة؛ أزلتُها عنك، وإن كان لك حاجة؛ قضيتُها لك، فإنما جلسْتُ رحمة لك مما هو نازل بك بعد ساعة إنْ أقمتَ على ما أنت عليه، ورجوت أن يخلصك الله على يدي من عظيم ما أوقعت نفسك به.

فقلت: ما ندمتُ ـ أعزك الله ـ على ما كان مني، ولا رجعتُ عنه، ولا خرجتُ من بلدي، وغررت بنفسي إلا في طلب هذا اليوم، وهذا المجلس؛ رجاء أن يبلِّغني الله ما أؤمِّله من إقامة الحقِّ، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وهو حسبي، ونعم الوكيل. قال عبد العزيز رحمه الله تعالى: فقام عمرو بن مسعدة على رجليه، وقال: قد حرصتُ على خلاصك جَهدي وأنتَ حريص على سفْك دمك، وقتلِ نفسك، فقلت: معونة الله تبارك وتعالى أعظم وألطف من أن ينساني الله، أو يكلني إلى نفسي، وعدل أمير المؤمنين أوسع من أن يقصر عني، وإنما أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال عبد العزيز رحمه الله تعالى: فقام عمرو بن مسعدة فدخل بي، فأخرجت إلى الدهليز الأول، ومعي جماعة موكَّلون بي، وكان قد أمر بني هاشم أن يركبوا ووجَّه إلى القضاة والفقهاء الموافقين لهم على مذهبهم وسائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا، والقواد، والأولياء، فركب القوم بالسلاح؛ ليرهبوني بذلك، ويرهبوا الرعية، وأمر الناس جميعاً أن لا ينصرفوا حتى نفرغ من المجلس، فلما اجتمع الناس وتتاموا[1]، ولم يتخلف منهم أحد ممن يعرفونه بالكلام والجدل، أُذِن لي بالدخول، فلم أزل أنقل من دهليز إلى دهليز، حتى صرتُ إلى الحاجب صاحب الستر الذي على باب الصحن، فلما رآني أمر بي فأدخلت إلى حُجرته، ودخل معي.

فقال: إن كنت تحتاج إلى تجديد الوضوء، قلت: مالي إلى ذلك حاجة قال: اركع ركعتين، فركعت أربع ركعات، ودعوتُ الله ﷻ، ثم قال لي: استخر الله وقُم فادخل، وخرج معي إلى باب الصحن وشال الستر، وأخذ الرجال بيدي وعضدي وجعل أقوام أيديهم في ظهري وعلى رقبتي وجعلوا يتعادون بي،

(١) في مطبوع «الحيدة»: «وتأهبوا».

ونظر إليّ المأمون، وأنا أسمع صوتاً: خلُّوا عنه، وكثر الضجيج من الحجَّاب والقواد بمثل ذلك، فخلَّوا عني، وقد كاد يتغيَّر عقلي من شدة الجزع وعظيم ما رأيت في ذلك الصحن من السلاح، وهم ملء الصحن، وكنت قليل الخبرة بدار أمير المؤمنين، ما رأيتُها قبل ذلك ولا دخلتُها، فلما صرتُ على باب الإيوان، وقفت فسمعت المأمون يقول: أدْخلوه، قرِّبوه، فلما دخلتُ من باب الإيوان وقعت عيني عليه، وقبل ذلك لم أنتبه لما كان على باب الإيوان من الحجّاب والقواد، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثم قال: أُدنُ مني، فدنوتُ منه، ثم جعل يقول: أُدْنُ مني، فدنوتُ منه، ثم جعل يقول: أُدنُ وأدنو، ويكرر ذلك، وأنا أدنو خطوة خطوة، حتى صرت إلى الموضع الذي يجلس فيه المتناظرون ويسمع كلامهم، والحاجب معي يقدّمني، فلما انتهيتُ إلى الموضع، قال لي المأمون: اجلس فجلست.

قال عبد العزيز: وسمعت رجلاً من جلسائه يقول: وقد دخلت الإيوان: يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، فوالله ما رأيتُ خلقاً لله أقبح وجهاً منه، فسمعتُ قوله هذا وفهمتُه، وما رأيت شخصاً على ما كنتُ فيه من الجزع والرعدة.

قال عبد العزيز: وتبيَّن لأمير المؤمنين ما أنا فيه من الجزع، وما قد نزل بي من الخوف، فجعل ينظر إليَّ وأنا ارتعد خوفاً، وانتفض، وأحبّ أن يؤنسني، ويسكن روعتي، فجعل يكثر كلام جلسائه، ويكلم عمرو بن مسعدة، ويتكلَّم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج إليها، يريد بذلك كله إيناسي، وجعل يطيل النظر إلى الإيوان، ويدير نظره فيه، فوقعت عيناه على موضع من نقش الجص قد انتفخ، فقال: يا عمرو ما ترى هذا انتفخ من هذا النقش في هذا الجص، وسيقع، فبادِرْ في قلعه وعمله، فقال عمرو: قطع الله يد صانعه، فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا.

قال عبد العزيز: ثم أقبل عليَّ المأمون، فقال: ما الاسم؟ فقلت: عبد العزيز قال: ابن من؟ قلت: ابن يحيى بن مسلم، قال: ابن من؟ قلت: ابن ميمون الكناني، قال: أوَ أنت من كِنانة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فتركني

هنيهة لا يكلمني[١]، [ثم أقبل عليّ][١] فقال: من أين الرجل؟ قلت: من الحجاز. قال: ومن أي الحجاز؟ قلت: من مكة، قال: ومن تعرف من أهل مكة؟ قلت: يا أمير المؤمنين قَلَّ مَنْ بها من أهلها إلا وأنا أعرف إلا رجلاً ضوى إليها، أو من جاور بها، فإني لا أعرفه، قال: تعرف فلاناً وفلاناً. حتى عدد جماعة من بني هاشم كلهم أعرفهم حقَّ المعرفة، فجعلتُ أقول: نعم. وسألني عن أولادهم وأنسابهم، فأخبرته من غير حاجة إلى شيء من ذلك، ولا تقدم من مسألتي، وإنما يريد إيناسي وبسطي للكلام وتسكين روعي[٢] وجزعي، فذهب عني ما كنت فيه، وما لحقني من الجزع، وجاءت المعونة من الله ﷻ، قوّى[٣] بها ظهري، واشتد بها قلبي، واجتمع بها فهمي.

قال عبد العزيز رحمه الله تعالى: فأقبل عليَّ المأمون، وقال: يا عبد العزيز إنه قد اتصل بي ما كان منك وقيامك في المسجد الجامع، وقولك: إن القرآن كلام الله . . .إلخ بحضرة الخلق وعلى رؤوس الخلائق، وما كان من مسألتك بذلك من الجمع بينك وبين مخالفيك على القول؛ لتناظرهم في حضرتي، وفي مجلسي، والاستماع منك ومنهم، وقد جمعتُ المخالفين لك؛ لتناظرهم بين يدي وأكون الحاكم بينكم، فإن تبيَّن لك الحجة عليهم، والحقّ معك اتبعناك، وإن تكن الحجة لهم عليك، والحق معهم عافيناك[٤]، وإن استَقَلْتَ أَقَلْنَاك، ثم أقبل المأمون على بشر المريسي، وقال: يا بشر! قُم إلى عبد العزيز فناظره وأنصفه، قال: فوثب بشر المريسي من موضعه الذي كان فيه كالأسد يثب إلى فريسة فرحاً، فانحط عليَّ، فوضع ركبته وفخذه الأيسر على فخذي الأيمن فكاد أن يحطمه، وعمد إليَّ بقوته كلها. فقلت: مهلاً فإن أمير المؤمنين لم يأمرك بقتلي ولا بظلمي، وإنما أمرك بمناظرتي وإنصافي، فصاح به المأمون، وقال: تنحَّ عنه، وكرر ذلك عليه حتى باعده مني، قال: ثم أقبل عليَّ المأمون، وقال: يا عبد العزيز ناظره على ما تريد، واحتجَّ عليه، ويحتجَّ عليك، وتسأله ويسألك، وتناصفا في كلامكما، وتحفظا ألفاظكما، فإني مستمع عليكما فتحفظ ألفاظكما.

---

(١) من مطبوع «الحيدة»، وسقط من الأصل.

(٢) في مطبوع «الحيدة»: «وتسكين روعتي».

(٣) في مطبوع «الحيدة»: «فقوّى».

(٤) قال المؤلف لعل الصواب عاقبناك (منه) وكذا هو في المطبوع.

فقال عبد العزيز: فقلت: السمع والطاعة لأمير المؤمنين، ولكن أريد أن أقول شيئاً فيأذن لي أمير المؤمنين فيه، قال: قل كما تريد، قلت: يا أمير المؤمنين أسألك بالله مَنْ أجمل من بلَغَك من البشر، وأحسنهم وجهاً من جميع ولد آدم؟ قال: يوسف؛ بعد أن أطرق ملياً، قلت: صدقت يا أمير المؤمنين، فوالله ما أعطى يوسف على حسن وجهه جرادتين[1]، ولقد سجن وضيِّق عليه من أجل حسن وجهه ظلماً بغير حق، بعد أن وقف على براءته[2] وإقرار امرأة العزيز أنها هي راودته عن نفسه؛ فاستعصم، فحبس بعد ذلك كله لحسن وجهه، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ [يوسف: ٣٥]، فدل بقوله على أنه حبس بغير ذنب، لكن العلة حسن وجهه، وليغيبوه عنها وعن غيرها، رجاء تغيّر حلية وجهه؛ وليذهب بحسنه، فطال في السجن مكثه حتى عبَّر الرؤيا ووقف الملك على علمه ومعرفته وحسن عبارته، فاشتاق إليه، ورغب في صحبته فقال: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف: ٥٤]. وكان هذا القول من المَلِكِ بعد تعبير يوسف الرؤيا ووقوف الملك على حسن عبارته، وكما أخبر الله ﷻ في كتابه قبل أن يسمع كلامه، فلما دخل عليه وسمع كلامه، صيَّره على خزائن الأرض وفوَّضه إليه الأمور كلّها، واعتزل منها وصار كأنه من تحت يده، فكان ما بلغه يوسف كله من كلامه وعلمه لا بجماله وحسن وجهه قال الله ﷻ ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف: ٥٤، ٥٥]، ولم يقل: إني حسن جميل، فوالله ما أبالي يا أمير المؤمنين لو كان وجهي أقبح مما هو عليه، فقد أعطاني الله وله الحمد من فهم كتابه والعلم بتنزيله، فقال المأمون: وأي شيء أردت بهذا القول، وما الذي دعاك إليه؟.

فقلت: إني سمعتُ بعضَ مَنْ ههنا يقول: يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، فأي عيب يلحقني في صنعة ربي ﷻ؟ فتبسم المأمون حتى وضع يده على فمه، فقلت: يا أمير المؤمنين قد رأيتك تنظر هذا النقش في الحائط وتنكر انتفاخ الجص، وسمعت عمراً يعيب الصانع، ولا يعيب الجص، فقال المأمون: العيب لا على الشيء المصنوع، إنما العيب على صانعه، فقلت:

---

(١) في مطبوع «الحيدة»: «بعرتين».

(٢) بعدها في مطبوع «الحيدة»: «بالشاهد الذي أنطقه الله ﷻ بتصديقه وبيان قوله».

صدقت يا أمير المؤمنين، وقلت الحَقَّ، فهذا يعيب ربي لِمَ خلقني قبيحاً، فازداد تبسماً حتى ظهر ذلك، فقال: يا عبد العزيز ناظر صاحبك، فقد طال المجلس بغير مناظرة، قلت: يا أمير المؤمنين كلُّ مناظرين على غير أصل يكون بينهما ما يرجعان إليه إذا اختلفا في شيء من الفروع فهما كالسائر على غير طريق، وهو لا يعرف المحجة فيتبعها، ولا يعرف الموضع الذي يريد فيقصده، وهو لا يدري من أين جاء فيرجع فيطلب الطريق، وهو على ضلال ولكنا نؤصل[1] بيننا أصلاً، فإذا اختلفنا في شيء من الفروع رددناه إلى الأصل، فإن وجدناه فيه، وإلا رمينا به ولم نلتفت إليه.

قال المأمون: نِعْمَ ما قلتَ، فاذكر الأصلَ الذي تريد أن يكون بينكما، قلت: يا أمير المؤمنين الأصل بيني وبينه ما أمرنا الله ﷻ، واختاره لنا، وأعلمناه وأدبّنا به في التنازع والاختلاف ولم يكلنا إلى غيره، ولا إلى أنفسنا واختيارنا؛ فنعجز، قال المأمون: وهل ذلك موجود عن الله ﷻ؟ قلت: نعم! يا أمير المؤمنين، قال: فاذكر ذلك.

قلت: قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، فهذا تعليم من الله وتأديبه واختياره لعباده المؤمنين ما أصله المتنازعون بينهم، وقد تنازعتُ أنا وبشر يا أمير المؤمنين وبيننا كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ كما أمر الله ﷻ، فإذا اختلفنا في شيء من[2] الفروع، رددناه إلى كتاب الله ﷻ فإن وجدناه فيه، وإلا إلى سنة نبيه ﷺ فإن وجدناه فيها، وإلا ضربناه في الحائط ولم نلتفت إليه، قال المأمون: فافعلا وأصّلا بينكما هذا، واتفقا عليه وأنا الشاهد عليكما، والحافظ لما يجري بينكما.

قال عبد العزيز: قلت: يا أمير المؤمنين إنه من ألحَدَ في كتاب الله زائداً أو جاحداً لم يناظر بالتأويل ولا بالتفسير، قال المأمون: بأي شيء تناظر؟ قلت: بنص القرآن بالتلاوة، قال الله ﷻ لنبيه ﷺ حين ادعت اليهود تحريم أشياء لم تحرم عليهم: ﴿فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]،

(١) كذا في مطبوع «الحيدة» بنون في أوله وهو الصواب، والسياق الآتي يؤكده، وفي المطبوع: «تؤصل» بثاء مثناة فوقية!

(٢) من مطبوع «الحيدة»، وسقط من الأصل.

وقال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [النمل: ٩٢]، فإنما أمر الله نبيه بالتلاوة، ولم يأمره بالتأويل وإنما يكون التأويل لمن آمن بالتنزيل، فأما من أَلْحَد بالتنزيل فيكف يناظر بالتأويل؟ فقال المأمون: ويخالفك بالتنزيل؟ قلت: نعم. ليخالفني أو ليدعن قوله ومذهبه وليوافقني، قال: فناظره بالتلاوة ونص التنزيل، قلت: نعم.

قال عبد العزيز: فأقبلت على بشر، فقلتُ: يا بشر ما حجَّتُك أن القرآن مخلوق؟ فانظر إلى[1] أحدِّ سهم من كنانتك فارمني به، ولا تحتج إلى معاودتي لغيره[2]؟ قال بشر: تقول يا عبد العزيز القرآن شيء أم غير شيء؟ فإنْ قلتَ: شيء فقد أقررت أنه مخلوق، إذ كانت الأشياء كلها مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت: إنه ليس بشيء. فقد كفرتَ، لأنك تزعم أن حُجّةَ الله على خلقه ليس بشيء.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: ما رأيت أعجب من هذا، أتسألني وتجيب نفسك، فإن تسألني لأجيبك فاسمع الجواب مني؛ فإني أحسن أن أجيبك، وأعبر عن نفسي، وإنْ تُرِدْ أن تخطب[3] وتتكلم، لتدهشني وتنسيني حجتي؛ فلن أزداد بتوفيق الله إياي إلا بصيرة وفهماً، وما أحسبك يا بشر إلا وقد تعلمت شيئاً أو سمعت هذه المقالة والتي قبلها أو قرأتها في كتاب، فأنت تكره أن تقطعها حتى تأتي على آخرها، فأقبل عليه المأمون، وقال: صدق عبد العزيز اسمع منه جواب ما سألتَه، ثم رُدَّ عليه بعد ذلك ما شئت، ثم قال لي: تكلَّم فأجبه يا عبد العزيز لما سألك.

فقلت لبشر: سألت عن القرآن: هو شيء أم غير شيء؟ فإن كنت تريد أنه شيء إثباتاً للوجود ونفياً للعدم؛ فنعم، هو شيء، وإن كنت تريد أن الشيء اسم له وأنه كالأشياء فلا، فقال بشر: ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا أعقله ولا أسمعه، ولا بد من جواب يعقل ويفهم أنه شيء أم غير شيء.

---

(١) من مطبوع «الحيدة»، وسقط من الأصل.
(٢) في مطبوع «الحيدة»: «بغيره».
(٣) في مطبوع «الحيدة»: «وإن كنت إنما تريد أن تخطئني».

قال: فقلت لبشر: صدقتَ إنك لا تفهم ولا تعقل ولا تسمع ما أقول، ولقد وصفتَ نفسك بأقبح الصفات، واخترت لها أذم الاختيارات، ولقد ذم الله ﷻ قوماً في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ قالوا مثل مقالتك، وكانوا بمثل ما وصفت به نفسك، قال الله ﷻ: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣] وقال: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الزخرف: ٤٠] وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٦ ـ ١٨]، ومثل هذا في القرآن كثير، ولقد مدح الله قوماً في كتابه بحسن الاستماع وأثنى عليهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ الآية [الزمر: ١٨]، وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] الآية، وقال: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فما اخترتَ لنفسك ما اختاره الرسول، ولا ما اختاره المؤمنون، ولا ما اختاره أهل الكتاب، قال المأمون: دع عنك هذا يا عبد العزيز، وارجع إلى ما كنتَ فيه، وبيِّن ما قلتَه واشرحه من ذكر (الشيء).

فقلت: يا أمير المؤمنين! إن الله أجرى كلامه على ما أجراه على نفسه، إذ كان كلامه من ذاته ومن صفاته فلم يتسم بالشيء، ولم يجعل الشيء اسماً من أسمائه، ولكنه دل على نفسه أنه شيء، وأنه أكبر الأشياء إثباتاً للوجود، ونفياً للعدم، وتكذيباً للزنادقة، ومن تقدمهم ممن جحد معرفته وأنكر ربوبيته من سائر الأمم، فقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ [الأنعام: ١٩] فدلّ على نفسه أنه شيء لا كالأشياء، وأنزل في ذلك خبراً خاصاً مفرداً؛ لعلمه السابق أن جهماً وبشراً ومن قال بقولهما سيلحدون في أسمائه وصفاته، ويشبِّهون على خلقه، ويدخلونه وكلامه في الأشياء المخلوقة، فقال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فأخرج نفسه وكلامه وصفاته من الأشياء المخلوقة بهذا الخبر؛ تكذيباً لمن ألحد في كتابه، وافترى عليه وشبَّهه بخلقه، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] ثم عدَّد أسماءه في كتابه، ولم يتسم بالشيء، ولم يجعل الشيء اسماً من أسمائه، قال النبي ﷺ: «**إن الله تسعة**

وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة»[1]. ثم عددها فلم نجده جعل الشيء اسماً، فقلت كما قال الله وتأدّبتُ كما أدبّني الله، متَّبعاً غيرَ مبتدع. ثم ذكر جل ذكره كلامه كما ذكر نفسه ودلّه عليه مثل ما دل على نفسه، ليعلم الخلق أنه من ذاته، وأنه صفة من صفاته فقال ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١] فذمَّ الله من نفى أن يكون كلامه الذي أنزله على رسوله شيئاً، وذلك أن رجلاً من المسلمين ناظر رجلاً من اليهود بالمدينة، فجعل المسلم يحتجُّ على اليهودي من التوراة بما علم من صفة النبي ﷺ وذكر نبوته من التوراة، فضحك اليهودي وباهت فقال: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ فأنزل الله[2] ﷻ تكذيبه وذم قوله، وأعظم فريته حين جحد أن يكون كلام الله شيئاً ليس كالأشياء، كما دل على نفسه أنه شيء وليس كالأشياء، وقال في موضع آخر: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فدل بهذا الخبر أيضاً على أن الوحي شيء بالمعنى، وذم من جحد أن يكون كلامه شيئاً، فلما أظهر اسم كلامه لم يظهره باسم الشيء، فيلحد الملحدون في ذلك ويدخلونه في جملة الأشياء، ولكنه أظهره باسم الكتاب والنور والهدى، فقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ فأظهره بأنه الكتاب والنور والهدى ولم يقل: (قل من أنزل الشيء الذي جاء به موسى) ويجعل اسماً لكلامه، فكانت أسماء ظاهرة يعرف بها[3]، كما سمى نفسه بأسماء ظاهرة يعرف بها فسمى كلامه: نوراً وهدًى وشفاءً ورحمةً وحقاً وقرآناً وفرقاناً، لعلمه السابق في جهم وبشر ومن يقول بقولهما أنهم سيلحدون في كلامه، ويدخلونه في الأشياء المخلوقة.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين قد أقرَّ عبد العزيز أن القرآن شيء، وادعى أنه ليس كالأشياء، وقلتُ أنا: إنه كالأشياء، فليأت بنص التنزيل كما أخذ على نفسه

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرج سبب النزول بنحوه عن ابن عباس: ابن جرير (٧/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٤١ رقم ٧٥٩١) **بسندٍ حسن**، ونسبه في «الدر» (٣/ ٣١٣) لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٣) في مطبوع «الحيدة»: «وكذلك سمى كلامه بأسماء ظاهرة يعرف بها».

أنه ليس كالأشياء، وإلّا فقد بطل ما ادعاه؛ وصح قولي أنه مخلوق إذ كنا جميعاً قد اجتمعنا على أنه شيء وقال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] بنص التنزيل.

فقال المأمون: هذا يلزمك يا عبد العزيز لما أخذت على نفسك، وجعل محمد بن الجهم وغيره يضجون، ويقولون: ظهر أمر الله وهم كارهون، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، وطمعوا في قتلي، وجثا بشر[1] على ركبتيه، وجعل يقول: أقرَّ والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن، وأمسكتُ فلم أتكلم، حتى قال لي أمير المؤمنين: ما لك لا تتكلم يا عبد العزيز؟.

فقلت: يا أمير المؤمنين قد تكلم بشر، وطالبني بنص التنزيل على ما قلت، وهو المناظر لي فضجيج هؤلاء إيش هو؟ وأنا لم أنقطع ولم أعجز عن الجواب وإقامة الحجة بنص التنزيل على بشر كما طالبني، ولست أتكلم وفي المجلس أحد يتكلم غير بشر إلا أن ينقطع بشر عن الحجة فيعتزل ويتكلم غيره، فصاح المأمون لمحمد بن الجهم وغيره: أمسكوا[2]، وأقبل عليَّ وقال: تكلم يا عبد العزيز واحتجَّ لنفسك فليس يعارضك غير بشر، قال: قلت: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠] وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥]، فدل ﷻ بهذه الأخبار، وأشباه لها في القرآن كثيرة، على أن كلامه ليس كالأشياء وأنه يكوِّن الأشياء[3]، ثم أنزل الله ﷻ خبراً مفرداً ذكر فيه خلق الأشياء كلها فلم يدع منها شيئاً إلا ذكره وأدخله في خلقه وأخرج كلامه وأمره من جملة الخلق وفصَلَهُ منها، ليدل على أن كلامه غير الأشياء المخلوقة وخارج عنها، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]، فجمع في قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ جميع ما خلق، فلم يدع منه شيئاً، ثم قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾؛ يعني: والأمر الذي كان به الخلق خلقاً،

(١) من مطبوع «الحيدة»، وسقط من الأصل.
(٢) في مطبوع «الحيدة»: «فأمسكوا».
(٣) في مطبوع «الحيدة»: «وأنه إنما تكون الأشياء بقوله وأمره».

ففرَّق[1] بين خلقه وأمره فجعل الخلق خلقاً، والأمر أمراً، وجعل هذا غير هذا، وقال: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر: ٥٠] وقال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]؛ يعني: من قبل الخلق ومن بعد الخلق، ثم جمع الأشياء المخلوقة في آيات كثيرة في كتابه، فأخبر عن خلقها وأنه خلقها بقوله وكلامه، وأن كلامه وقوله غيرها وخارج عنها، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥﴾ [الحجر: ٨٥]، وقال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ١ ـ ٣]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الروم: ٨].

فقال المأمون: يجزيك هذا أو بعضه يا عبد العزيز. [فقلت: يا أمير المؤمنين، قد أخبرنا الله ﷻ عن خلق السماوات والأرض][2] وما بينهما فلم يدع شيئاً من الخلق إلا ذكره، فأخبر عن خلقه أنه ما خلقه إلا بالحق، وأن الحق قوله وكلامه الذي به خُلِق الخلق كله، وأنه غير الخلق، وأنه خارج عن الخلق وغير داخل في الخلق، وهذا نص التنزيل على أن كلام الله غير الأشياء المخلوقة وليس هو كالأشياء، وبه تكون الأشياء[3]. قال بشر: يا أمير المؤمنين قد ادعى أن الأشياء لا تكون إلا بقوله، ثم جاء بأشياء متباينات متفرقات، وزعم أن الله يخلق بها الأشياء، فأكذب نفسه ونقض قوله، ورجع عما ادعاه من حيث لا يدري، وأمير المؤمنين شاهد عليه وهو الحاكم بيننا، فأقبل المأمون عليَّ، فقال: يا عبد العزيز! قد قال بشر كلاماً قد قلتَه، ويحتاج أن تصحح قولك ولا ينقض بعضه بعضاً، وجعل بشر يصيح: لو تركتَه يتكلم؛ لجاء بألف شيء مما خلق الله به الأشياء.

فقلت: يا أمير المؤمنين قد ذهبت بالحجج، ورضي بشر وأصحابه

---

(١) كذا في مطبوع «الحيدة»، وفي الأصل: «فرقا»!

(٢) سقط من الأصل، وأثبته من مطبوع «الحيدة» والسياق يدل عليه.

(٣) في مطبوع «الحيدة»: «وإنما به تكون الأشياء».

بالضجيج، والترويج بالباطل، وقطع المجلس وطلب الخلاص ولا خلاص من الله حتى يظهر دينه، ويقمع الباطل بالحق فيزهقه، فصاح المأمون ببشر[(١)]: أقبل على صاحبك، واسمع منه، ودَعْ هذا الضجيج، وكان المأمون قد قعد مِنّا مقعد الحاكم من الخصوم، ثم أقبل المأمون وقال: تكلم يا عبد العزيز.

فقلت: يا بشر زعمتَ أني قد جئتُ بأشياء متباينات متفرقات، وادعيتَ أن الله خلق بها الأشياء، وما قلتُ إلا ما قال الله ﷻ، ولا أقول إلا[(٢)] أن الله خلق الأشياء [بكلامه][(٣)] قال بشر: يا أمير المؤمنين قد قال: إن الله خلق الأشياء بقوله وكلامه وأمره وبالحق وهذه أربعة أشياء، قال المأمون: بل قلت[(٤)] هذا يا عبد العزيز! فقلت: صدق أمير المؤمنين، قد قلتُ هذا، وهذه أربعة أشياء لشيء واحد؛ لأن كلام الله هو قوله، وقول الله هو كلامه، وأمر الله هو كلامه، وكلام الله هو أمره، وكلام الله هو الحق، والحق هو كلام الله، فهذه أسماء لكلام الله، وقد قدمت ذكر هذا فقلت: إن الله سمى كلامه: نوراً وهدًى وشفاءً ورحمةً وقرآناً وفرقاناً وبرهاناً، وسماه الحق، وهذه أشياء شتى لشيء واحد، وهو كلام الله كما سمى نفسه بأسماء كثيرة وهو واحد صمد فرد، وإنما ينكر بشر هذا ويستعظمه لقلة معرفته بلغة العرب.

قال بشر: قد أصّل بيني وبينه كتاب الله، وزعم أنه لا يقبل إلا بنص التنزيل فأين نص التنزيل، أن كلام الله هو قوله، وهو أمره، وأن كلامه هو الحق؟ فقال المأمون: هذا يلزمك يا عبد العزيز لما عقدت على نفسك من الشرط! فقلت: نعم يا أمير المؤمنين! وعليَّ أن آتي بنص التنزيل على ما قلت، قال: فهاته.

قلت: قال الله ﷻ وقد ذكر كلامه في القرآن ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وإنما يسمعه من قارئه وإنما عَنَى القرآن، لا خلاف بين أهل العلم واللغة في ذلك وقال: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن

(١) في مطبوع «الحيدة»: «يا بشر».
(٢) سقطت من الأصل، وأثبتها من مطبوع «الحيدة».
(٣) كذا في مطبوع «الحيدة»، وفي الأصل بدل ما بين المعقوفتين: «بقوله وكلامه وأمره وهذه أربعة أشياء، ولا أنه خلقها إلا بكلامه»! وهذا مكرر سيأتي في غير هذا المحل.
(٤) في مطبوع «الحيدة»: «بلى قد قلت».

تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥] وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١] فقد أخبر عن القرآن أنه الحق، وقال: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنعام: ٦٦] فأخبر عن القرآن أنه الحق، وقال: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [يونس: ٩٤] فأخبر عن القرآن أنه الحق، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ٣] وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] وقال: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ [القصص: ٥٣] فأخبر أنه الحق، فهذه أخبار الله كلها أن القرآن هو الحق، ثم ذكر ﷻ قوله فسماه الحق فأخبر أن الحق قوله: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ [ص: ٨٤] فأخبر أنه الحق وأن الحق قوله، وقال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣] فهذه أخبار الله أنه الحق وأن الحق قوله، ثم ذكر أن كلامه الحق وأن الحق كلامه، فقال: ﴿وكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يونس: ٣٣] وقال: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس: ٨٢] وقال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] فهذه أخبار الله أن الحق كلامه، وأخبر أن أمره هو القرآن وهو كلامه فقال: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [الدخان: ١ ـ ٥]؛ يعني: القرآن وقال: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥]؛ يعني: القرآن، فهذه أخبار الله أن القرآن أمره وكلامه، وأن أمره هو القرآن، وهذا تعليم الله لخلقه وتأديبه لهم، فقلت كما قال الله: إن القرآن كلام الله وأنه من أمر الله وأنه الحق، وأن هذه أسماء لشيء واحد، وهو الكلام الذي به خُلِقَتْ الأشياء، وهو غير الأشياء وخارج عن الأشياء، وليس هو كالأشياء، فهذا بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير.

فقال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز!

فقال بشر: يا أمير المؤمنين هذا يحب أن يخطب بما لا أسمعه ولا أعقله ولا ألتفت إليه، وما أتى بحجة ولا أقبل من هذا شيئاً.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، من لا يعقل عن الله ما يخاطب به نبيه وما علّمه لعباده في كتابه، يدّعي العلم ويحتج للمقالات والمذاهب ويدعو الناس للبدع والضلال!!

قال بشر: أنا وأنت في هذه سواء، تنتزع آيات من القرآن لا تعلم تفسيرها، ولا تأويلها وأنا أردُّ ذلك وأدفعه، حتى تأتي بما أفهمه وأعقله.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين فذاك كلام بشر وتسويته فيما بيني وبينه، ولقد فرق الله فيما بيني وبينه، وأخبر الله أنّا على غير السواء، وأَكْذَبَهُ في دعواه، فقال المأمون: وأين ذلك من كتاب الله ﷻ، قلت: قال الله ﷻ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩]. فأنا ـ والله ـ يا أمير المؤمنين أعلم أن الذي أنزل عليه هو الحق وأؤمن به، وبشر قد شهد على نفسه أنه لا يعلمه ولا يفهمه ولا يعقله ولا يقبله، وأنه مما لا يقوم لي به عليه حُجّة[1] فلم يقل كما قال الله ﷻ، ولا كما قال نبيه ﷺ، ولا كما قال موسى ﷺ، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال المؤمنون، ولا كما قال أهل الكتاب، ولقد أخبر الله عن جهله وأزال عنه التذكرة[2]، وأخرجه عن جملة أولي الألباب، لكنَّ أمير المؤمنين لمّا خصه الله به من الفضل والسؤدد، وشرَّفَه به من الحلم والفضل، ورزقه من الفهم والمعرفة، قد[3] عقل عن الله قوله، وعرف ما عنى به فقبله، واستحسنه ممن انتزع به بين يديه.

فقال بشر: قد أقرَّ بين يديك أن القرآن شيء، فليكن عنده كيف شاء، فقد اتفقنا جميعاً أنه شيء، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٣] فهذه لفظة لم تدع شيئاً إلا أدخلته في الخلق، ولا يخرج عنها شيء ينسب إلى الشيء؛ لأنها لفظة قد استوعبت الأشياء كلها، وأتت عليها مما ذكرها الله ﷻ ومما لم يذكرها، فصار القرآن مخلوقاً بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين عليَّ أن أكسر قوله وأكذبه فيما قال بنص التنزيل حتى يرجع عن قوله، أو يقف أمير المؤمنين على كسر قوله وبطلان دعواه.

---

(١) سقطت من الأصل، وأثبتها من مطبوع «الحيدة».
(٢) كذا في مطبوع «الحيدة»، وفي الأصل: «المذكرة»!
(٣) غير موجود في مطبوع «الحيدة».

فقال المأمون: قل ما عندك.

قلت: قال الله في قصة عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] فهل أبقت الريح يا بشر شيئاً لم تدمره؟ قال: لا، قد دمرت كل شيء كما أخبر الله عنها فلم يبق شيء إلا وقد دخل تحت هذه اللفظة.

فقلت: قد أكذب الله ﷻ من قال هذا بقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥] فأخبر أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم ومساكنهم أشياء كثيرة وقد قال: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: ٤٢] وقد قال في قصة بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] فهل بقي يا بشر شيء لم تؤته بلقيس؟ قال: أنا أقول أن هذه اللفظة تجمع الأشياء كلها.

فقلت: قد أكذب الله ﷻ من قال هذا؛ لأن ملك سليمان كمثل ملك بلقيس مائة ألف مرة ولم تؤته».

ومضى عبد العزيز الكناني في مناظرته مع بشر إلى أن قال له: «فقلت: يا بشر قال الله ﷻ: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١] ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] فقد أخبرنا الله ﷻ في مواضع كثيرة من كتابه أن له نفساً فتقر يا بشر أن لله نفساً كما أخبر عنها، قال: نعم.

فقلت: يا أمير المؤمنين اشهد عليه أنه أقرَّ أن لله نفساً، قال: نعم.

قد سمعت قوله وشهدت عليه، فقلت: قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فتقول يا بشر: إن نفس الله ﷻ داخلة في هذه النفوس التي تذوق الموت، فصاح المأمون بأعلى صوته ـ وكان جهوريَّ الصَّوت ـ: معاذ الله معاذ الله.

قال عبد العزيز: فرفعت صوتي إذاً وقلت: معاذ الله أن يكون كلام الله داخلاً في الأشياء المخلوقة، كما أن نفسه ليست بداخلة في الأشياء الميتة»[١].

قال محمد تقي الدين: وأكتفي بهذا القدر من كلام الإمام الكناني ومن أراد استقصاءه فليرجع إلى كتاب «الحيدة»[٢].

---

(١) انظر: «الحيدة» (ص٢٣ ـ ٤٣، ٥٣) بتصرف.

(٢) قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٦٣٩) في ترجمة الكناني: «لم يصح إسناد كتاب «الحيدة» =

....

= إليه، فكأنه وُضع عليه، والله أعلم». وذكر فيه أيضاً (٣/ ٥١٧) في ترجمة (محمد بن الحسن بن الأزهر الدَّعَّاء) أنه «هو الذي انفرد برواية كتاب «الحيدة» وهو متّهم، قال الذهبي: «ويغلب على ظني أنه هو الذي وضع كتاب «الحيدة»، إني لأستبعد وقوعه جداً.
ووجَّه ابن حجر في «لسان الميزان» (٧/ ٧٢ ـ ط. الشيخ أبي غدة) استبعاد الذهبي هذا، فقال: «ووجه استبعاد المصنف كتاب «الحَيْدة» أنه يشتمل على مناظراتٍ أقيمت فيها الحُجَّة لتصحيح مذهب أهل السنّة عند المأمون، وأعجبه قولُ صاحبها، فلو كان الأمرُ كذلك ما كان المأمون يرجع إلى مذهب الجَهْمية، ويَحمِل الناس عليه، ويعاقب على تركه، ويهدِّد بالقتل وغيره، كما هو معروفٌ في أخباره، وفي كُتُب المحِنة». انتهى.
وجاء في حاشية بعض النسخ الخطية تعليق بخط مستحيي زادة، ونصه: وكلام الخطيب في «تاريخه الكبير» (١٠/ ٤٤٩) صريح في أن كتاب «الحيدة» تأليف لعبد العزيز المكي الذي ناظر عند الخليفة المأمون مع بشر المريسي القائل بخلق القرآن، ولم يكن للذهبي برهانٌ لكون الكتاب وضعه ابن أزهر سوى استبعاده ذلك.
ثم قول صاحب «اللسان»: «ووجه استبعاد المصنف. . .» إلخ ليس بوجيه، بناءً على أنه كان دأبُ المأمون وعادتُه قديماً أنه يناظر عنده أصحاب المذاهب المختلفة، وهو يستمع معهم ولا ينكر شيئاً منهم إنكاراً يؤدي إلى طردٍ وزجرٍ وترتيبِ جزاءٍ لمن خالف رأيه، إلى أن استقر ورسخ في قلبه القولُ بخلق القرآن بعد مناظرات طويلة، ومباحثات عظيمة مع الموافق والمخالف.
وبعد هذا الرسوخ أنكر إنكاراً عظيماً لمن خالفه، بل رتّب عليه الجزاء بالنفي والقتل، والمناظرة المذكورة في كتاب «الحيدة» كانت قبل رسوخ المأمون في القول بخلق القرآن، وقبل استقرار ذلك في قلبه، وجميع ما ذكرنا ظاهر من كتاب «الحيدة» لمن له قلب سليم». انتهى التعليق.
ثم علّق الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة بقوله:
«قلت: وقول هذا المعلِّق: «ولم يكن للذهبي برهانٌ. . .» ليس بوجيه؛ لأن بُرهان الذهبي ظاهر من كلامه، وهو أن الدَّعَّاء هذا انفرد برواية هذا الكتاب عن مصنفه، وهو متَّهم بالكذب والوضع، فيحتمل أنه وضعه على عبد العزيز ونسبه إليه؛ لأن الذهبي يستبعد وقوع المناظرة عند المأمون، وبيَّن ابن حجر وجه استبعاد الذهبي».
قال أبو عبيدة: الذي أُراه ـ والله أعلم ـ أن قول الشيخ عبد الفتاح ـ عليه الرحمة ـ ليس بوجيه؛ لأن (الدَّعَّاء) لم ينفرد برواية كتاب «الحَيْدَة»، ولابن بطة في «الإبانة» الكبرى إسناد آخر للكناني في هذه المناظرة، وهي تكاد تتطابق مع جلّ ما في هذا الكتاب، فلم يبقَ إلا الاسم، فالخطب هيِّن، ولا يغررك تهويل ابن السبكي في «طبقاته» (١/ ٢٦٥) لما قال عنه: «فيه أمور مستشنعة»! فالذي دعاه لهذا أشعريته، عفى الله عنه، ولعلّ أبا غدة تابعه لهذا الملحظ، وقد ناقش ـ قديماً ـ محققه د. جميل صليبا في نشرته التي صدرت في دمشق سنة ١٩٦٤م ابن السبكي، وأبرز الشيخ العلّامة علي بن محمد الفقيهي =

قول أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني: قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه[١] ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي ينزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآناً عربياً، لقوم يعلمون، بشيراً ونذيراً كما قال عز من قائل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥] وهو الذي بلَّغه الرسولُ أمَّته كما أُمر به في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى[٢] كلامه عَجَلَّ وفيه قال ﷺ: «**أتمنعونني أنْ أبلِّغ كلام ربي؟**»[٣] وهو الذي تحفظه الصدور، وتتلوه الألسنة، ويُكتَب في المصاحف كيف ما تصرف بقراءة قارئ، ولفظ لافظ، وحفظ حافظ، وحيث تُليَ وفي أيِّ موضع قُرئَ وكتبَ في مصاحف أهل الإسلام وألواح صبيانهم وغيرها، كلُّه كلامُ الله جل جلاله[٤] غير مخلوق، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم.

سمعت[٥] الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت[٦] أبا الوليد حسان بن محمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن قال: إن القرآن مخلوق، فهو كافر بالله العظيم، لا تُقبل شهادته، ولا يُعاد إن مَرِض، ولا يصلَّى عليه إن مات، ولا يُدفَن في مقابر المسلمين، ويستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، فأما اللفظ بالقرآن فإنَّ الشيخ أبا بكر الإسماعيلي الجرجاني ذكر في رسالته التي صنفها

= ـ حفظه الله ـ في مقدمته لـ«الحيدة» إسناد ابن بطة، ورد كلام الذهبي وتابعهِ ابنِ السبكي، وتوجيه ابنِ حجر، وعليه فإن كلام زادة السابق وجيه ومتين، والكتاب ثابت النسبة، والله أعلم.

(١) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «وخطابه».

(٢) في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «فكان الذي بلغه تعالى».

(٣) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٨٦)، والترمذي (٢٩٢٥)، وأبو داود (٤٧٣٤)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٨٥)، وغيرهم **وصححه** شيخنا الألباني.

(٤) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «وهو القرآن بعينه الذي نقول أنه».

(٥) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «شيخنا».

(٦) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «الإمام».

لأهل جيلان[1] إن من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فقد قال: بخلق القرآن، وذكر ابن مهدي الطبري في كتابه «الاعتقاد» الذي صنَّفه لأهل هذه البلاد أنّ مذهب أهل السنة والجماعة القول بأن القرآن كلام الله سبحانه ووحيه وتنزيله وأمره ونهيه غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافرٌ بالله العظيم، وأن القرآن في صدورنا محفوظٌ، وبألسنتنا مقروء، وفي مصاحفنا مكتوب، وهو الكلام الذي تكلم الله ﷻ به، ومَن قال: إن القرآن بلفظي مخلوق أو لفظي به مخلوق؛ فهو جاهل ضالٌّ كافر بالله العظيم.

وإنما ذكرتُ هذا الفصل بعينه من كتاب ابن مهدي؛ لاستحساني ذلك منه، فإنه اتَّبعَ السلف أصحاب الحديث فيما ذكر[2] مع تبحره في علم الكلام وتصانيفه الكثيرة فيه وتقدمه وتبريزه[3] عن أهله. اهـ.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: قرأتُ بخط أبي عمرو المستملي سمعت أبا عثمان سعيد بن إشكاب[4] يقول: سألت إسحاق بن إبراهيم[5] عن اللفظ بالقرآن؟ فقال: «لا ينبغي أن يناظر في هذا، القرآن كلام الله غير مخلوق»، وذكر (ع) الطبري في كتابه «الاعتقاد» الذي صنفه[6] قال: أما القول في ألفاظ العباد بالقرآن[7] فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي ولا تابعي، إلا عمّن في قوله الغنى والشفا[8]، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله مقام الأئمة[9] أبو عبد الله أحمد بن حنبل.

فإن أبا إسماعيل الترمذي حدّثني قال: سمعت أبا عبد الله (حم) يقول: اللفظية جهمية، قال الله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] ممن

---

(١) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «قال فيها».
(٢) في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «ذكره».
(٣) في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «وتبرزه».
(٤) في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «سعيد بن أشكاب الساش»، وفي الأصل: «الشكاب»!
(٥) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «بنيسابور».
(٦) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «في هذه المسألة».
(٧) في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «في القرآن».
(٨) في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «الشفاء».
(٩) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «الأولى».

يسمع؟. قال[١]: ثم سمعت جماعة من أصحابنا ـ لا أحفظ أسماءهم ـ يذكرون عنه أنه كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع»[٢] قال محمد بن جرير: ولا قولَ في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله، إذ لم يكن لنا فيه إمامٌ نأتَّمُ به سواه، وفيه الكفاية والمقنَعُ، وهو الإمام المتبع رحمة الله عليه.

هذه ألفاظ محمد بن جرير التي نقلتها نفسها ههنا[٣] من كتاب «الاعتقاد» الذي صنفه.

قلت: وهو ـ أعني محمد بن جرير ـ قد نفى عن نفسه بهذا الفصل الذي ذكره في كتابه كل ما نُسب إليه وقُذِف به من عُدولٍ عن السنة[٤] أو ميل إلى شيء من البدعة، والذي حكاه عن (حم) أن اللفظية جهمية فصحيح عنه، وإنما قال ذلك لأن جهماً وأصحابه صرَّحوا بخَلْق القرآن، والذين قالوا باللفظ تدرَّجوا به إلى القول بخلق القرآن، وخافوا أهل السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن[٥]، فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به أن القرآن بلفظنا مخلوق، فلذلك سمّاهم أحمد جهمية.

وحُكي عنه أيضاً أنه قال: «اللفظية شر من الجهمية» وأما ما حكاه (ج) عن (حم) أن من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، فإنما أراد[٦] أن السلف من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ[٧]، من أهل التعمق وذوي الحمق الذين أتوا بالمحدثات، وبحثوا عما نُهوا عنه من الضلالات، وذميم المقالات، وخاضوا فيما لم يَخُضْ فيه السلف من علماء الإسلام، فقال: (حم) هذا القول

(١) أي ابن جرير.

(٢) روى عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١٦٥) عن أبيه الشطر الأول.

(٣) في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «إلى ما هاهنا».

(٤) في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «سبيل السنة».

(٥) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «فأدرجوه في هذا القول ذي اللبس؛ لئلا يُعدُّوا في زمرة جهم، الذين هم شياطين الإنس، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً».

(٦) في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «أراد به».

(٧) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «ولم يحوجهم الحال إليه وإنما حدث الكلام في اللفظ».

في نفسه بدعة[١]، ومن حق المتدين أن يدعه ولا يتفوّه به، ولا بمثله من البدع المبتدعة، ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتبعة، أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه[٢].

أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ[٣]: ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الخارجي بمرو، ثنا يحيى بن ساسويه[٤] عن أبيه عبد الكريم السندي[٥] قال: قال وهب بن زمعة: أخبرني الباساني قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: «من كفر بحرف من القرآن فقد كفر[٦] بالقرآن، ومن قال: لا أُؤمن بهذا الكلام فقد كفر»[٧].

قال شارح «الواسطية» الأستاذ المحقق عبد العزيز بن محمد آل سلمان في تأليفه المسمى بـ«الكواشف الجلية في شرح العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ما نصه:

فصل
في الإيمان بالقرآن

«ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزَّل، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدأ لا من قاله مبلغاً مؤدياً، وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون

---

(١) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «وكُلُّ بدعة مبتدعة».
(٢) انظر تفصيل رأي ابن جرير في هذه المسألة في: «الإمام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف» (ص٣٩٥ ـ ٤١٠ ـ مرقوم على الآلة الكاتبة).
(٣) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «رحمه الله في كتاب «التاريخ» الذي جمعه لنيسابور وعلمائها عند ذكر إمام المسلمين عبد الله بن المبارك رضي الله عنه قال».
(٤) كذا في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، وفي الأصل: «سالوكة»!
(٥) في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «اليشكري».
(٦) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «يعني».
(٧) انظر: «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٣٠ ـ ٣٥).

المعاني ولا المعاني دون الحروف»، وجه دخول هذا الفصل في الإيمان بالله أن الإيمان بالله هو التصديق الجازم بجميع ما أخبر الله به ورسوله[1] وقد أخبر الله ورسوله أنه كلامه [وتوعد من قال: إنه قول البشر][2]؛ ولأن الإيمان بكلام الله على هذا الوصف الذي ذكره المصنف وأنه من الإيمان بالله؛ لأنه وصفه والكلام صفة للمتكلم.

فإنه تعالى موصوف بأنه متكلم، إذا شاء بما شاء، وأنه لم يزل ولا يزال يتكلم، وكلامه تعالى لا ينفد قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

وقال غير واحد من السلف: من أنكر أن يكون الله متكلماً أو أن يكون القرآن كلامه فقد أنكر رسالة محمد ﷺ، بل ورسالة جميع الرسل التي حقيقتها تبليغ كلام المرسل وهو الله ﷻ.

فإذا لم يكن ثم[3] كلام فماذا يبلِّغ الرسول؟ وكيف يعقل كونه رسولاً؟ ونوع الكلام أزلي أبدي، ومفرداته لا تزال تقع شيئاً فشيئاً بحسب حكمة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢] ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣].

قال (ك) على قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] الآيتين: «يقول تعالى مخبراً عن كثرة اعتراض الكفار وتعنّتهم وكلامهم فيما لا يعنيهم[4]: هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه جملة واحدة، كما نزلت الكتب قبله [جملة واحدة][5]، كالتوراة والإنجيل والزبور

---

(١) من مطبوع «الكواشف الجلية» وسقطت من الأصل، وفي الأصل فقط بعد ورسوله: «إلخ» ولا معنى لها، إلا أن تكون هكذا في أصول الشيخ، ليتممها من أراد تنضيد الكتاب.

(٢) غير موجود في مطبوع «الكواشف الجلية».

(٣) من مطبوع «الكواشف الجلية»، وسقطت من الأصل.

(٤) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «حيث قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ أي:».

(٥) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

وغيرها من الكتب الإلهية؟ فأجابهم الله تعالى عن ذلك، بأنه إنما نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج من الأحكام»[١].

وقوله: «مُنزَّل غير مخلوق» هذا قول أهل السنة والجماعة، خلافاً لقول الجهمية والمعتزلة وغيرهم، ممن يقول: كلام الله مخلوق!!.

فالجهمية يقولون: إن الله لا يتكلم، بل خلق كلاماً في غيره وجعل غيره يعبر عنه، وما جاء من الأدلة على صفة الكلام، قالوا: مجاز.

والمعتزلة قالوا: إن الله متكلم حقيقة لكن معنى ذلك أنه خالق للكلام في غيره، فمذهبهم ومذهب الجهمية في المعنى سواء، وقول الطائفتين باطل، مخالف لقول السلف والأئمة، ومخالف للأدلة العقلية والسمعية».

قال الشيخ: «ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم، ما دل عليه الكتاب والسنة.

وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود. فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه ليس مخلوقاً منفصلاً عنه، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، لم يقل أحد منهم إن القرآن والتوراة والإنجيل لازمة لذاته أزلاً وأبداً، وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته، وقالوا: إن نفس ندائه لموسى، أو نفس الكلمة المعنيّة قديمة أزلية، بل قالوا: لم يزل الله متكلماً إذا شاء وكلمات الله لا نهاية لها، والله سبحانه تكلم بالقرآن العربي وبالتوراة العبرانية، قال: ولما ظهر من قال: إنه مخلوق، قالوا: رداً[٢] لكلامه أنه غير مخلوق، وأول من عُرِف أنه قال: قديم، هو عبد الله بن سعيد بن كلاب.اهـ.

[قال الشاعر:

اسْتَغْفِرِ اللهَ واترك ما حكى لهم   أبو الهذيل وما قال ابنُ كلابِ][٣]

فالقرآن كلام الله حيث تصرف، سواء كان محفوظاً في الصدر أو متلواً، وأما كتابة العباد وأصواتهم والورق الذي كتب عليه القرآن والمداد الذي كتب به،

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٠/ ٣٠٤).   (٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «أراد».

(٣) غير موجود في مطبوع «الكواشف الجلية».

فهذه كلها مخلوقة، وأما الذي يرجع إلى الله تعالى ويضاف إليه فإنه كلامه غير مخلوق؛ فإن جميع ما يعود إلى العباد وأوصافهم مخلوق، وأما الذي يرجع إلى الله تعالى ويضاف إليه[١] فإنه كلامه غير مخلوق، وقول السلف منه بدأ وإليه يعود، أي: ظهر وخرج منه، فهو المتكلم به لا غيره.

وقال الشيخ في المناظرة: ولما جاءت مسألة القرآن ومن الإيمان به، الإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

نازع بعضهم في كونه منه بدأ وإليه يعود، وطلبوا تفسير ذلك، فقلت: أما هذا القول فهو المأثور عن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار قال: أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق. إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأما معناه: فإن قولهم: منه بدأ، أي: هو المتكلم به، وهو الذي أنزله من لدنه وإليه يرجع في آخر الزمان بأن يسرى به ويرفع فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف، ورفع القرآن من أشراط الساعة، ورد ذلك في عدة آثار.

وقوله: «فإن الله تكلم به حقيقة» والآيات والأحاديث في إثبات صفة الكلام وأن الله تكلم حقيقة كثير، وكذلك الآيات والأحاديث الدالة على أن الله تكلم بالقرآن كثيرة، وكلها دالة على أنه سبحانه تكلم حقيقة لا مجازاً»[٢].

وقال في ص٢٢٠:

إثبات صفة الكلام لله

وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٤]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢]، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥]، ﴿وَإِن

---

(١) من مطبوع «الكواشف الجلية»، وسقط من الأصل.

(٢) انظر: «الكواشف الجلية» (ص١٩٨ ـ ٢٠٠) بتصرف.

أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ﴾ [الفتح: ١٥]، ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]، ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل: ٧٦]، ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ١٠١]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

في هذه الآيات الكريمة إثبات صفة الكلام لله حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، وحقيقة الإيمان بصفة الكلام لله أنه الاعتقاد الجازم بأن الله متكلم بكلام قديم النوع، حادث الآحاد، وأنه لم يزل يتكلم إذا شاء بما شاء كيف شاء، وأنه يتكلم بحرف وصوت بكلام يسمعه من شاء من خلقه سمعه منه موسى، والأبوان[1] بلا واسطة، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه يكلم المؤمنين ويكلمونه في الآخرة، هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

وقد دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أنه سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته، وهو صفة ذات وفعل، وقد دلت النصوص على أن القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلام الله حقاً، لا تأليف ملك ولا بشر، وأنه سبحانه الذي قال بنفسه: ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾﴾ [الأعراف: ١]، و﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾ [الشورى: ١، ٢]، و﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾ [مريم: ١].

الآيتان: الأولى والثانية: ﴿مَنْ﴾: لفظة استفهام، ومعناه: لا أحد أصدق من الله في حديثه ولا أحد أصدق من الله قولاً ولا خبراً. وهذا إخبار منه تعالى

(١) يريد: آدم وحواء، وسيأتي مصرَّحاً به قريباً.

بأن حديثه وإخباره وأقواله في أعلى مراتب الصدق، بل هي أعلاها، فكل ما قيل في العقائد والعلوم والأعمال مما يناقض ما أخبر الله به، فهو باطل، لمناقضة الخبر الصادق.

ففي الآيتين:

١ ـ إثبات صفة الكلام.

٢ ـ إنها صفة له قائمة بذاته يتكلم بها بمشيئته وقدرته.

٣ ـ الرد على من زعم أن كلام الله المعنى النفسي.

٤ ـ إثبات الألوهية.

٥ ـ إنه لا أحد أصدق من الله قولاً ولا خبراً.

الآية الثالثة:

هذا مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله: ﴿يَٰعِيسَى . . .﴾ [المائدة: ١١٦].

وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد، وهذا السؤال لإظهار براءة عيسى ابن مريم عليه السلام وتسجيل الكذب والبهتان على هؤلاء الظالمين.

ففي الآية:

١ ـ إثبات القول لله سبحانه، وأنه يقول متى شاء إذا شاء، وأن الكلام والقول المضاف إلى الله سبحانه قديم النوع، حادث الآحاد، وفيه دليل على أنه سبحانه يتكلم بحرف وصوت كما يليق بجلاله.

٢ ـ الرد على من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسي؛ إذ المعنى المجرد لا يسمع.

الآية الرابعة:

قد تطلق الكلمة على الجملة والطائفة من القول في غرض واحد، فإذا كتب أحد أو خطب في موضوع ما، قيل: كتب أو قال كلمة، وكانوا يسمون القصيدة كلمة، وقالوا: كلمة التوحيد يعنون «لا إله إلا الله»، وقال ﷺ: «**أصدق كلمة**

قالها الشاعر كلمة لبيد ...»[١] يريد قوله «ألا كل شيء ما خلا الله باطل».

والمعنى:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾ فيما قال ﴿وَعَدْلًا﴾ فيما حكم، فهو صدق في الأخبار، وعدل في الطلب، فكل ما أخبر به فهو حق لا مرية فيه ولا شك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل، فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة كما قال: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] والمراد بـ ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: أمره ونهيه ووعده ووعيده فما وعد به رسوله من النصر، وما أوعد به المستهزئين من الخذلان والهلاك تمّ[٢]، كما تم في الرسل وأعدائهم من قبل كما قال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣] فتمامها صدقاً هو حصولها على الوجه الذي أخبر به، وتمامها عدلاً باعتبار أنها جزاء للكافرين المعاندين للحق بما يستحقون، وللمؤمنين بما يستحقون أيضاً، وقد يزادون على ذلك فضلاً من الله ورحمة وقوله: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ قال ابن عباس: «لا راد لقضائه ولا مغير لحكمه ولا خلف لوعده»[٣].

والخلاصة:

أنه لا يستطيع أحد من الخلق أن يبدّل[٤] كلمات الله بكلمات أخرى تخالفها أو تمنع صدقها، ولا يستطيع أن يصرفها عما أراده الله بها قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١] وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وقال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢].

وكلمات الله نوعان: النوع الأول: **كونية قدرية** وهي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله: **«أعوذ بكلمات الله التامة، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»**[٥]، وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦) من حديث أبي هريرة.
(٢) من مطبوع «الكواشف الجلية»، وسقط من الأصل.
(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٢٨١). (٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «يزيل».
(٥) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/١/٢٤٨ ـ ٢٤٩)، وابن أبي شيبة (٨/٦١ ـ ٢ =

[قال ابن القيم:

والله ربِّي لم يزل متكلِّماً | وكلامُه المسموعُ بالآذانِ
صدقاً وعدلاً أُحكمتْ كلماتُه | طَلباً وإخباراً بلا نُقصانِ
ورسولُه قد عاذ بالكلمات من | لَدغٍ ومن عينٍ ومن شيطانِ
أَيُعَاذُ بالمخلوق حاشاه مِنْ الْـ | إِشْرَاكِ وهو مُعلِّم الإيمانِ
بل عاذ بالكلمات وهي صفاتُه | سبحانَه ليستْ من الأكوانِ][1]

النوع الثاني: الكلمات الدينية، وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله، وهي أمره ونهيه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: السميع لأقوال العباد العليم بحركاتهم وسكناتهم، الذي يجازي كلَّ عامل بعمله، وتقدم الكلام على اسمه تعالى (السميع) واسمه (العليم).

ففي الآية أمور:

١ ـ إثبات الربوبية.

٢ ـ إثبات صفة الكلام لله.

٣ ـ إنه ليس لكلمات الله مبدِّل ولا معقِّب في الدنيا ولا في الآخرة.

٤ ـ أنه لا أحد أصدق ولا أعدل من الله ﷻ.

٥ ـ إثبات صفة السمع.

٦ ـ إثبات صفة البصر.

٧ ـ الحث على مراقبة الله.

= و١٠/٣٦٤ ـ ٣٦٥)، وأحمد (٢/٤١٩ و٣/٤١٩)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢/٦٩٦ ـ ٦٩٧)، وأبو يعلى (٦٨٤٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٣٧)، وأبو نعيم في «الدلائل» (١٣٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/٩٥)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/١١٤) من حديث عبد الرحمٰن بن خَنْبَش، وأخرجه الطبراني في «الكبير (٤/١١٤)، وفي «الأوسط» (٥/٣١٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤/١٧٥) من حديث خالد بن الوليد، وأخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسندٍ فيه لين، قاله ابن حجر في «بذل الماعون» (١٦٥).

وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٣٦٢) عن مكحول مرسلاً، **وصححه** شيخنا الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣٨، ٢٩٩٥)، وانظر كتابي: «فتح المنان» (١/١٨٤، ٣٧٤ ـ ٣٧٦).

(١) غير موجود في مطبوع «الكواشف الجلية»، والأبيات في «الكافية الشافية» (٧٢ ـ ط ابن الجوزي).

٨ ـ حفظ كلمات الله وأحكامها.

٩ ـ إنه لا أحسن من كلمات الله ولا أبلغ ولا أصدق منها[١].

١٠ ـ الحث على العدل.

١١ ـ النهي عن الكذب.

١٢ ـ النهي عن الجور.

١٣ ـ إن أحكام الله نافذة على كل الخلق.

١٤ ـ إن الله لا يخلف الميعاد.

١٥ ـ التسلية للنبي ﷺ.

١٦ ـ الوعيد لمن خالف الرسول.

١٧ ـ الرد على من أنكر صفة الكلام.

١٨ ـ الرد على من قال: إن القرآن كلام محمد أو جبريل أو غيرهما.

١٩ ـ في الآية معجزة؛ لأن الله أخبر أنه لا مبدل لكلماته، ووقع كما أخبر.

٢٠ ـ إثبات قدرة الله.

٢١ ـ الرد على من أنكر صفة العلم، كالجهمية والقدرية.

٢٢ ـ الرد على من أنكر صفة السمع، كالجهمية ونحوهم.

الآية الخامسة والسادسة، والسابعة:

خصص الله موسى عليه السلام بهذه الصفة تشريفاً له، ولذا يقال له: الكليم، وهذا دليل على أن التكليم الذي حصل له عليه السلام أخص من مطلق الوحي، ثم أكده بالمصدر الحقيقي؛ رفعاً لما توهمه المعطلة من أنه إلهام أو إشارة أو تعريف للمعنى النفسي بشيء غير التكليم، فأكده بالمصدر المفيد تحقيق النسبة، ورفع توهم المجاز.

ففي الآية أمور:

١ ـ إثبات صفة الكلام.

٢ ـ إثبات الألوهية.

---

(١) بعدها في مطبوع «الكواشف الجلية»: «الحث على الصدق».

٣ ـ إثبات الربوبية.

٤ ـ تخصيص موسى بهذه الصفة تشريفاً له.

٥ ـ الرد على من زعم أن كلام الله المعنى النفسي.

٦ ـ دليل على أن الله لم يزل متكلماً إذا شاء متى شاء كيف شاء.

٧ ـ دليل على أن نوع الكلام قديم، فكلام الله سبحانه قديم النوع، حادث الآحاد، وهو **نوعان**: قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، وكقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠]، وهذا **النوع** يقال له: **الكوني القدري**.

والنوع الثاني: **الديني الشرعي**، وذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ الآية [النحل: ٩٠]، وكقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] والشرعي هو الذي منه الكتب المنزلة على رسله، وكلامه سبحانه نوعان: بلا واسطة، وذلك كلام الله لموسى، وككلامه للأبوين آدم وحواء وكلامه[1] لجبريل؟

والنوع الثاني: ما كان بواسطة: إما بالوحي للأنبياء، وإما بإرساله إليهم رسولاً، يكلمهم من أمره بما يشاء قال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

الآية الثامنة:

النداء: الصوت الرفيع، والنجاء: الصوت الخفي، والطور: اسم جبل بين مصر ومدين، الأيمن: من موسى في وقت مسيره، أو الأيمن أي الأبرك من اليُمْن والبركة، وفي «تفسير القرطبي»: «وكانت الشجرة في جانب الجبل عن يمين موسى حين أقبل من مدين إلى مصر» قاله القرطبي[2] وغيره.

فإن الجبال لا يمين لها ولا شمال وقوله: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] أي: مناجياً[3].

---

(١) قال مؤلف هذا الكتاب محمد تقي الدين: ويضاف إلى ذلك كلامه مع نبينا محمد ﷺ في فرض الصلوات ليلة الإسراء. (منه).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» عند (سورة مريم: ٥٢) (١١/ ١١٤).

(٣) في الأصل: «منا نجيا»!

ففي الآية:

إثبات صفة الكلام لله، وأنه يتكلم بحرف وصوت يليق بجلاله، إذ لا يعقل النداء إلا ما كان حرفاً وصوتاً، وقد استفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين من أئمة السنة بذلك.

قال ابن القيم:

واللهُ قَدْ نادى الكليمَ وقَبْلَهُ	سَمِعَ النِّدَا في الجنَّةِ الأبَوَانِ
وأتى النِّدا في تَسْعِ آياتٍ لَهُ	وَصْفاً فراجِعْها مِنَ القُرْآنِ
أيصِحُّ في عَقْلٍ وفي نَقْلٍ نِدَا	ءٌ ليس مَسْمُوعاً لَنَا بأذانِ[(١)]
أمْ أجمَعَ العُلماءُ والعُقلاءُ مِنْ	أهلِ اللسان وأهلِ كُلِّ لسانِ
أنَّ النِّدا[(٢)] الصَّوْتُ الرَّفِيعُ وضِدُّهُ	فَهُوَ النِّجَاءُ كِلاهُما صَوْتانِ[(٣)]

وفي الآية أمور:

١ ـ إثبات النداء.

٢ ـ الرد على من زعم أن كلام الله المعنى النفسي، إذ المعنى المجرد لا يسمع.

٣ ـ تخصيص موسى بهذه الصفة تشريفاً له.

الآية التاسعة:

أي: اذكر حالة موسى الفاضلة، وقت نداء الله حين كلَّمه ونبَّأه وأرسله فقال: ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]؛ يعني: الذين ظلموا أنفسهم بالمعصية والكفر، والتكبر في الأرض، والعلو على أهلها، وادعى كبيرهم الربوبية وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وساموهم سوء العذاب.

ففي الآية أمور:

١ ـ إثبات صفة الكلام لله.

٢ ـ إثبات الربوبية.

٣ ـ الرد على من زعم أن كلام الله المعنى النفسي.

---

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «كأذانِ».

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «النِّدا».

(٣) انظر: «الكافية الشافية» (ص٧٩، ط. ابن الجوزي).

٤ ـ إنه سبحانه يتكلم بحرف وصوت؛ إذ لا يعقل النداء إلا ما كان حرفاً وصوتاً.

٥ ـ الرد على من قال: إن القرآن كلام محمد ﷺ أو غيره.

الآية العاشرة:

قال الله تعالى معاتباً وموبِّخاً لآدم وحواء على ترك التحفظ والحيطة والتدبر في العواقب ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢] أي: ظاهر العداوة لكما، فإن أطعتماه أخرجكما من الجنة.

ففي الآية أمور:

١ ـ إثبات صفة الكلام وأنه بحرف وصوت.

٢ ـ إثبات الربوبية.

٣ ـ الأمر بالتحفظ والحيطة والتدبر في الأمور.

الآية الحادية عشرة:

قال (ﷺ) على هذه الآية: «النداء الأول عن سؤال التوحيد، وهذا فيه إثبات النبوات، ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم؟ وكيف كان حالكم معهم؟ وهذا كما يُسأل العبد في قبره: **«من ربك؟ ومن نبيك؟ وما هو دينك؟ فأما المؤمن فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأما الكافر فيقول: هاه هاه لا أدري»**(١)، ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت؛ لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى»(٢).اهـ.

أفادت هذه الآية: أموراً:

١ ـ إثبات صفة الكلام لله.

٢ ـ إنه يتكلم بحرف وصوت يليق بجلاله.

٣ ـ إثبات البعث والرسالة والحشر والجزاء على الأعمال.

٤ ـ إثبات النداء.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» عند (سورة القصص: ٦٥) (١٠/٤٧٨).

٥ ـ إثبات القول.

٦ ـ الرد على من زعم أن كلام الله المعنى النفسي، إذ المعنى المجرد لا يسمع.

قال بعض العلماء: من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسي، زعم أن الله لم يرسل رسولاً، ولم ينزل كتاباً، وقال آخر: من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسي فقد زعم أن الله أخرس، وقال ابن حجر في «شرح (خ)»: «ومن نفى الصوت فقد زعم أن الله لم يُسمِع أحداً من ملائكته ولا رسله كلاماً، بل ألهمهم إياه إلهاماً»[(١)].

وقال ابن القيم: «ولفظ النداء الإلٰهي قد تكرر في الكتاب والسنة تكراراً مطرداً، متنوِّعاً تنوعاً يمتنع حمله على المجاز، فأخبر تعالى أنه نادى الأبوين في الجنة، ونادى كليمه، وأنه ينادي عباده يوم القيامة، وقد ذَكَر الله النداء في تسعة مواضع من القرآن، أخبر فيها عن ندائه بنفسه، ولا حاجة إلى أن يقيد النداء بالصوت، فإنه بمعناه وحقيقته باتفاق أهل اللغة، فإذا انتفى الصوت انتفى النداء قطعاً كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا** ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣][(٢)]. وروى (د) عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تكلم الله بالوحي [سمع أهل السماء للسماوات][(٣)] صلصلة كجرِّ السلسلة على الصَّفا[(٤)]، فيُصْعَقون ولا يزالون حتى يأتيهم جبرائيل، فإذا جاءهم جبرائيل فُزِّع عن قلوبهم، [قال][(٥)]: فيقولون: يا جبرائيل[(٦)]: ماذا قال ربك؟ قال: الحق، فينادون: الحق الحق**»[(٧)] وإسناده ثقات، وقد فسر الصحابة الآية بما يوافق هذا الحديث الصحيح،

(١) انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٥٦٧) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٨١) من حديث أبي هريرة.

(٣) بدل ما بين المعقوفتين في الأصل: «سمعت السماوات»! والمثبت من «سنن أبي داود».

(٤) كذا في «سنن أبي داود»، وفي الأصل: «الصفوان»!

(٥) سقط من الأصل.

(٦) في الأصل: «لجبرائيل»، والمثبت من «سنن أبي داود».

(٧) أخرجه أبو داود (٤٧٣٨)، وابن حبان (١/ ١٦٧ ـ التعليقات الحسان)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣٥٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥١٠) من حديث ابن مسعود مرفوعاً.

=

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو يعلى الموصلي عن عبد الله بن أنيس قال: «**فينادي بصوت يسمعه مَنْ بَعُد كما يسمعه من قَرُب: أنا الملك أنا الديان**»(١) وفي «تفسير شيبان» عن قتادة: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٨] قال: «صوت رب العالمين»، ذكره ابن خزيمة(٢)، والأحاديث والآثار عن السلف كثيرة في ذلك جداً، وتقدم حديث أبي سعيد في «الصحيح» الذي بلّغناه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وسائر الأمة تلقته بالقبول وتقييده بالصوت إيضاحاً وتأكيداً كما قيَّد التَّكلُّم بالمصدر، في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا أحب الله عبداً نادى جبريل أن الله قد أحب فلاناً فأحبه...**»(٣) الحديث، والذي تعقله الأمم من النداء إنما هو الصوت المسموع، كما قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾﴾ [ق: ٤١].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات: ٤] وهذا النداء هو رفع أصواتهم الذي نهى الله عنه المؤمنين، وأثنى عليهم بِغَضِّها في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ الآية [الحجرات: ٣]، وكل ما في القرآن العظيم من ذكر كلامه وتكليمه وأمره ونهيه دالٌّ على أنه تكلم حقيقة لا مجازاً، وكذا نصوص الوحي الخاص كقوله: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ﴾ [النساء: ١٦٣].

وقد نوَّع الله هذه الصفة في إطلاقها عليه تنويعاً يستحيل معه نفي حقائقها،

= وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣٥١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧)، وذكره البخاري في «صحيحه» كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ...﴾ تعليقاً بصيغة الجزم عن ابن مسعود موقوفاً.

قال شيخنا **الألباني** في «الصحيحة» (١٢٩٣): «قلت: **والموقوف وإن كان أصح من المرفوع، ولذلك علقه البخاري في «صحيحه»، فإنه لا يعل المرفوع؛ لأنه لا يقال: من قِبَل الرأي كما هو ظاهر،** لا سيما وله شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعاً نحوه».

(١) سبق تخريجه.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وإنما الذي وجدته عن قتادة في هذه الآية هو قوله: «نور الله بورك».
أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٢/ ٧٩)، وذكره ابن جرير في «التفسير» (١٨/ ١١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٤٠)، ومسلم (٢٦٣٧).

بل ليس في الصفات الإلهية أظهر من صفة الكلام والعلو والفعل والقدرة، بل حقيقة الإرسال تبليغ كلام الرب تبارك وتعالى، وإذا انتفت منه حقيقة الكلام، انتفت حقيقة الرسالة والنبوة، والرب تبارك وتعالى يخلق بكلامه وقوله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠] فإذا انتفت حقيقة الكلام (انتفى) الخلق، وقد عاب الله آلهة المشركين بأنها لا تكلم عابديها[١]، ولا ترجع إليهم قولاً، والجهمية وصفوا الرب تبارك وتعالى بصفة هذه الآلهة، وقد ضرب الله تعالى لكلامه واستمراره ودوامه المثل بالبحر، يمده من بعده سبعة أبحر وأشجار الأرض كلها أقلام؛ فيفنى المداد والأقلام ولا تنفد كلماته.

أفهذه صفة من لا يتكلم ولا يقوم به كلام؟ فإذا كان كلامه وتكليمه وخطابه ونداؤه وقوله وأمره ونهيه ووصيته وعهده وإذنه وحكمه وإخباره وشهادته كل ذلك مجاز لا حقيقة له، بطلت الحقائق كلها، فإن الحقائق إنما حقت بكلمات تكوينية، ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون، فما حقت الحقائق إلا بقوله وفعله، وقال في «النونية»:

وَاللهُ عَزَّ وجَلَّ مُوْصٍ آمِرٌ ... نَاهٍ مُنَبٌّ مُرسِلٌ لِبَيَانِ
ومُخَاطِبٌ ومُحَاسِبٌ ومُنَبِّئٌ ... ومُحَدِّثٌ ومُخَبِّرٌ بالشَّانِ
ومُكَلِّم متَكَلِّم بل قائِلٌ ... ومُحَذِّرٌ ومُبَشِّرٌ بأَمَانِ
هادٍ يقولُ الحقَّ يُرشِدُ خَلْقَهُ ... بكلامِهِ للحقِّ والإيمانِ
فإذا انتفتْ صِفةُ الكلامِ فكلُّ هَـ ... ـذَا مُنْتَفٍ مُتَحقِّقُ البُطلانِ
وإذا انتفَتْ صِفَةُ الكلامِ كذلِكَ ... الإرسالُ[٢] منفِيٌّ بلا فُرقَانِ
فرسالةُ المبعوثِ تبليغُ كَلا ... مَ المُرسِلِ الدَّاعِي بلا نُقصانِ[٣]

ومما يؤخذ من الآية المتقدمة:

الرد على من زعم أن كلام الله هو معنى قائم بذاته، لا يتجزأ ولا يتبعَّض، فإن الأمر لو كان كما زعموا؛ لكان موسى[٤] سمع جميع كلام الله، والرد على

---

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «لا تُكلِّم ولا تُكلِّم عابديها».
(٢) في مطبوع «الكافية الشافية»: «كذلك الْ إرسال» بالزحف.
(٣) انظر: «الكافية الشافية» (ص٨٠، ط. ابن الجوزي).
(٤) من مطبوع «الكواشف الجلية»، وسقطت من الأصل.



من زعم أن كلام الله مخلوق [وأنه من صفاته][١] فإنّ صفاته داخلة في مسمى اسمه، فليس الله اسماً لذات: لا سمع ولا بصر ولا حياة ولا كلام لها، فكلامه وحياته وقدرته داخلة في مسمى اسمه، فهو سبحانه بصفاته الخالق، وما سواه المخلوق.

الآية الثانية عشرة:

﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾: طلب جوارك، أي: حمايتك وأمانك، ﴿فَأَجِرْهُ﴾: أي: فأمِّنه، و﴿مَأْمَنَهُۥ﴾: أي: مسكنه الذي يأمن فيه، وهو دار قومه.

المعنى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾، أي: كن جاراً له، مؤمِّناً[٢] له[٢] محامياً ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ويتدبره حق تدبره ويقف على حقيقة ما تدعو إليه.

ويُستَنْبط من الآية:

دليل على أنه إذا استأمن مشرك ليسمع القرآن وجب تأمينه، ليعلم دين الله وتنشر الدعوة، وإثبات الألوهية، وأن الكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدأ، لا من قال مبلغاً مؤدياً، وأن الآية حجة صريحة لمذهب السلف أن القرآن منزل غير مخلوق؛ لأن الله تعالى هو المتكلم به، وإنما أضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها.

ودليل على بطلان مذهب المعتزلة، ومن أخذ بقولهم الباطل أن القرآن مخلوق، مستدلين على بدعتهم بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، فيدخل في عموم ﴿كُلُّ﴾ فيكون مخلوقاً، وهذا من أعجب العجب! فإن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعها فأخرجوها من عموم ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾، وأدخلوا كلام الله في عمومها مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففرَّق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، إلى ما لا نهاية

---

(١) غير موجود في مطبوع «الكواشف الجلية».

(٢) من مطبوع «الكواشف الجلية»، وسقطت من الأصل.

له، فيلزم التسلسل وهو باطل، وطرد باطلهم أن تكون جميع صفاته تعالى مخلوقة كالعلم والقدرة وغيرها، وذلك صريح الكفر، وكيف يصح أن يكون متكلِّماً بكلام يقوم بغيره؟! ولو صح ذلك؛ للزم أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه، وكذلك أيضاً ما خلقه في الحيوان، بل يلزم أن يكون متكلماً بكل كلام خلقه في غيره زوراً كان أو كذباً أو كفراً وهذياناً، تعالى الله عن ذلك، وقد طرد هذا الاتحادية، فقال ابن عربي:

وكلُّ كلامٍ في الوجودِ كلامُه سَواءٌ علينا نثرُهُ ونظامُه[1]

ولو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره؛ لصحَّ أن يقال للبصير: أعمى، وللأعمى: بصير؛ لأن البصير قد قام وصف العمى بغيره، والأعمى قد قام وصف البصير[2] بغيره، ولصح أن يوصف الله بالصفات التي خلقها في غيره، من الألوان، والروائح، والطعوم، والطول، والقصر، ونحو ذلك.

قال ابن القيم: «احتج المعتزلة على مخلوقية القرآن بقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] ونحو ذلك من الآيات فأجاب الأكثرون: إنه عام مخصوص، يخص محل النزاع كسائر الصفات من العلم ونحوه.

قال ابن عقيل في «الإرشاد»: «ووقع لي أن القرآن لا يتناوله هذا الأخبار ولا يصلح لتناوله، قال: لأنه به حصل عقد الإعلام بكونه خالقاً لكل شيء، وما حصل به عقد الإعلام والإخبار لم يكن داخلاً تحت الخبر.

قالوا[3]: ولو أن شخصاً قال: لا أتكلم اليوم كلاماً إلا كان كذباً، لم يدخل إخباره بذلك تحت ما أخبر به»، قلت: ثم تدبرت هذا فوجدته مذكوراً في قوله تعالى في قصة مريم ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦] وإنما أُمِرَتْ بذلك لئلا تُسأل عن ولدها.

فقولها: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ به حصل إخبار بأنها لا تكلِّم الإنس، ولم يكن ما أخبرت به داخلاً تحت الخبر، وإلا كان قولها مخالفاً لنذرها»[4] .اهـ.

---

(١) عزاه له ابن تيمية رحمه الله في كثير من كتبه. انظر مثلاً: «منهاج السنة» (٢/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣) و(٥/ ٤٢٦)، وفي «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٢٥٢).

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «البصر».

(٣) في مطبوع «بدائع الفوائد»: «قال».

(٤) انظر: «بدائع الفوائد» (٤/ ٢١٨).

وأما استدلالهم بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] فما أفسده من استدلال فإن (جعل) إذا كانت بمعنى خلق يتعدى إلى مفعول واحد كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى خلق قال تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١][1] وكذلك قوله: ﴿جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] وما أفسد استدلالهم بقوله تعالى: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠]، على أن الكلام خلقه الله في الشجرة، فسمعه موسى[2] وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها، فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [القصص: ٣٠] والنداء هو الكلامُ مِن بُعْد، ما سمع[3] موسى النداء من حافة الوادي.

ثم قال: ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠] أي: إن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة، و(من) لابتداء الغاية، ولو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، ولو كان هذا الكلام بدأ من غير الله لكان قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] صدقاً، إذ كل من الكلامَيْن عندهم مخلوق قد قاله غير الله، وقد فرقوا بين الكلامين ـ على أصولهم الفاسدة ـ: إن ذلك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام خلقه فرعون، فحرَّفوا وبدَّلوا واعتقدوا خالقاً غير الله». اهـ «من شرح الطحاوية»[4].

أما قوله تعالى في عيسى ﷺ: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، فالمعنى: إنه خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل ﷺ إلى مريم، فنفخ فيها الروح، فعيسى ناشئ عن الكلمة وليس هو نفس الكلمة، وقوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾؛ يعني: إنه كائن منه تعالى، أي: هو موجده وخالقه، فهو روح من الأرواح التي خلقها الله.

كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] أي: مخلوق بأمره.

---

(١) نحوه في «شفاء العليل» (١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٢) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «فسمعه موسى منها».

(٣) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «فسمع».

(٤) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص١٨٦ ـ ١٨٧) بتصرف.

الآية الثالثة عشرة:

الفريق الجماعة من الناس، ولا واحد له من لفظه، ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يغيرون وتقدم معنى التحريف وبيان أقسامه وضابط كل قسم وأمثلته، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: عرفوه وفهموه وضبطوه، أعني: كلام الله التوراة.

والمعنى لهذه الآية الكريمة:

أنسيتم أفعالهم وأعمالهم، فتطمعون أن يؤمن لكم هؤلاء اليهود، وقد كان جماعة منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه، أي: يتأولونه على غير تأويله من بعد ما عقلوه، أي: فهموه على الجلية، ومع هذا فهم يخالفونه على بصيرة، وهم يعلمون أنهم مخطؤون فيما ذهبوا إليه من تحريف.

ويستنبط من الآية:

إثبات صفة الكلام، وإثبات الألوهية، والذم لمن يحرف كلام الله، وإن التحريف من صفات اليهود، وقطع لأطماع المؤمنين من إيمان هؤلاء. وفيها دليل على تعمدهم وسوء قصدهم، وإبطال لما عساه أن يتعذر لهم من سوء الفهم، وفي الآية دليل على تعمق الفسق والعصيان في اليهود، والرد على من زعم أن الله لا يتكلم، والرد على من قال: إن القرآن مخلوق، وأن الكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدئاً لا من قاله مبلغاً مؤدياً، والرد على من قال: إنَّ القرآن كلام محمد.

الآية الرابعة عشرة:

المعنى: يريدون أن يبدلوا كلام الله، أي: وعد الله لأهل الحديبية، وذلك أن الله وعدهم أن يعوضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها، وأن يكون ذلك مختصاً بهم دون غيرهم. وأراد المخلفون أن يشاركوهم في ذلك.

ثم قال: قل يا محمد لهم: لن تتبعونا؛ أي إلى خيبر، وهذا خبر بمعنى النهي، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ﴾ [الفتح: ١٥] أي: من قبل عودتنا إليكم، أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب.

ويفهم من الآية:

إثبات صفة الكلام لله، وإثبات القول لله سبحانه، وإثبات الألوهية لله سبحانه وحده، وأن الكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدئاً، والرد على من قال:

إن الله لا يتكلم، والرد على من قال: إن القرآن كلام محمد ﷺ، أو كلام ملك أو بشر.

وفيها دليل على بطلان قول المعتزلة ومن أخذ بقولهم أن القول مخلوق.

الآية الخامسة عشرة:

﴿اتْلُ﴾: اتبع، ﴿مَآ أُوحِيَ﴾: أي: اتبع ما أوحي إليك.

الوحي لغة: الإعلام بخفاء، وفي الاصطلاح: إعلام الله أنبياءه بالشيء، إما بكتاب أو رسالة أو ملك أو منام أو إلهام، ﴿مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾: أي القرآن، ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: أي لا مُغيِّر ولا محرِّف ولا مزيل لها، ﴿مُلْتَحَدًا﴾: ملتجأ يلتجئ إليه.

المعنى:

يقول تعالى لرسوله ﷺ: واتل الكتاب الذي أوحي إليك، والزم العمل به، واتبع ما فيه من أمر ونهي، فإنه الكتاب الجليل المخصوص بمزية الحفظ من التغيير والتبديل، فإن أنت لم تتبع القرآن وتتله، وتعمل بأحكامه، لن تجد معدلاً تعدل إليه ومكاناً تميل إليه.

ويستنبط من الآية:

تعظيم القرآن، والحث على الإقبال على القرآن وتدبره وتفهمه والعمل به، وإثبات الربوبية لله، وأن القرآن لا يستطيع أحد أن يغير ما فيه، وأن الكتاب هو القرآن خلافاً للكُلَّابية، فإنه سبحانه سمى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآناً وكتاباً وكلاماً، والرد على من قال: إن القرآن كلام محمد أو ملك أو بشر أو غير ذلك، والحث على الالتجاء إلى الله في كل الأمور؛ لأنه الملجأ وحده، وإثبات قدرة الله، وأنها محيطة بجميع خلقه، فلا يقدر على الهرب من أمرٍ أراده به.

الآية السادسة عشرة:

يقول تعالى مخباراً عن كتابه العزيز، وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان أنه يقص على بني إسرائيل ـ وهم حملة التوراة والإنجيل ـ أكثر الذي هم فيه يختلفون، كاختلافهم في عيسى، وتباينهم فيه، فاليهود افتروا، والنصارى غلوا، فجاء القرآن بقول الوسط الحق العدل، أنه عبد من عباد الله، ونبي من أنبيائه ورسله الكرام.

يفهم من الآية:

دليل عظمة هذا الكتاب وهيمنته على الكتب السابقة، وتوضيحه لما وقع فيها من اشتباه واختلاف، وأنه جاء حكماً على بني إسرائيل، فيما اختلفوا فيه، فأبان لهم الحقَّ، والرد على من قال: إن كلام الله هو المعنى النفسي.

ووجوب الرجوع إلى القرآن واتباعه، وأن الاختلاف متقدِّم في الأمم، وإثبات صفة الكلام لله، والرد على من أنكر صفة الكلام أو أوَّلها بتأويل باطل.

الآية السابعة عشرة:

يقول جلَّ شأنه مخبراً عن عظمة هذا الكتاب ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾ أي: القرآن ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني على محمد ﷺ ﴿مُبَارَكٌ﴾: أي: كثير الخير والمنافع، دائم البركة، يبشر بالثواب والمغفرة والرحمة ويزجر عن الأفعال القبيحة والمعصية.

ففي هذه الآية: دليل على إثبات صفة الكلام، والحث على تدبر القرآن والاعتناء بما فيه من أحكام وإرشادات، ولُطْف الله بخلقه حيث أنزل إليهم هذا الكتاب العظيم، وإثبات قدرة الله، والرد على الجهمية القائلين أن القرآن مخلوق، ودليل لقول أهل السنة أن القرآن منزل غير مخلوق، ودليل علو الله على خلقه، وفيه رد على من قال: إن القرآن كلام محمد أو جبريل أو بشر أو غير ذلك، ورد على من قال: إن القرآن مخلوق كالمعتزلة ومن أخذ بقولهم، وأن القرآن كثير الخير دائم المنفعة والبركة، وفيه رد على من قال: إن كلام الله المعنى النفسي.

الآية الثامنة عشرة:

يقول تعالى معظماً لأمر القرآن، ومبيِّناً علو شأنه وقدره، وأنه حقيقٌ بأن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه؛ لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] أي: من شأنه، وعظمته، وجودة ألفاظه، وقوة معانيه وبلاغته، واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب أنه لو أنزل على جبل من الجبال؛ لرأيته مع كونه في غاية الصلابة وضخامة الجرم وشدة القشوة خاشعاً متصدعاً؛ أي: منقاداً متذللاً، متشققاً من خوف الله.

ويستنبط من الآية:

علو شأن القرآن وقوة تأثيره لما فيه من المواعظ والزواجر، وتوبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة خشوعه حين قراءته للقرآن، وتدبر ما فيه من القوارع التي تَذِل لها الجبال الراسيات، وفيه دليل على مذهب السلف من أن القرآن منزَّل غير مخلوق، ودليل على علو الله على خلقه، والرد على من قال: إن القرآن مخلوق، كالمعتزلة ونحوهم، وأنه سبحانه خلق في الجمادات إدراكاً بحيث تخشع، وهذا حقيقة كما دلت على ذلك الأدلة، ولا يعلم كيفية ذلك إلا الله.

والحث على الخوف من الله، والخشوع عند سماعه لكلام الله، وفيها رد على من قال: إن كلام الله المعنى النفسي، والرد على من قال: إنه كلام جبريل أو بشر أو غير ذلك وإثبات الألوهية.

الآية الأخيرة:

قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ﴾ آية [النحل: ١٠١] إلخ.. التبديل: رفع الشيء ووضع غيره مكانه. وتبديل الآية نسخها بأخرى، ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ جبريل؛ لأنه ينزل بما يطهر القلوب. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالصدق والعدل، ﴿لِيُثَبِّتَ﴾: أي ليزيدهم يقيناً وإيماناً، البشر والبشارة هو أول خبر سار بشر به إنسان؛ سمِّي بذلك لبدو بشرته، والمراد جبر الرومي غلام ابن الحضرمي، كان قد قرأ التوراة والإنجيل، وكان النبي ﷺ يجلس عنده إذا آذاه أهل مكة.

والإلحاد: الميل، أي: يميلون ويشيرون، ﴿لِسَانِ﴾: أي: لغته وكلامه، وأطلق اللسان على القرآن؛ لأن العرب تطلق اللسان وتريد به الكلام، فتؤنّثها وتذكّرها.

ومنه قول الشاعر:

لِسَانُ السُّوءِ تُهْدِيهَا إِلَيْنَا   وحِنْتَ وما حَسِبْتُكَ أنْ تَحِينا[1]

ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤] أي: ثناءً باقياً.

﴿أَعْجَمِىٌّ﴾: العجمية في لسان العرب الإخفاء وضد البيان، فالأعجمي المراد به: الذي لا يفصح وإن كان ينزل البادية.

---

(١) ذكره ابن هشام في «مغني اللبيب» (١/ ١٨٢) ولم ينسبه لأحد.

المعنى:

هذا شروع منه سبحانه في حكاية شبه كفرية ودفعها. أي: وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكم آية أخرى، والله أعلم بالذي هو أصح فيما ينزل، قال المشركون لرسوله: إنما أنت متقوّل على الله، تأمر بشيء ثم تنهى عنه، وأكثرهم لا يعلمون ما في التبديل من حِكَم بالغة، ثم قال تعالى مبيناً لهؤلاء المعترضين على حِكْمة النسخ، الزاعمين أن ذلك لم يكن من عند الله وأن الرسول افتراه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢] الآية، أي: قل لهم يا محمد: قد[١] جاء جبريل بما أتلوه عليهم من عند ربي، على مقتضى حكمته البالغة، من تثبيت المؤمنين وتقوية إيمانهم بما فيه من أدلة قاطعة، وبراهين ساطعة، على وحدانية خالق الكون، وباهر قدرته، وواسع علمه، وجعله هادياً ببشارة المسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا﴾ [النحل: ١٠٣] يعلم محمداً القرآن ﴿بَشَرٌ﴾ من بني آدم غير ملك، ثم أجاب سبحانه عن قولهم هذا، فردَّ عليهم وكذبهم في قيلهم فقال: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] أي: إن لسان الذي تميلون وتشيرون إليه بأنه يعلّم محمداً أعجمي؛ أي: لا يتكلَّم بالعربية، والقرآن كلام عربي تفهمونه بأدنى تأمل، فكيف يكون الذي يقوله أعجمياً؟ فهذا القول لا يقوله من له أدنى مسكة من عقل، وفي التشبت[٢] بمثل هذه المطاعن الركيكة والخرافات الساذجة أبلغ دليل على أنهم بلغوا غاية العجز:

فَدَعْهُم يزعمون الصُّبحَ ليلاً[٣] أَيَعْمىٰ العالَمُونَ عنِ الضِّياءِ[٤]

ويستنبط من الآية الكريمة:

إثبات النسخ، وأنه لحكمة ومصلحة، وإثبات صفة العلم لله تعالى، وإثبات الألوهية، وإثبات علو الله على خلقه، ودليل لمذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن منزل غير مخلوق، والرد على من زعم أنه مخلوق، والرد على من قال:

---

(١) كذا في مطبوع «الكواشف الجلية»، وفي الأصل: «قل»!

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «التشبُّث».

(٣) في مطبوع «شرح ديوان المتنبي»: «وَهَبْني قلتُ هذا الصبحُ ليلٌ».

(٤) هذا البيت للمتنبي. انظر: «شرح ديوان المتنبي» للبرقوقي (١/ ١٣٨).

إنه كلام ملك أو بشر أو غير ذلك، والرد على من قال إنه خلقه في جسم من الأجسام المخلوقة، كما هو قول الجهمية، والرد على من قال: إنه فاض على النبي ﷺ: كما يقول طوائف من الفلاسفة، وأن السفير بين الله ورسوله محمد ﷺ هو جبريل عليه السلام.

والرد على من قال: إن كلام الله هو المعنى النفسي، فإن جبريل سمعه من الله، والمعنى المجرَّد لا يُسمع، والدليل على أن القرآن نزل باللغة العربية وتكلَّم الله بالقرآن بها، والتوبيخ للمعترضين، والإيمان إلى أن التبديل لم يكن للهوى بل للحكمة التي اقتضت ذلك، وإبطال شبه المعترضين، وإثبات صفة الربوبية، وأن القرآن نزل بالصدق والعدل، وأن القرآن نافع للخلق كل النفع في دينهم ودنياهم، فبه تثبت العقائد وتطمئن القلوب.

وأن فيه الهداية من الزيغ والضلالات، ففيه ما يهذب النفوس، ويكبح جماح الطغيان، ويردّ الظالم عن ظلمه، ويدفع عدوان الناس بعضهم على بعض.

وأن فيه بشارة للمسلمين؛ بما سيلقونه من الجنات، التي تجري من تحتها الأنهار.

وأن قدح الجاهل لا عبرة به؛ لأن القدح في الشيء فرع عن العلم به، وقدح هؤلاء عن جهل وعناد، وهذه عادة الغبي إذا سمع شيئاً لم يفهمه ولم يعلمه قدح فيه فإذا عاب إنسان قولاً صحيحاً؛ فذلك لأنه لم يفهمه؛ وإنما أتى من قِبَلَ قريحته، وهذا معنى رائع بديع قال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الإحقاف: ١١] وقال المتنبي أخذاً من هذه الآية:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً ... وآفتُه من الفهم السَّقيم
ولكن تأخذ الأذهانُ(١) منه ... على قَدَرِ القريحَةِ والعُلُومِ(٢)

أخذه الآخر، فقال:

والنجمُ تستَصْغِر الأبصارُ صُورته ... والذَّنْبُ للطَّرفِ لا للنَّجم في الصِّغَرِ(٣)

وقال الآخر:

---

(١) في «ديوان المتنبي»: «الآذان».
(٢) البيتان ضمن قصيدة في «ديوان أبي الطيب» (ص٢٣٩ ـ مع «العَرف الطيب»).
(٣) البيت لأبي العلاء المعرِّي، كما في «دمية القصر» (١/ ٢٠٦).

كم من كلامٍ قد تضمَّن حكمةً ... نال الكسادَ بسوقِ مَنْ لا يَفْهَمِ

ومما يؤخذ من الآية الكريمة:

أن القرآن نزل بالتدريج كما تُشْعِر به صيغة (التفعيل) في الموضعين، والتنويه بروح القدس، وهو جبريل عليه السلام المنزَّه عن الخيانة والكذب، والرد على من أنكر صفة العلم، أو أوّلها بتأويل باطل والرد على القدرية النافين لعلم الله، والتهديد والمأخذ من قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ . . .﴾ إلخ.

مسألة الكلام

افترق الناس في مسألة الكلام على عدة أقوال:

أحدها: مذهب الجهمية والمعتزلة: أن القرآن مخلوق.

الثاني: الكُلَّابية وأتباعهم من الأشاعرة: أن القرآن نوعان ألفاظ ومعاني، فالألفاظ مخلوقة وهي هذه الألفاظ الموجودة، والمعاني قديمة قائمة بالنفس، وهي معنى واحد لا تَبَعُّضَ فيها ولا تعدد، إن عُبِّر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عُبِّر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عُبِّر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، وإنه لا يتعلق بمشيئته وقدرته.

الثالث: الكرامية: إنه متعلق بالمشيئة والقدرة، قائم بذات الرب، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن، وأخطؤوا في قولهم: إن له ابتداء في ذاته.

الرابع: الماتريدية: أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذات الله، هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور.

الخامس: مذهب الاتحادية: إن كلَّ كلام لله: نظمه، ونثره، حقه، وباطله، وسحره، وكفره، والسب، والشتم، والهجر، والفحش، وأضداده، كله عين كلام الله تعالى القائم بذاته، قال ابن القيم حاكياً كلام الاتحادية:

وأَتَتْ طَوائِفُ الاتِّحادِ بِملّةٍ[1] ... طَمَّتْ على ما قالَ كلُّ لِسانِ

قالوا كَلامُ اللهِ كلُّ كلامِ هَـ ... ـذا الخَلْقِ مِنْ جِنٍّ ومِن إنسانِ

نظماً ونَثْراً زُورُهُ وصحيحُهُ ... صِدْقاً وكِذْباً واضِحَ البطلانِ

(١) كذا في مطبوع «الكافية الشافية»، وفي الأصل: «حملة»!

فالسبُّ والشَّتْمُ القبيحُ وقذْفُهُم ... للمحصناتِ وكلُّ نوعِ أَغَاني[١]
والنَّوْحُ والتغريم[٢] والسِّحْر المبـ ... ـينُ وسائِرُ [البهتان و][٣] الهَذَيَانِ
هـو عـينُ قـولِ الله جـل جـلالُـهُ ... وكـلامُـهُ حـقـاً بـلا نُـكـرانِ
إذ أصلُـهُـمْ أن الإلٰـه حـقـيـقـةً ... عينُ الوجودِ وعينُ ذِي الأكوانِ[٤]

السادس: مذهب السالمية: إنه صفة قائمة بذات الله، لازمة له كلزوم الحياة، ولا يتعلَّق بالمشيئة والقدرة، ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات لا يسبق بعضها بعضاً، بل مقترنة: الباء[٥] مع السين مع الميم في آنٍ واحد لم تكن معدومة في وقت من الأوقات، ولا تعدم، بل هي لم تزل قائمة بذات الله.

السابع: مذهب الصابئة والمتفلسفة: إن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني، إما من العقل الفعال عند بعضهم أو من غيره.

الثامن: إنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء. وهو يتكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعيَّن قديماً، وهو المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

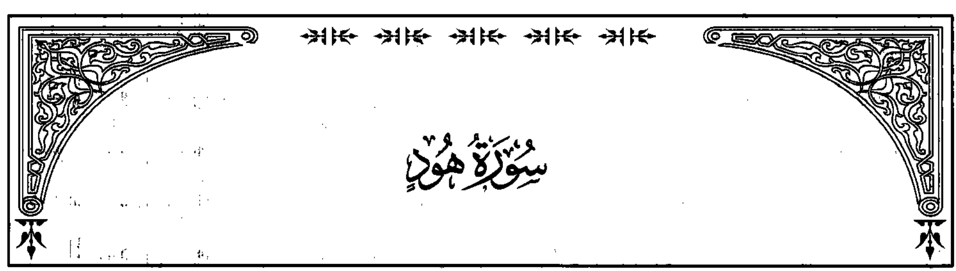
قال ابن القيم[٦]:

وإذا أرَدْتَ مـجـامِعَ الطُّرُقِ الـتـي ... فـيـهـا افـتِـرَاقُ الـنـاسِ فـي الـقُـرآنِ
فـمـدارهـا أصـلانِ قـامَ عـلـيـهـمـا ... هـذا الـخِـلافُ هـمـا لَـهُ رُكـنـانِ
هـل[٧] قـولـه بـمـشـيـئـةٍ أم لا وَهَـلْ ... فـي ذاتِـه أم خـارجٌ هـذان
أصل[٨] اختلافِ جميع أهلِ الأرض ... في القُرآنِ[٩] فاطلُبْ مقتضى البُرهانِ[١٠]

---

(١) كذا في مطبوع «الكافية الشافية»، وفي الأصل: «أغان».
(٢) كذا في مطبوع «الكافية الشافية»، وفي الأصل: «التغريد».
(٣) سقط من الأصل، وأثبته من «الكافية الشافية».
(٤) انظر: «الكافية الشافية» (ص٨٧).
(٥) كذا في مطبوع «الكواشف الجلية»: «الباء» بباء موحدة، وفي الأصل بالياء آخر الحروف.
(٦) في مطبوع «الكافية الشافية»: «هو».
(٧) في مطبوع «الكافية الشافية»: «أصلاً».
(٨) في مطبوع «الكافية الشافية»: «أهل الأرض في القرآن» بالزحف.
(٩) في «الكافية الشافية» (ص٧٤ ـ ٧٥).
(١٠) من «الكواشف الجلية» (١٣٧ ـ ١٥٢) بتصرف.





الباب الأول

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود: ٦]

قال (ك): «أخبر تعالى أنه متكفِّل بأرزاق المخلوقات، من سائر دواب الأرض، صغيرها وكبيرها، بحريها وبريِّها، وأنه يعلم مستقرها ومستودعها، أي: يعلم أين منتهى سيرها في الأرض، وأين تأوي إليه من وَكْرِها، وهو مستودعها.

وقال علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ أي[(١)]: حيث تأوي ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ حيث تموت، وعن مجاهد ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ في الرحم ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ في الصلب، كالتي في «الأنعام».

وكذا روي عن ابن عباس والضحاك وجماعة.

وذكر ابن أبي حاتم[(٢)] أقوال المفسرين هٰهنا كما ذكره عند تلك الآية، فالله أعلم، وأن جميع ذلك مكتوب في كتاب عند الله، مبين عن جميع ذلك.

كقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الإنعام: ٣٨].

وقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]»[(٣)].

وفي «الكواشف الجلية»:

«وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا

---

(١) غير موجود في مطبوع «تفسير ابن كثير».

(٢) في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٤).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤١٤).

﴿يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤] الآية. وقوله: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١] وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢] في هذه الآية دليل على إثبات صفة العلم، وهي الصفات الذاتية، وعلمه سبحانه شامل لكل شيء، ومحيط به؛ فيعلم ما كان، وما يكن لو كان كيف يكون.

قال ابن القيم:

وَهُوَ العليمُ أحاطَ عِلْماً بالذي ... في الكون مِنْ سِرٍّ وَمِن إعلانِ
وبكلِّ شيءٍ عِلْمُهُ سبحانَه ... فهُوَ المحِيطُ وليس ذا نِسْيانِ
وكذاكَ يعلمُ ما يَكُونُ غداً ومَا ... قَدْ كان والمَوْجُودَ فِي ذَا الآنِ[(١)]

في الآية الأولى: إثبات علم الله، فهو سبحانه يعلم ما يدخل في الأرض من المياه والكنوز والأموات والبذور والوحوش وبني آدم في الكهوف وغير ذلك، ويعلم ما ينزل من السماء، [ويعلم ما يخرج منها][(٢)] من نبات ومعادن ومياه وأموات وأبخرة وغير ذلك، ويعلم ما ينزل من السماء من ملائكة وأمطار ومصائب وحر وبرد وغير ذلك، وما يعرج فيها من حفظة وأعمال، وقد أنكر غلاة القدرية علم الله القديم، وأنه يعلم الأشياء قبل وقوعها، وقد اشتد إنكار السلف عليهم، وقالوا: ناظروهم بالعلم فإن أقروا به: خصموا، وإن جحدوه؛ كفروا، وقال الإمام (حم) في «ردّه على الجهمية والزنادقة»:

«فإن قال الجهمي: ليس له علم؛ كفر. وإن قال لله: علم مُحْدَثٌ؛ كفر؛ حيث زعم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يعلم؛ حتى أَحْدَثَ له عِلْماً؛ فَعَلِم!

فإن قال: لله عِلْمٌ وليس مخلوقاً ولا محدثاً، رجع عن قوله كلِّه، وقال بقول أهل السنة»[(٣)].

---

(١) انظر: «الكافية الشافية» (ص٢٠٧).

(٢) من مطبوع «الكواشف الجلية»، وسقط من الأصل، والسياق يقتضيه.

(٣) انظر: «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص٣٠٦).

والدليل العقلي على علمه تعالى: إنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل؛ ولأن إيجاده الأشياء بإرادة، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد هو العلم بالمراد، فكان إيجاده مستلزماً للعلم.

ولأن المخلوقات فيها من الأحكام والإتقان ما يسلتزم علم الفاعل لها؛ لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم، ولأن من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً.

وهذا له طريقان:

أحدهما: أن يقال: نحن نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوقات، وأن الواجب أكمل من الممكن، ونعلم أنا لو فرضنا شيئين، أحدهما عالم كان العالم أكمل، فلو لم يكن الخالق عالماً؛ لزم أن يكون الممكن أكمل منه، وهو ممتنع.

الثاني: أن يقال: كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه، [وهو][1] من الممتنع أن يكون فاعل الكمال[2] ومبدعه عارياً منه، بل هو أحق به، والله تعالى له المثل الأعلى، ولا يستوي هو والمخلوق في قياس تمثيلي، ولا في قياس شمولي، بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال، فالخالق أولى به وأحق، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما، فتَنَزُّه الخالق عنه أولى.

قال ابن القيم:

وكَمالُ مَنْ أعطىٰ الكمالَ بنَفْسِهِ	أَوْلَى وأجدر عند ذي العرفانِ[3]
أيكونُ قَدْ أَعْطَى الكَمَالَ ما لَهُ	ذَاكَ الكمالُ أذاكَ ذُو إمكانِ
أيكُونُ إنسانٌ سميعاً مُبْصِراً	مُتَكَلِّماً بمشيئةٍ وبيانِ
ولَهُ الحياةُ وقُدْرَةٌ وإرادَةٌ	والعِلمُ بالكُلِّي والأعيانِ
واللهُ قَدْ أعطاهُ ذاك ولَيْسَ هذا	وَصْفَهُ[4] فاعجَبْ مِنَ البُهتَانِ[5]

(١) غير موجود في مطبوع «الكواشف الجلية».
(٢) كذا في مطبوع «الكواشف الجلية»، وفي الأصل: «الكامل»!
(٣) في مطبوع «الكافية الشافية»: «أوْلى وأقدَمُ وَهْوَ أعظَمُ شانِ».
(٤) في مطبوع «الكافية الشافية»: «هذا وصفه» بالزحف.
(٥) انظر: «الكافية الشافية» (ص٧٢).

ما يؤخذ من الآية الكريمة:

إثبات صفة العلم، والرد على القدرية، والرد على المعتزلة حيث قالوا: عليم بلا علم، وإحاطة علمه بكل شيء، فلا تخفى عليه خافية، والرد على الجهمية والقدرية المنكرين لصفة العلم، والرد على من زعم أن الله يعلم الكليات دون الجزئيات، ودليل على علو الله على خلقه، وإثبات صفة الكلام لله، ودليل على عظمته ودليل على قدرة الله، والحث على مراقبة الله في السر والعلانية، ودليل على المعية العامة، وإثبات صفة البصر، ودليل على البعث والحساب والجزاء على الأعمال، وإثبات الألوهية لله، ودليل على سعة علم الله، وإثبات صفة الحياة.

الآية الثانية:

هذه الآية من أعظم الآيات تفصيلاً لعلم الله المحيط.

والمعنى: إن عنده سبحانه خاصة مخازن الغيب، أو المفاتيح التي يتوصل بها إليه، فهو الذي يحيط بها علماً، وسواه جاهل لا يعلم منها شيئاً، إلا ما علَّمه[1]. فقوله: ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] جملة مؤكدة لمضمون الجملة الأولى.

قال المناوي: «فمن ادعى علم شيء منها كفر، وخص عِلْم ما في البر والبحر بالذِّكْر لأنهما من أعظم مخلوقات الله، ولكونهما[2] أكثر ما يشاهده الناس ويتطلعون لعلم ما فيها».

والخلاصة: أنه سبحانه يعلم الغيب والشهادة، والأحوال الظاهرة والباطنة، والرطبة واليابسة.

روى (خ) عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**مفاتح الغيب خمس**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]»[3].

---

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «ما أعلمه الله».

(٢) كذا في مطبوع «الكواشف الجلية»، وفي الأصل: «ولكنها».

(٣) سبق تخريجه.

يؤخذ من الآية:

إثبات صفة العلم، والرد[١] على المعتزلة، وإثبات اللوح المحفوظ، ودليل على عظمة الله وسعته في أوصافه، وأن اللوح المحفوظ محيط بالأشياء كلها، والرد على من أنكر صفة العلم من جهمية ومعتزلة، والرد[١] على القدرية الذين يزعمون أن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، وإثبات صفة الكلام لله، والمأخذ من أن الله هو الذي تكلم به، وقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ الآية.

وأن الله يعلم المنظور والمحجوب والمعلوم، وجميع ما في الزمان والمكان على السواء، فلا يخفى عليه شيء جَلَّ وعلا.

والحث على خوف الله، والرد على من زعم أن النبي ﷺ يعلم الغيب، [والرد على القدرية الذين يزعمون أن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، وإثبات اللوح المحفوظ، وأن اللوح المحفوظ محيط بالأشياء كلها، ودليل على علو الله على خلقه، والمأخذ من قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ التعميم الشامل للموت والحياة، والذبول والإزهار، وإن حركات البذور والنماء المنشقة من الغور إلى السطح، ومن كمون إلى اندفاع، يعلمها الله][٢].

وفيها ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمَّالين ونحوهم، المدَّعين ما ليس من شأنهم، ولا يدخل تحت قدرتهم، ولا يحيط به علمهم.

وتنبيه المكلَّفين إلى عدم إهمال أحوالهم، المشتملة على الثواب والعقاب، وذكر البر؛ لأن الإنسان قد شاهد أحواله وكثرة ما فيه.

والحث على المراقبة في السر والعلانية، وإثبات قدرة الله، وأنه لا يعجزه شيء، وذكر البحر وكثرة ما فيه؛ لأن الحس يدل على أن عجائب البحار في الجملة أكثر، وطولها وعرضها أعظم، وما فيها من الحيوانات وأجناس المخلوقات أعجب.

ودليل على أن الله يعلم الكليات والجزئيات، فلا تخفى عليه خافية، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾ [الأنفال: ٢٣] ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

---

(١) كذا في مطبوع «الكواشف الجلية»، وفي الأصل: «رد»!

(٢) ما بين المعقوفتين تقدم فحواه ومعناه في الفقرة قبل السابقة!

وأخبر سبحانه عن أشياء لم تكن وستكون، كإخباره عن محاجة أهل النار، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ [غافر: ٤٧] الآيات الثلاث، وقال: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] الآيات السبع، إلى غير ذلك من الآيات، وأنه يفهم من الآية أن معلومات ما في البر وما في البحر حقير في جنب ما دخل في عموم ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾.

الآية الثالثة:

[المعنى «لا يكون حملٌ ولا وضعٌ إلا والله عالم به سبحانه؛ يعلم في أي يوم تحمل، وفي أي يوم تضع، فلم يخرج عن علمه وتدبيره، ويعلم هل هو ذكر أو أنثى؟

ففي الآية:

إثبات صفة العلم، وإنفراده سبحانه بعلم ما في الأرحام وعلم مدته فيها، والرد على من أنكر صفة العلم، أو أولها بتأويل باطل، وإثبات صفة الكلام لله][(١)].

الآية الرابعة:

اللام متعلقة بخلق أو بتنزل، أو بمقدَّر، أي: فعل ذلك لتعلموا أنه بالغ القدرة لا يعجزه شيء، فهذا عام يتناول أفعال العباد من الطاعات وكل شيء، ومن كمال قدرته تعالى أنه إذا شاء فعل من غير ممانع ولا معارض، فجميع الأشياء منقادة لقدرته، تابعة لمشيئته، ولا يخرج عن علمه شيء منها، كائناً ما كان، وانتصاب عِلْماً على المصدرية أو صفة لمصدر محذوف.

ففي الآية:

إثبات صفة العلم، وإثبات قدرة الله، وإثبات الألوهية، وعموم قدرته تعالى، وسعة علمه سبحانه، وإرشاد الخلق إلى التفكر والعلم النافع، والخوف[(٢)] من الله القادر على كل شيء، والحث على مراقبة الله سراً وعلانية، والرد على

---

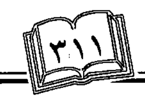
(١) من مطبوع «الكواشف الجلية»، وسقط من الأصل.
(٢) كذا من مطبوع «الكواشف الجلية» وتحرفت في الأصل إلى «والحقوق»!

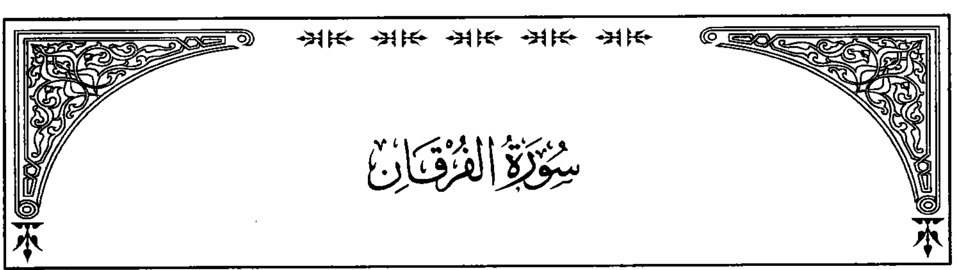
الجهمية والمعتزلة المنكرين لعلمه المحيط بكل شيء، والرد على القدرية القائلين: إن أفعال العباد غير داخلة في قدرة الله، وإثبات صفة الكلام لله؛ لأن الله هو الذي تكلم بالآية.

وفي أول الآية ما يدل على صفة الخلق، وفيه ما يدل على علو الله على خلقه، وحلم الله على الكافر والعاصي، وأن العباد لا يقدرون الله حق قدره، وإلا لما عصوه، وهو قادر على إهلاكهم في لحظة»[١].

---

(١) انظر: «الكواشف الجلية» (ص٥٤ ـ ٥٧) بتصرف.





الباب الأول

قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨]

قال (ك): «أي: في أمورك كلِّها كن متوكّلاً على الله، الحي الذي لا يموت أبداً الذي ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣] الدائم الباقي السرمديّ الأبدي الحي القيوم رب كل شيء ومليكه، اجعله ذُخْرك وملجأك، وهو الذي يُتوكل عليه ويُفزَع إليه، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى شهر بن حوشب قال: لقي سلمان النبي ﷺ في بعض فجاج المدينة، فسجد له فقال: **«لا تسجد لي يا سلمان، واسجد للحي الذي لا يموت»**[١]، وهذا مرسل حسن.

وقوله تعالى؛ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: اقرِنْ بين حمده وتسبيحه.

ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: **«سبحانك اللهم ربنا وبحمدك»**[٢] أي: أخلص له العبادة والتوكل كما قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٩] وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ أي: لعلمه[٣] التام الذي لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة»[٤].

---

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه.

(٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «بعلمه».

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٠/٣١٦ ـ ٣١٧).

وقال المحقق محمد حسن القنوجي في «فتح البيان»:

«﴿وَتَوَكَّلْ﴾ في استكفاء شرورهم والاستغناء عن أجورهم ﴿عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه، وخص صفة الحياة إشارة إلى أن الحي الدائم هو الذي يوثق به في المصالح والمنافع ودفع المضار، ولا حياة على الدوام إلا لله[1] سبحانه، دون الأحياء المنقطعة حياتهم، فإنهم إذا ماتوا ضاع[2] من يتوكل عليهم، وقرأها بعض الصالحين فقال: لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق.

والتوكل: اعتماد العبد على الله في كل الأمور.

والأسباب وسائط، أمر بها من غير اعتماد عليها.

﴿وَسَبِّحْ﴾ أي: نزهه عن صفات النقصان مقترناً ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ وقيل معنى سبح: صَلِّ، والصلاة تسمى تسبيحاً، ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ أي: حسبك، وهذه كلمة يراد بها المبالغة كقولك: كفى بالله رباً، والخبير المطلع على الأمور بحيث لا يخفى عليه منها شيء.

فلا لوم عليك إن آمنوا أو كفروا.

وقيل: معناه أنه لا يحتاج معه إلى غيره؛ لأنه خبير عالم قدير على مكافأتهم، وفيه وعيد شديد. كأنه قال: إذا أقدمتم على مخالفة أمره، كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة»[3]. اهـ.

وقال تعالى في سورة المؤمن رقم ٦٥: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

قال (ك): «أي هو الحي أزلاً وأبداً، لم يزل ولا يزال، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا نظير له ولا عديل له ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ﴾ أي: موحدين له مقرين بأنه لا إله إلا هو ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾»[4].

«روى الإمام (حم) و(م) و(د) و(ن) بسندهم عن عبد الله بن الزبير أنه كان

---

(١) في مطبوع «فتح البيان»: «إلّا الله»!!

(٢) في مطبوع «فتح البيان»: «إذا ما تواضع»!

(٣) انظر: «فتح البيان» (٥/٣٨). (٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٢/٢٠٧).

يقول في دبر كل صلاة حين يسلِّم: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**».

قال: **وكان رسول الله ﷺ يهلِّل بهن دبر كل صلاة**.اهـ[(١)]»[(٢)].

وتقدم قوله تعالى في آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ مع تفسيرها، وفي «الكواشف الجلية» للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان:

«وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ التوكل: اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة بالله وفعل الأسباب، أي: وتوكل على الرب الدائم الباقي، رب كل شيء ومليكه، واجعله ملجأ وذخراً لك، وفوِّض أمرك إليه، واستسلم له، واصبر على ما نابك فيه؛ فإنه كافيك وناصرك ومبلِّغك ما تريد.

قال ابن القيم: «أجمع القوم: على أن التوكل لا ينافي الأسباب[(٣)]، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة[(٤)]، وتوكل فاسد.

وقال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

فالتوكل: حال النبي ﷺ، والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يتركنّ سنته»[(٥)].

والتوكل: ينقسم إلى قسمين:

الأول: التوكل على الله: فهو من أشرف أعمال القلوب وأجلها.

الثاني: التوكل على غيره سبحانه، وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: التوكل على غير الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩٤)، وأحمد (٤/٤)، وأبو داود (١٥٠٦)، والنسائي (١٣٣٩) من حديث عبد الله بن الزبير.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٢/ ١٧٧ ـ ١٧٨).

(٣) في مطبوع «مدارج السالكين»: «القيام بالأسباب».

(٤) كذا في مطبوع «مدارج السالكين»، وفي الأصل: «باطل».

(٥) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧، ط. طيبة أو ٢/ ١١٦، ط. الفقي).

كالتوكل على الأموات والطواغيت في جلب رزق أو دفع ضر أو نصر أو نحو ذلك، فهذا شرك أكبر.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع ضر ونحو ذلك. فهذا النوع شرك أصغر.

الثالث: توكيل الإنسان غيره في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه.

فهذه الوكالة الجائزة، لكن ليس له أن يعتمد عليه بل يتوكل على الله في تيسير أمره، وذلك من جملة الأسباب الجائزة».

وقال الشيخ: «إعراض القلب عن الطلب من الله[١] والرجاء له يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله، لا سيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق، بحيث يكون قلبه مُعْتَمِداً إما على رئاسته وجنوده وأتباعه ومماليكه، وإما على أهله وأصدقائه، وإما على أمواله وذخائره، وإما على ساداته وكبرائه، كمماليكه[٢] ومَلِكِه وشيخه ومخدومه، وغيرهم ممن هو قد مات، أو يموت».

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾»، وقال: «القلب لا يصلح ولا يسرّ ولا يلتذّ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحُبِّه والإنابة إليه، ولو حصل كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن، إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه، من حيث[٣] هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة.

وهذا لا يحصل[٤] إلا بإعانة الله له، ولا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله فهو دائماً مفتقر إلى حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة: ٥]» فهو مفتقر إليه من حيث هو المطلوب المحبوب المعبود، ومن حيث هو[٥] المستعان به المتوكل عليه، فهو إلهه لا إله له غيره، وهو ربه ولا رب له سواه، ولا تتم عبوديته إلا بهذين»[٦]. اهـ.

---

(١) في مطبوع «مجموع الفتاوى»: «عن الطلب من غير الله».
(٢) في مطبوع «مجموع الفتاوى»: «كمالكه».
(٣) في مطبوع «مجموع الفتاوى»: «ومن حيث».
(٤) في مطبوع «مجموع الفتاوى»: «لا يحصل له».
(٥) في مطبوع «مجموع الفتاوى»: «هو المسؤول».
(٦) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٨٥، ١٩٤ ـ ١٩٥).

ما يؤخذ من الآية الكريمة:

إثبات صفة الحياة، وهي من الصفات الذاتية، فحياته سبحانه أكمل حياة وأتمها، ويستلزم ثبوتها ثبوت كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة، وخصص صفة الحياة إشارة إلى أن الحي هو الذي يوثق به في المصالح، ولا حياة على الدوام إلا لله سبحانه دون الأحياء المنقطعة حياتهم، فإنهم إذا ماتوا ضاع من يتوكل عليهم.

والأمر بالتوكل على الله، والرد على من أنكر صفة الحياة أو أوَّلها بتأويل باطل، وإثبات البقاء لله، فهو الآخر ليس بعده شيء، وإثبات صفة الكلام، وأن القرآن كلام الله لا كلام محمد ولا جبريل ولا غيرهما. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الحكيم مأخوذ من الحكمة، وله معنيان:

أحدهما: بمعنى القاضي العدل، الحاكم بين خلقه بأمره الديني الشرعي وأمره الكوني القدري، وله الحكم في الدنيا والآخرة.

والمعنى الثاني: أنه المُحْكِم للأمر؛ كي لا يتطرق إليه الفساد.

قال ابن القيم: «الحكمة حكمتان: علمية وعملية، فالعلمية الإطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خَلْقاً وأمراً، وقَدَراً وشرعاً.

والعملية: وضع الشيء في موضعه»[1]. اهـ.

وحكمته سبحانه صفة قائمة به، كسائر صفَاته من سمعه وبصره، ونحو ذلك، وهي تنقسم إلى قسمين: **أحدهما في خَلْقِه**، وهو نوعان:

الأول: إحكام هذا الخَلْق وإيجاده في غاية الإحكام والإتقان.

الثاني: صدوره لأجل غاية محمودة مطلوبة له سبحانه، التي أمر لأجلها وخلق لأجلها.

الثانية: الحكمة في شَرْعه، وتنقسم إلى قسمين:

الأول: كونها في غاية الإحسان والإتقان.

الثاني: كونها صدرت لغاية مطلوبة وحكمة عظيمة يستحق عليها الحمد.

وأما الخبير، فهو من الخبرة بمعنى كمال العلم ووثوقه والإحاطة بالأشياء

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٣/ ٣٥٠، ط. طيبة أو ٢/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩، ط. الفقي).

على وجه الدقة، فالعلم عندما يضاف إلى الخفايا الباطنية يسمى خبرة، ويسمى صاحبها خبيراً.

والله سبحانه لا يجري في الملك والملكوت شيء، ولا تتحرك ذرة فما فوقها وما دونها ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا وعنده من ذلك خبرة.

ففي الآية:

إثبات صفة الحكمة، وإثبات صفة الخبرة، والحث على مقام المراقبة، والرد على من قال: إنه يعلم الكليات دون الجزئيات، والرد على القدرية»[(١)] [نفاة العلم، والرد على الجهمية، وإثبات صفة الكلام، وإثبات الحياة، وإحاطة علم الله بكل شيء][(٢)]. اهـ.

وقال صاحب «الكواشف» (ص٧٣):

«وقوله[(٣)]: «وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه حيث يقول: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾.

ولهذا من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح»[(٤)].

أخبر ﷺ أن هذه الآية أعظم آية في كتاب الله؛ وذلك لاشتمالها على أجل المعارف وأوسع الصفات.

فأخبر أنه المتوحِّد في الألوهية، المستحق لإخلاص العبودية، وأنه الحي الكامل كامل الحياة.

وذلك يقتضي كمال عزته، وقدرته، وسعة علمه، وشمول حكمته، وعموم

(١) انظر: «الكواشف الجلية» (ص٥٢ ـ ٥٤) بتصرف.
(٢) غير موجود في مطبوع «الكواشف الجلية».
(٣) أي: ابن تيمية (شيخ الإسلام).
(٤) سبق تخريجه، وانظر: «العقيدة الواسطية» (ص٩ ـ ١٠).

رحمته، وغير ذلك من صفات الكمال الذاتية، وأنه القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بالموجودات كلها، فخلقها وأحكمها ورزقها ودبرها وأَمَدَّها بكل ما تحتاج إليه، وهذا الاسم يتضمن جميع الصفات الفعلية[(١)]، ولهذا ورد أن الحي القيوم هو الاسم الأعظم الذي إذا دُعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى[(٢)]، بدلالة الحي على الصفات الذاتية، والقيوم على الصفات الفعلية والصفات كلها ترجع إليهما.

ومن كمال قيوميته أنه لا تأخذه سِنة ولا نوم، والسِّنَة: النعاس. وهو الذي يتقدم النوم من الفتور وانطباق العينين ويكون في الرأس، فإذا وصل إلى القلب صار نوماً، والنوم غشية ثقيلة تقع على القلب، تمنعه معرفة الأشياء، فلا يحس ولا يشعر بها.

ثم ذكر عموم ملكه للعالم العلوي والسفلي، ومن تمام ملكه أن الشفاعة كلَّها له، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ففيها ذكر الشفاعة التي يجب إثباتها وهي التي تقع بإذنه لمن ارتضى.

والشفاعة المنفية التي يعتقدها المشركون وهي ما كانت تطلب من غير الله أو بغير إذنه، فمن كمال عظمته سبحانه أن لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

ولا يأذن إلا لمن ارتضى قوله وعمله، وبيَّن أن المشركين لا تنفعهم شفاعة الشافعين.

ثم ذكر سعة علمه وإحاطته، وأنه لا تخفى عليه خافية من الأمور ولا بينة، وأما الخلق فإنهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وهو ما أطلعهم عليه من الأمور الشرعية والقدرية، وهو جزء يسير جداً في علوم الباري ومعلوماته كما قال أعلم الخلق، وهم الرسل والملائكة ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢].

وكما قال الخضر: «يا موسى ما نَقْصُ عِلمي وعلمِك من علم الله، إلا كنقرة هذا العصفور في البحر»[(٣)].

---

(١) كذا مطبوع «الكواشف الجلية»، وفي الأصل: «العلمية»!.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أُبي بن كعب.

ثم أخبر سبحانه عن عظمته وجلاله، وأن كرسيه الذي هو موضع القدمين لله وسع السموات والأرض وما فيهما، وأنه حفظهما وأسكنهما عن الزوال والتزلزل، وجعلهما على نظام بديع جامع للأحكام والمنافع المتعددة التي لا تحصى.

والصحيح أن الكرسي غير العرش، وأنه في العرش كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، ومع ذلك فلا يؤوده حفظهما، أي: لا يثقله ولا يكرثه حفظهما، أي: حفظ العالم العلوي والسفلي؛ وذلك لكمال قدرته وقوته.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ ختم سبحانه هذه الآية بهذين الاسمين الجليلين، فهو سبحانه الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه: عليٌّ[١] الذات بكونه فوق جميع الخلق على العرش استوى، وعلو القَدْر، إذ إن له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أعلاها وغايتها، العظيم الذي له جميع أوصاف العظمة والكبرياء وله العظمة والتعظيم الكامل في قلوب أنبيائه وملائكته وأصفيائه، فلا أعظم منه ولا أكبر.

قال الشيخ: يجب أن يعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر، كما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة، ولا نسبة لها في عظمة الباري بوجه من الوجوه، وهي في قبضته أصغر من الخردلة في كف الإنسان، والخليقة مفطورة على أنها تقصد ربها في جهة العلو لا تلتفت عن ذلك يمنة ولا يسرة، وجاءت الشريعة بالعبادة والدعاء بما يوافق الفطرة، بخلاف ما عليه أهل الضلال من المشركين والصابئين من المتفلسفة وغيرهم، فإنهم غَيَّروا الفطرة في العلم والإرادة جميعاً. اهـ.

فحقيق بآية احتوت على هذه المعاني الجليلة أن تكون أعظم آيات القرآن، وأن يكون لها من المنع وحفظ قارئها من الشرور والشياطين ما ليس لغيرها»[٢].

فصل

قال محمد تقي الدين: كل ما يفعله العبد تقرباً إلى الله تعالى، إذا فعله لغيره كان مشركاً، قد اتخذ مع الله إلهاً آخر، ومن ذلك: الدعاء والاستغاثة

---

(١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «علو».

(٢) انظر: «الكواشف الجلية» (ص٤٨ ـ ٥٠) بتصرف.

والذبح والنذر والقيام والركوع والسجود والخشوع، ولذلك نهى النبي ﷺ سلمان الفارسي أن يسجد له، أو لغيره من المخلوقين، وأخبره أن السجود لا يكون إلا للحي الذي لا يموت[١].

ولم يَصِرْ سلمان مشركاً بذلك السجود؛ لأنه لم يكن يعلم أن السجود خاص بالله تعالى ولا سيما وهو فارسي، والفرس يسجدون لملوكهم تعظيماً لهم، وهو يعظم النبي ﷺ أكثر من أي ملك من الملوك.

قال (ك) عند قوله تعالى في سورة يوسف رقم «١٠٠»: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الآية «قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: يعني: السرير، أي: أجلسهما معه على سريره ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ أي: سجد له أبواه وإخوته الباقون، وكانوا أحد عشر رجلاً ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ أي: التي كان قصها على أبيه من قبل ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ الآية وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم: إذا سلموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام فَحَرُمَ هذا في هذه الملة، وجعل السجود مختصاً بجناب[٢] الرب سبحانه وتعالى، هذا مضمون قول قتادة وغيره.

وفي الحديث أن معاذاً قدم الشام فوجدهم يسجدون لعظمائهم[٣]، فلما رجع، سجد لرسوله ﷺ فقال: **«ما هذا يا معاذ؟»** فقال: إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم، وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله، فقال: **«لو لكنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها؛ لعظم حقه عليها»**[٤].

وفي حديث آخر: أن سلمان لقي النبي ﷺ في بعض طرق المدينة، وكان سلمان حديث عهد بالإسلام، فسجد للنبي ﷺ، فقال: **«لا تسجد لي يا سلمان،**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) كذا مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «بجانب».

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لأسقافتهم».

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٣٨١)، وابن ماجه (١٨٥٣)، وابن حبان (٦/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ـ التعليقات الحسان)، والبيهقي (٧/ ٢٩٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى واضطرب القاسم بن عوف ـ أحد رواته ـ في صحابي هذا الحديث. انظر: «العلل» (٦/ ٣٩) للدارقطني، و«العلل» (٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) لابن أبي حاتم. وللحديث **شواهد عديدة، يصح بها إن شاء الله تعالى**، تكلمت عليها مفصلاً في غير هذا الموضع، والله الموفق.

واسجد للحي الذي لا يموت»[١].

والغرض أن هذا كان جائزاً في شريعتهم ولهذا خروا له سجداً»[٢].اهـ.

الإيمان بصفتي السمع والبصر لله تعالى

قال الله تعالى في سورة آل عمران رقم (١٨١): ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾.

وقال تعالى في سورة النساء رقم (٥٨): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

وقال تعالى في سورة طه رقم ٧: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾.

وقال تعالى في سورة طه أيضاً رقم ٤٦: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

وقال تعالى في سورة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

وقال تعالى في سورة العلق: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾.

قال صاحب «الكواشف الجلية»: ص٨٩:

«﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] من صفات الله تعالى الذاتية السمع والبصر، والسميع والبصير اسمان من أسمائه تعالى، وهو تعالى له سمع يسمع به، وبصر يبصر به حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، ومعنى اسمه (السميع) أي: الذي لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي، فيسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصَّمَّاء، في الليلة الظلماء، فأحاط سمعه بجميع المسموعات: سرها وعلانيتها، وقريبها وبعيدها، فلا تختلط عليه الأصوات على اختلاف اللغات، وعلى تفنن الحاجات، وكأنها لديه صوت واحد.

وسمعه تعالى نوعان: **أحدهما**: سمعه جميع الأصوات كما تقدم. **والثاني**: سمع إجابة منه للسائلين والداعين والعابدين، ومنه قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٧٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(١):

وَهُوَ السميعُ يَرى ويَسمَعُ كُلَّ ما ... في الكَونِ مِنْ سِرٍّ ومِنْ إعلانِ
ولكلِّ صوتٍ منهُ سَمْعٌ حاضِرٌ ... فالسِّرُ والإعلانُ مُستويانِ
والسمعُ منه واسِعُ الأصواتِ لا ... يَخفَى عليهِ بَعِيدُها والداني(٢)

وأما معنى اسمه تعالى (البصير) أي: الذي أحاط بصره بجميع المبصرات فهو سبحانه يشاهدها، ويرى كل شيء وإن خفي، قريباً أو بعيداً فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار فيرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء.

أي: فعليكم أن تعملوا بأمر الله ووعظه، فإنه السميع لجميع الأصوات، البصير بجميع المبصرات، فإذا حكَمتم بالعدل فهو سميع لذلك الحكم، وإن أديتم الأمانة فهو بصير بذلك.

ففي الآية:

الأمر بحفظ الأمانة والأمر بأدائها، ووعد عظيم للمطيع، ووعيد شديد للعاصي، والاهتمام بحكم القضاة والولاة؛ لأنه فوَّض النظر في مصالح العباد لهم، والأمر بالعدل وهذا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأموال والأعراض القليل والكثير على القريب والبعيد، والبر والفاجر، والعدو والصديق، ووجوب العدل على الحُكّام والولاة، حتى تصل الحقوق إلى أربابها كاملة غير منقوصة. ومَدْحٌ من الله لأوامره ونواهيه؛ لاشتمالها على مصالح الدارين، ودفع مضارهما، وإثبات السمع، وإثبات الألوهية، وإثبات البصر، وأن أداء الأمانة يشمل أساس الاعتقاد، وأنه يشمل أساس العبادة، وأنه يشمل أساس التعامل بين الناس وأساس العلاقات كلها بين الناس، وأوّل أمانة تُرَدُ إلى أهلها أمانة الإيمان، وإثبات صفة الكلام، وأن صفة السمع غير صفة البصر، إذ العطف يقتضي المغايرة، ووجوب أداء الأمانة إلى البر والفاجر، وإثبات البعث، وإثبات الجزاء على الأعمال، وفيها ردّ على المعطلة. والتنبيه على مقام الإحسان، والحث على ما هو سبب التآلف، والنهي عن الظلم.

---

(١) انظر: «الكافية الشافية» (ص٢٠٧).

(٢) كذا في مطبوع «الكافية الشافية»، وفي الأصل: «والدَّان».

والرد على المعتزلة القائلين سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ودليل على إثبات صفة الكلام لله، ولطف الله بخلقه حيث أرشدهم إلى ما فيه صلاحهم في أمر دينهم. والخوف من الله، والمأخذ من قوله: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ والرد على من أنكر صفة الكلام، أو قال: إن كلام الله الكلام النفسي»[1]. اهـ.

قال محمد تقي الدين: ومن الأدلة على سمع الله وبصره سبحانه وتعالى: قوله سبحانه في سورة مريم حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم رقم ٤٢: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾.

فنفى إبراهيم عن آلهة آزر ثلاث صفات: السمع والبصر والقدرة على النفع، ومن انتفت عنه هذه الصفات لا يستحق أن يعبد؛ لصممه وعماه وعجزه، وقال تعالى في سورة الأنبياء حكاية عنه أيضاً في محاجته لقومه رقم ٥٢: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنبياء: ٥٢ ـ ٥٤].

فنفى عنهم السمع والقدرة على النفع والضر، وذلك يقتضي أنهم مخلوقون، مربوبون، والله سبحانه هو السميع البصير النافع الضار المعطي المانع المحيي المميت، له الملك، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون.

قدرة الله تعالى

قال الله تعالى في آخر سورة البقرة: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قال (ك): «يخبر تعالى أنه له ملك السموات والأرض، وما فيهن، وما بينهن، وأنه المطلع على ما فيهن لا تخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضمائر، وإن دقت وخفيت، وأخبر أنه سيحاسب عباده على ما فعلوه، وما أخفوه في صدورهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا

(١) انظر: «الكواشف الجلية» (ص٥٨ ـ ٥٩) بتصرف.

﴿فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران: ٢٩] وقال: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] والآيات في ذلك كثيرة جداً، وقد أخبر في هذه بمزيد على العلم وهو المحاسبة على ذلك، ولهذا لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة وخافوا منها، ومن محاسبة الله لهم على جليل الأعمال وحقيرها، وهذا من شدة إيمانهم وإيقانهم.

قال الإمام (حم) و (م) بسنديهما عن أبي هريرة، قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤]. اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب، وقالوا: يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها.

فقال رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا:** ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾».

فلما أقرَّ بها القوم، وذلَّتْ بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا . . .﴾[1] [البقرة: ١٨٦] إلى آخره»[2].

وقال تعالى في سورة الحديد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

قال (ك): «يخبر تعالى أنه يسبح له ﴿مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: من الحيوانات والنباتات، كما قال في الآية الأخرى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥١٣ ـ ٥١٤).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: الذي قد خضع له كل شيء ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه وأمره وشرعه ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ﴾.

أي: هو المالك المتصرف في خلقه، فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾، وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرباض بن سارية أنها أفضل من ألف آية(١).

وقال (د): «بسنده إلى أبي زُمَيل قال: سألت ابن عباس، فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به، قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [يونس: ٩٤] الآية.

قال: وقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾(٢) [الحديد: ٣].

وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو بضعة عشر قولاً، وقال (غ) قال يحيى: «الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيء علماً»(٣).

---

(١) أخرج أحمد (٤/١٢٨)، والترمذي (٢٩٢١، ٣٤٠٦)، وأبو داود (٥٠٥٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٤٩، ١٠٥٥٠) ـ وهو في «عمل اليوم والليلة» (٧١٣، ٧١٤) ـ والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/٣٤٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٣٥)، والطبراني في «الكبير» (١٨/رقم ٦٢٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٢٥٠٣، ٢٥٠٤) عن العرباض أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبِّحات قبل أن يرْقُدَ، وقال: «**إنّ فيهنّ آيةً أفضلُ من ألف آية**» **وإسناده ضعيف**، فيه عبد الله بن أبي بلال مجهول، لم يرو عنه غير خالد بن معدان، وبقية مدلس، نعم، صرح بالتحديث عند أحمد وغيره ولكنه كان يسوّي فلا بد من التصريح بالتحديث في جميع طبقات الإسناد.
وروي من مرسل ابن معدان بإسناد صحيح، وهو المحفوظ، كما عند الدارمي (٣٤٢٤)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٥١).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١١٠)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٦٦٤ ـ بعنايتي)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١٤/ ٢٦٢)، ولم يعزياه إلّا لأبي داود، **وحسنه شيخنا الألباني**.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٢).

وقال شيخنا الحافظ المزي: يحيى هذا هو ابن زياد الفراء، له كتاب سماه «معاني القرآن».

وقد ورد في ذلك أحاديث، فمن ذلك: ما رواه (حم) ومسلم[١] بسنديهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم: «**اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، خالق الحب والنوى، لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن ليس دونك شيء، اقض عنا الدين، واغننا من الفقر**»[٢].

فصل

قال محمد تقي الدين: في هذا الباب فوائد:

الأول: الدليل على أن قدرة الله لا حد لها، فهو على كل ما يشاؤه قدير، وكل من سواه عاجز عن كل شيء.

الثانية: إنه يملك كل شيء، فهو المالك وما سواه مملوك، وهو الغني وكل ما سواه فقير إليه.

الثالثة: شمول علمه تعالى لكل شيء.

الرابعة: قوة إيمان الصحابة وخوفهم عند نزول هذه الآية.

الخامسة: إن الله تعالى أمن خوفهم بعدما تأدبوا بأدب رسوله الكريم، وقالوا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ والأدعية التي بعدها، فاستجاب لهم وأعطاهم ما سألوه.

السادسة: نفهم من حديث ابن عباس أن الله سبحانه رحيم بعباده لا يؤاخذهم على ما توسوس به نفوسهم، إلا إذا تكلّموا أو عملوا به.

السابعة: دواء الوسوسة أن يقول من حصل له شيء منها: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٤٠١ ـ ٤٠٣) بتصرف يسير.

الثامنة: الدعاء العظيم الذي كان يدعو به النبي ﷺ عند النوم وينبغي لنا جميعاً أن ندعو به.

ودلائل القدرة في الكتاب والسنة لا تعد ولا تحصى.

صفة الغنى

من صفات الله تعالى التي اتفقت عليها الرسل وجميع العقلاء المؤمنين بالله أن الله غني عن خلقه، غنى تاماً مطلقاً، وأن جميع خلقه محتاجون إليه في إيجادهم من العدم، وحفظ وجودهم، وإمدادهم بكل ما يحتاجون إليه، قال تعالى في سورة الزمر:

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر: ٦، ٧].

قال (ك): «يخبر تعالى أنه الخالق لما في السموات والأرض وما بين ذلك من الأشياء، وأنه[1] مالك الملك المتصرف فيه، يقلِّب ليله ونهاره ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ أي: سخرهما يجريان متعاقبين لا يقران[2]، كل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً، كقوله تبارك وتعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ هذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وغيرهم.

وقوله ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى مدة معلومة عند الله تعالى ثم تنقضي[3] يوم القيامة: ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ أي: مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفّار لمن عصاه، ثم تاب وأناب إليه.

وقوله جلت عظمته: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة، وهو آدم عليه الصلاة والسلام، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهي حواء عليها السلام كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «وبأنه»!

(٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «لا يفترقان»!!

(٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «ينقضي».

ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ أي: وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج، وهي المذكورة في «سورة الأنعام»: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤].

وقوله ﷻ: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ أي: قدَّركم في بطون أمهاتكم ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يكون أحدكم أولاً نطفة، ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة، ثم يخلق فيكون لحماً وعَظْماً وعَصَباً وعروقاً وينفخ فيه الروح فيصير خلقاً آخر ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

وقوله جل وعلا: ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ يعني: في ظلمة الرحم وظلمة المشيمَة التي هي كالغشاء[١] للوقاية على الولد، وظلمة البطن.

كذا قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما.

وقوله جل جلاله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، وخلقكم وخلق آباءكم، هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي: فكيف تعبدون معه غيره؟ أين يُذهَبُ بعقولكم؟».

وقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ الآية، قال (ك): «يقول تعالى مخبراً عن نفسه تبارك وتعالى أنه الغني عما سواه من المخلوقات، كما قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]. وفي صحيح (م): «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنَّكم، كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً**»[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ أي: لا يحبه.

﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: يحبه لكم ويزدكم من فضله.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تحمل نفس عن نفس شيئاً، بل كلٌّ مطالب بأمر نفسه.

---

(١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «كالغشاوة».

(٢) سبق تخريجه.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: فلا تخفى عليه خافية». اهـ[1].

وقال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ يعني: إبراهيم والذين معه، ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: ٦].

قال (ك): «هذا تأكيد لما تقدم، ومستثنى منه ما تقدم أيضاً؛ لأن هذه الأسوة المثبتة[2] هٰهنا هي الأولى بعينها.

وقوله تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ تهييج إلى ذلك، لكل مؤمن بالله والمعاد.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: عما أمر الله به: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الغني الذي قد كمل في غناه وهو الله، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفء وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار، والحميد: المستحمد إلى خلقه، أي: هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله، لا إله غيره ولا رب سواه»[3]. اهـ.

وقال تعالى في سورة التغابن: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٦﴾ [التغابن: ٥ ـ ٦].

قال (ك): «يقول تعالى مخبراً عن الأمم الماضين، وما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي: خبرهم وما كان من أمرهم: ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي: وخيم تكذيبهم ورديء أفعالهم، وما حل بهم[4] في الدنيا من العقوبة والخزي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدار الآخرة مضاف إلى هذه الدُّنيوية، ثم[5] علل

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٢/ ١١٣ ـ ١١٥) بتصرف.
(٢) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «المستثناة».
(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٥١٤ ـ ٥١٥).
(٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وهو ما حل بهم».
(٥) من مطبوع «تفسير ابن كثير»، وسقطت من الأصل!

ذلك فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالحجج والدلائل والبراهين ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أي: استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر، وأن يكون هداهم على يدي[1] بشر مثلهم، ﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ﴾ أي: كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ أي: عنهم: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾»[2]. اهـ.

والأدلة على غناه تعالى كثيرة من الكتاب والسنة، وشهادة العقول، منها: قوله تعالى في سورة فاطر:

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ١٥ ـ ١٧]اهـ.

الأولية بلا بداية، والآخرية بلا نهاية

تقدم تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ وكل موجود سوى الله تعالى لوجوده بداية وله نهاية بالفعل أو بالإمكان.

قال تعالى في آخر سورة القصص: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨].

قال (ك): «وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا تليق العبادة إلا له، ولا تنبغي الإلهية إلا لعظمته.

وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ أي: إلا إياه.

وقد ثبت في «الصحيحين» من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أصدق كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»[3].

وقال مجاهد والثوري في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[4]، وحكاه

(١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «يد».

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٨/١٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أي: إلا ما أريد به وجهه (منه) وهو سقط من الأصل واستدركه المصنف من «صحيح البخاري». كتاب التفسير سورة القصص، قبل رقم (٤٧٧٢). وفيه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلا ملكه، ويقال: إلا ما أريد به وجه الله.

البخاري في «صحيحه»[(١)] كالمقرِّر له.

قال (ج): ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر:

أستغفِرُ اللهَ ذَنْباً لستُ مُحصِيَهُ ... ربَّ العبادِ إليه الوجهُ والعَمَلُ[(٢)]

وهذا القول لا ينافي القول الأول، فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة، إلا ما أريد به وجه الله تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة، والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وزائلة إلا ذاته تعالى وتقدس، فإنه الأول والآخر، الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء.

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب «التفكر والاعتبار» بسنده إلى ابن عمر أنه: كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخربة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين، فيقول: أين أهلُكِ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[(٣)] وقوله: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ أي: الملك والتصرف، ولا معقِّب لحكمه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم معادكم، فيجزيكم بأعمالكم، إن كان خيراً فخير، وإن شراً فشر»[(٤)].

قال محمد تقي الدين: ولم أذكر القِدَم في صفات الله تعالى، ولم أصفه بالقديم؛ لأن هاتين الكلمتين مبتدعتان من عبارات أهل الكلام والمتفلسفين، وصفات الله تعالى غنية عن عباراتهم بألفاظ الكتاب والسنة، فقولنا في حقه سبحانه: هو الأول بلا بداية، الآخر بلا نهاية، يغنينا عن عباراتهم؛ لأن القدم يتصف به المخلوق الذي وجد منذ زمان بعيد، ونحن لا نصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ.

---

(١) انظر الهامش السابق.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» (١/ ١٧٠)، (٦/ ١١)، (١٨/ ٣٥٤)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٤).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٨٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ١٧٤)، وابن أبي الدنيا في «التفكر» كما في «الدر المنثور» (١١/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦).
(ملاحظة) هذا الأثر غير موجود في مطبوع «الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان» لابن أبي الدنيا.

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٠/ ٤٩١ ـ ٤٩٢) بتصرف.

الواحدية والأحدية

يعتقد أهل السنّة والجماعة أن الله سبحانه هو الواحد الأحد في ذاته وصفاته وأفعاله قال تعالى في سورة البقرة رقم ١٦٣: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾.

وقال تعالى في سورة طه (رقم ٩٨): ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾.

وقال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

قال (ك) في تفسير آية البقرة: «يخبر تعالى عن تفرُّده بالإلهية، وأنه لا شريك له ولا عديل له، بل هو الله الواحد الفرد الصمد، الذي لا إله إلّا هو، الرحمٰن الرحيم، وقد تقدَّم تفسير هذين الاسمين في أول الفاتحة.

وفي الحديث[١] عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن عن رسول الله ﷺ أنه قال: **اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] ﴿الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ١، ٢]»[٢].

وقال (ك) في تفسير آية طه: «﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: ٩٨]: «يقول لهم موسى ﷺ: ليس هذا إلٰهكم، ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا يستحق ذلك على العباد إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له، فإن كل شيء فقير إليه عبد له[٣]، وقوله: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ نُصِبَ على التمييز، أي: هو عالم بكل شيء، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، فلا يعزب عنه مثقال ذرة ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/١٣٨ ـ ١٣٩).

(٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إليه».

[هود: ٦] والآيات في هذا كثيرة جداً»[١]. اهـ.

وقال (ك) في تفسير سورة الإخلاص:

«روى أحمد و(ت) و(ج) عن أبيّ بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد! انسب لنا ربك، فأنزل[٢] الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ زاد (ت) و(ج) **«الصمد الذي لم يلد ولم يولد»** لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وأن الله ﷻ لا يموت ولا يورث ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ ولم يكن له شبيه، ولا عدل و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾».

وروى الإمام (**أحم**) و(ن) عن حميد بن عبد الرحمٰن أن رسول الله ﷺ قال: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن»[٣]، وفي حديث آخر: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٩/ ٣٦٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٣٣ ـ ١٣٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٤٥)، والترمذي (٣٣٦٤)، وابن جرير في «التفسير» (٢٤/ ٧٣٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٩٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٣)، والعقيلي (٤/ ١٤١)، وابن عدي (٦/ ٢٢٣١) كلاهما في «الضعفاء»، والواحدي في «أسباب النزول» (ص٣٠٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٨)، وأبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (١/ ١١ ـ ١٢ رقم ٨)، والهيثم بن كليب في «مسنده» (١٤٩٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٨٨)، والحاكم (٢/ ٥٤٠)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٠٠)، و«الأسماء والصفات» رقم (٥٠، ٦٠٧)، و«الاعتقاد» (ص٤٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٨١) من حديث أبيّ بن كعب، **وإسناده ضعيف**، فيه أبو جعفر الرازي عيسى بن ماهان، **والحديث حسن بشواهده**، وحسنه شيخنا الألباني دون الزيادة، وقد ضعفها في تعليقه على «السنة» لابن أبي عاصم، وهي عند الحاكم (٢/ ٥٤٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٥٠) أيضاً.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٤٠٤)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٣١)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٤٢)، والدارمي (٣٤٣٦)، والطحاوي في «المشكل» (١٢٢٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/رقم ١٨٢)، وفي «الأوسط» (٨٥٥٧)، والخلال في «جزئه في فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾» رقم (٨)، والفاكهي في «حديثه» رقم (٢٥٤)، وأبو الفضل الرازي في «فضائل القرآن» (١٠٧)، والبيهقي في «الشعب» (٢٥٤٥)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) من طرق عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمٰن عن أمه رفعته.

فالحديث موصول، ولكن رواه مالك (١/ ٢٠٩)، والفريابي في «فضائل القرآن» (٣٠)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٣٣) عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمٰن رفعه، وهو مرسل، قال الدارقطني في «العلل» (٥/ ق٢١٠): «وقول مالك أشبه»، **والحديث صحيح بشواهده**، =

أَحَدٌ ﴿١﴾ تعدل ثلث القرآن لمن صلّى بها»[1].

وقال عكرمة: «لما قالت اليهود: نحن نعبد عزيراً ابن الله، وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر، وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان، أنزل الله على رسوله ﷺ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾»[2] يعني: الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ﷻ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ قال عكرمة عن ابن عباس: يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كَمُل في عظمته، والحليم الذي قد كَمُل في حلمه، والعليم الذي قد كَمُل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ أي: ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة، قال مجاهد: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ يعني: لا صاحبة له، وهذا كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ

= وانظر الطريق الآتية، وأصله في البخاري (٦٦٤٣) من حديث أبي سعيد، ومسلم (٨١١) من حديث أبي الدرداء.

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٥٣٢) ـ وهو في «عمل اليوم والليلة» (٦٩٦) ـ من طريق ابن إسحاق عن الحارث بن فضيل الأنصاري عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمٰن أنّ نفراً من أصحاب النبي ﷺ حدثوه أنهم سمعوا رسول الله ﷺ، وذكره بهذا اللفظ.
وخالف الحارث من هو أوثق منه، وأكثر منه عدداً. انظر التخريج السابق.

(٢) **ذكر اليهود والنصارى في سبب النزول منكر**، وقد جاء من طرق عن جمع، منها ما هو موصول، وما هو مرسل، فالموصول عن عكرمة عن ابن عباس، عند ابن عدي (٤/ ١٥٦٦)، والهروي في «ذم الكلام» رقم ٦٥٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٠٥) وفيه عبد الله بن عيسى بن خالد الخراز أبو خلف، ضعيف.
والمرسل عند ابن جرير، والمحفوظ ما ورد سابقاً أن الذين جاؤوا هم المشركون، ويؤكّده أنّ السورة مكية.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١] أي: هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له مِن خَلْقِه نظير يساميه أو قريب يدانيه؟ تعالى وتقدَّس وتنزّه قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٥] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الصافات: ١٥٨ ـ ١٥٩].

وفي صحيح (خ) «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم»(١).

قال (خ) بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ: كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي؛ فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد»(٢) .اهـ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤) من حديث أبي موسى.
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٧٤) من حديث أبي هريرة.
(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٥٠٠، ٥٠٦، ٥١٢ ـ ٥١٥) بتصرف.

الموضوعات والمحتويات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

سورة التوبة

الموضوع | الصفحة

سورة هود

سورة الفرقان